لجنة حفظ الآثار العربية – دار الآثار العربيــة



ألفه ووقف على طبعــه ونشره باللغة الفرنسية

المرحوم علي بهجت بك و مسيو ألبير جبرييل

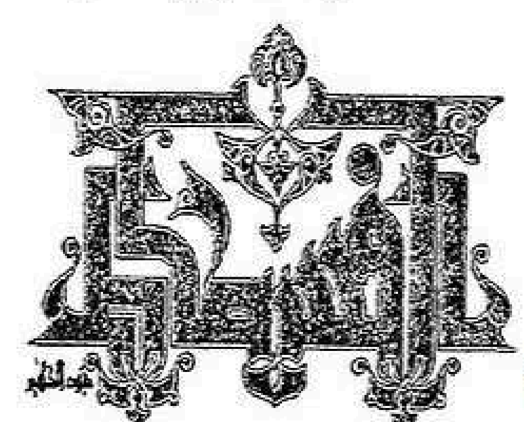
مــدير دار الآثار العربية سابقا — أرشيتكت حائز لديبلوم الحكومة الفرنسية ودكتور في الآداب

ونقله الى اللغة العربية

المــرحوم علي بهجت بك

و

محمود عكوش



[الطبعــة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م



فهرست الكتاب

صفحة

صفحة


mohamed khatab

لما أثمرت مجهودات المرحوم على بهجت بك، فى عمليات الحفر باطلال الفسطاط، وظهرت النتائج العملية لهذه المجهودات ، بفضل رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك "فؤاد الأول" وتشجيعه، أبدى جلالته رغبته السامية فى تدوين هذه النتائج، فى مؤلف يشمل البحث العلمى فيها من الوجهتين الفنية والتاريخية .

فتحقيقا لهذه الرغبة السامية وضع المرحوم على بهجت بك مؤلفا باللغة الفرنسية أسماه "حفريات الفسطاط"، واشترك معه فى وضعه جناب مسيو البير جبرييل، أحد خريجى المدرسة الفرنسية المختصة بدراسة آثار اليونان، الذى سبق له مزاولة التنقيب عن الآثار فى جزيرة ديلوس وغيرها . وقد قوبل هذا المؤلف عند ظهوره فى المجتمعات العلمية بالاستحسان .

ولما كان نشر العلم بين الجمهور، من أجل رغبات حضرة صاحب الجلالة الملك، تفضل حفظه الله ، وأصدر نطقه الكريم، بنقل هذا المؤلف الى اللغة العربية ليستفيد الناطقون بالضاد من أبحاثه الأثرية والتاريخية .

فبدأ المرحوم على بهجت بك بتنفيذ الأمر، وعرب قسما من الكتاب . وقد عنت بعد ذلك وزارة الأوقاف باتمام تعريبه، وعهدت الى دار الآثار أن تقوم بهذا الواجب خدمة للعلم وتحقيقا لرغبة مليك البلاد . وها هو، بحمد الله، قد تم تعريبه وطبعه ، فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك "فؤاد الأول" أيد الله ملكه .

كلمة افتتاحيــــة

من المآثر الجليلة والمنن الخالدة فى تعضيد البحوث العلمية المفيدة والعناية بنشرها، صدور الارادة الملكية السامية لوزارة الأوقاف بنقـل كتاب "حفريات الفسطاط" الى اللغـة العربية، وهو الكتاب الذى وضعه أستاذنا وصديقنا فقيد العلم، المرحوم على بهجت بك، بالاشتراك مع جناب مسيو ألبير جبرييل تنفيذا لرغبة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك، "فؤاد الأول" حفظه الله، فى تدوين المعلومات التى استخلصت من عمليات الحفر والتنقيب فى أطلال مدينـة الفسطاط .

ولقد كان من اهتمام وزارة الأوقاف ، بانجاز هـذا العمل الذى بدأه المرحوم على بهجت بك ولم يتمه فى حياته ، رحمه الله ، أن تعهد باتمامه الى دار الآثار العربية .

وصادف صدور أمر الوزارة فى الوقت الذى عينت فيه مديرا لدار الآثار العربية .

وكان المرحوم على بهجت بك قد اختـار للاشتراك معه فى ترجمة قسم من الكتاب، حضرة محمود عكوش افندى الموظف بقسم الآثار العربية بوزارة الأوقاف، بعد أن استبقى لنفسه الأبواب الثلاثة الأول من المتن . وقد أتم ترجمتها كما أتم عكوش افندى ما كلف به الى آخر الباب السابع، وتمكن من مراجعة ذلك مع المرحوم على بهجت بك .

ثم حالت المنون دون إشتغال المرحوم على بهجت بك بما بقى من الكتاب، وهو البـاب الثامن والهوامش .

واذ عهد إلىّ بانجاز الكتاب، طلبت القسم المترجم واستصدرت قرارا من لجنة حفظ الآثار العربية بطبع الكتاب على نفقة دار الآثار العربية . وقد وقع الاختيار على مطبعة دار الكتب المصرية .

وفى أثناء العمل، أتم عكوش افندى القسم الباقى ووقف على عملية الطبع .

ونرجو أن يجد القرّاء فى هذا الكتاب ، وقد انتهى بحمد الله ، ما يحببهم فى دراسـة الآثار والحرص عليها ، واستقصاء ما تنطوى عليه من المعلومات الجليلة ، والمميزات الخاصـة التى تزيدنا معرفة بأعمال السلف .

ولقد كان من عناية ادارة مطبعة دار الكتب المصرية بطبع هذا الكتاب، على هذا الوجه، ما يسوغ لهـا قبول شكرنا . كما أننا نثبت هنا شكر دار الآثار العربية وامتنانها، للمعهد العلمى الفرنسى الذى تفضل جناب مديره العالم الفاضـل مسيو بيير جوجيه، بتقديم الحروف اللازمة لطبع الكلمات اليونانية الواردة فى المتن .

أدام الله حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك، نصيرا للعلوم والفنون، وأبقاه للأمة المصرية وحفظ أنجاله ،،

مدير دار الآثار العربية

جاستون ڤييت

مقـــدمة الكتاب

لما كان كشف موقع الفسطاط بتمامه يستدعى عدة سـنين وكانت النتائج التى حصلنا عليها حتى اليوم لا يستهان بها، فكرنا فى أنه من الممكن الشروع فى نشر هذا الكتاب دون انتظار اتمام عملية الكشف .

وسنشرع فيما بعـد فى بيان الأحوال التى باشرنا فيها هذه العملية، مدة السنين الثمانية التى مضت، ونرجو أن يستمر الكشف على الطريقة الأصولية، والأمل عظيم فى أن تأتى أعمال السنين المقبلة بنتائج عظيمة .

وقد وفقنا، حتى اليوم، الى كشف جانب كبير من الفسطاط بما فيه من : دوره، وحوانيته، ومخازنه، وحماماته ، ومصانعه ، وأظهرنا السور الذى أقامه السلطان صلاح الدين فيما بين القلعة والنيـل ، وحفرنا فى سمته جملة حفر للتثبت من وجوده ، هـذا من حيث الآثار الثابتـة . أما الآثار المنقولة فقد عاد الحفر على دار الآثار العربية بالخير العميم ، اذ ضم الى مجموعاتها الكثير من الطرف الأثرية ، وأخصها ، مجموعة الخزف التى هى فريدة فى بابها ، ولا شك عندنا فى أن بعض هذه المكتشفات يؤدى الى ظهور عدة مباحث تتعلق بتخطيط المدينة وبتاريخ الفنون، وقد أحببنا أن نعجل بتدوين مشاهداتنا الأولية منذ الآن، لأنا نرى أن النتائج الأولى التى حصلنا عليها تكفى على انفرادها، لأن تلقى شعاعا من النور على أصول الفنون الاسلامية، وتقدم لتاريخ رقيها شواهد جديدة .

مع ذلك نخاشى أن نقـدم من الآن قولا قاطعا فى الموضوع ، وان كنا لم نقتصر فى الحفر على ما كشفناه من الخطط التى يدور عليها البحث فى كتابنا هذا، بل عملنا بعض مباحث متباينة الأهمية فى مواقع مختلفة ، وذلك لأنا لانزال فى حاجة الى اتمـام البحث فى مناطق أخرى لفتت نظرنا منذ زمن طويل .

ومن ثم يعلم ، أن غرضنا من وضع هذا المؤلف إنما هو جمع جملة شواهد ثابتة لاتنقض ، ولم يكن فى مقدورنا أن نعيد الأبنية الى أصلها، لأسباب منها : الكيفية التى كانت تتبع فى عملية الحفر ، والحالة التى وجدت عليها المبانى ، وقرب العهد بالمسائل التى يدور عليها البحث لحداثتها ، فلو هممنا باعادة المبانى كأصلها لكان جانب التخيل راجحا فى عملنا .

أما فيما يمس العهد الذى شيدت فيه الأبنية التى كشفت، والمصدر الذى أخذت عنه ، فانا نقتصر على سرد الشواهد التى يمكن اعتبارها منذ الآن مقبولة ، فاذا ما أتت عقب النتائج الأولى للحفر نتائج متممة لها ، يسوغ لنا وقتئذ أن نضع بيانا عاما يحدّد أصول العمارة العربية فى الديار المصرية .

وسيجد القارئ فيما بعد ، بيانا بأسماء الكتب التى يرد ذكرها فى كتابنا هذا، ونخص بالذكر من بينها الكتاب الذى عنى بتأليفه ، فى موضوع تخطيط الفسطاط ، العالم الكبير المدرس فى كلية فرنسا ، مسيو بول كازانوفا ، فانا قد رجعنا غير مرة الى الأجزاء التى ظهرت منه حتى اليوم ، فكان لنا منها المرشد فى أبحاثنا ، المؤيد لاستنتاجاتنا .

ولقد كان لنا، من أعضاء لجنة حفظ الآثار العربية، العضد القوى فى أعمال التنقيب ، والممهد لنشر هذا المؤلف ، ونخص من بينهم جناب مستر فرنل ، لما أظهره من ارتياحه لعملنا والاهتمام به ، وجناب مسيو لاكو ، لما حققه لنا دائما من صادق ولائه ، اذ كان يتعرف أخبار بحثنا ويشجعنا . ولقد تفضل فأعارنا ماكان فى غنى عنه من أدوات الحفر ، ولذلك نقدم للجميع هنا خالص الشكر .

وانا لنرى من الواجب علينا أن نذكر حضرة محمود أفندى أحمد المهندس فى لجنة حفظ الآثار العربية ذكرا خاصا ونقرّ له بالفضل لما بذله من الجدّ والاجتهاد، وبرهن عليه من الكفاءة والاستعداد، فى رفع رسوم المبانى، ونعترف له بالمعونة الحقة فى ملاحظة عمليات إرجاع الشىء لأصله .

والفضل فى الصور الفتوغرافية التى حلى بها هذا المؤلف، يرجع الى حضرة أحمد افندى صادق الذى أخذ هذه الصور بكل عناية وحذق .

وإنا نشكر كذلك، جناب مسيو لوكاس مدير المعمل الكيماوى، إزاء ما قام به من تحليل مواد ا[illegible] . وفى الختام، يحق لنا أن نثنى الثناء العاطر على ضباط فرقة الطيران الانكليزية الذين قدموا لنا مساعدتهم بالاجمال وأن نسدى شكرنا لكل من مدّ لنا يد المساعدة فى عملنا ما

تاريخ التنقيب على آثار الفسطاط

فى سنة ١٨٣٥، رغبت الحكومة المصرية فى حفظ آثارها الأهلية من الضياع، فأنشأت لذلك مصلحة خاصة لم تزل تعمل حتى يومنا هذا، أخذت على عاتقها من جملة ما أخذت من الأعمال ملاحظة التلال المحيطة بالقاهرة، وبقيت تلاحظها الى أن كانت سنة ١٨٩٢ حيث طلبت لجنة حفظ الآثار العربية أن تكون ادارة هذه التلال من اختصاصها، فأجيب هذا الطلب وعمل به الى سنة ١٩٠٦، ثم تخلت اللجنة عن تلك التلال، فأعيدت الى مصلحة الآثار التاريخية كما كانت من قبل .

وفى سنة ١٩١١، باشرنا بعض أعمال الحفريات على سبيل التجربة فى باطن التلال المذكورة، وحصلنا على نتيجة مرضية، فاستندنا على ذلك وأوضحنا للجنة فائدة هذه المنطقة من وجهة الآثار الإسلامية، فتقرر فصل التلال من جديد عن مصلحة الآثار التاريخية وإلحاقها بدار الآثار العربية، فأصبحت تميز مجموعاتنا وتنمى حاصلاتنا .

١ – الحالة التى كانت عليها التلال فى سنة ١٩١٢

أقل ما يقال عن الطريقة التى كانت متبعة وقتئذ فى ملاحظة هذه التلال، انها لم تعد على دار الآثار بفائدة ما، إذ بينما كانت المجموعات الخصوصية الكبرى، مثل مجموعات : فوكيه واينيس وكيتنج، تتكون وتنمو، والكثير من الأنتيقات العربية ينقل الى أوربا وأمريكا، لم يكن قد دخل دار الآثار العربية حتى سنة ١٩١٢، إلا بعض القطع غير النادرة .

ومما يؤسف له شديد الأسف، أن أطلال الفسطاط أخذت تلعب بها يد التخريب : فسمح لبعض مستخرجى الأحجار أن يفتحوا المحاجر، ليس فى جوانبها الأربعة فقط بل وفى وسطها،

فنسف أكثر من ربع المدينة الذى كان مخبوءا تحت طبقات التراب ورخص، كتابة، لمستخرجى الآجر القديم أن يستخرجوه من منطقة الفسطاط .

واذ كانت التلال يستخرج منها السباخ الجيد لتسميد الأراضى، أذن لبعض الأفراد باستخراجه لمدد تختلف فى الطول بشروط مكتوبة . ولكن هذه القيود لم يطالب صاحب الرخصة بالعمل بهـا ، فلم يدخل دار الآثار العربية شىء من الأنتيقات التى تظهر أثناء الحفر، ولم يكشف بناء واحد من الأبنية .

ولمـا أريد ردم بعض منخفضات جزيرة الروضة، فى سنة ١٩٠٥، أخذت الأتربة اللازمة للردم من تلال الفسطاط، كما هى، دون أن يراعى فى أخذها جمع ما عساه يظهر من القطع الأثرية أو المحافظة على الأبنية القديمة .

هذا ما وقع فى أطلال الفسطاط فى العهد القريب . أما ما تم فيها فى القديم، فكان صورة مصغرة من هذه، فانه لمـا حدث ما اتفق المؤرخون على تسميته "خراب الفسطاط"، فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، كما ستقف عليه فيما بعد، ونهبت الدور التى هجرها ساكنوها، جاءها راغبو العمارة فى القاهرة، فأخذوا منهـا ما بقى من مواد البناء . واستمر الناس يأخذون منهـا ما يلزمهم عدة قرون حينما شيدت المبانى على ساحل النيل . ولا يعلم إلا الله مبلغ الأهمية الأثرية فى هذه المنطقة التى امتدت اليها الأيدى وخربتها قديمـا وحديثا وما ضاع فيها من الفوائد الجمة التى كانت تعود منها لو تركت على أصلها .

وما عرفناه من تاريخ المدينة وتحققناه بالعيان، مما كشف من أبنيتها، يجعلنا نأسف كل الأسف، لبقاء التخريب يعمل عمله، حتى الزمن الذى نحن فيه، مع أن سائر البلاد تحرص كل الحرص على دراسة بقايا العصور المـاضية بكل دقة، وان كانت دون بقايا الفسطاط فى الأهمية . ومن أجل ذلك، يسوغ لنا أن نصرح بأن من الغلطات التى لا تغتفر، عدم حماية بقايا العاصمة الاسلامية الأولى للديار المصرية، حماية أجل خطرا وأفعل أثرا .

٣ ـ عملية التنقيب على الآثار من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٢٠

من أول يوم فوضت لنا ادارة الحفر فى أطلال الفسطاط، كان جل قصدنا، عدم الترخيص بقدر الطاقة بفتح محاجر جديدة فى وسط المدينة البائدة، ولكنا لم نحصل على غرضنا كله . بل يسوغ لنا أن نصرح، بأن خطة الرصد بتمامها التى كانت تشرف على بركة الحبش وكذلك الدور الفاخرة والمناظر الجليلة التى كانت تحف بهذه البركة، محى أثرها دون أن يبحثه باحث أو يدرسه دارس .

وفى اللوحتين الثالثة والرابعة، ترى مواقع المحاجر من المنطقة التى كشفناها . وفيهما يرى الناظر كيف ان شركة السباخ تمكنت من ابتياع أرض واقعة فى بقعة من أكبر البقاع فائدة لعلم الآثار "الاركيولوجية"، وكيف أقامت عليها أبنية أصبحت حائلا دون البحث فيها .

وكان بودنا، لو أنا تمكنا من الحفر فى الأرض الخالية من الموانع والمحظورات على مقتضى الطريقة العلمية الحديثة . أعنى بذلك : كشف الأتربة طبقة بعد طبقة . ولكن حال دون العمل بهذه الطريقة، ارتفاع التلال، واتساع المنطقة المقتضى كشفها، ونقل الأتربة المخلفة عن الكشف الى أماكن بعيدة . وكل ذلك كان يستدعى كثيرا من العمل والنفقة .

لذلك، رأيت الاستفادة من عملية استخراج السباخ، فمكنتنا من كشف جانب عظيم من المدينة . ولكنا اضطررنا لأن نضع للعمل نظاما خاصا غير الذى كان متبعا من قبل، فألفنا طائفة كبيرة من الحراس لم تقتصر مهمتها على جمع ما عساه يظهر أثناء الحفر من الانتيقات بل منع هدم أى جزء من المبانى قبل أن يعاينه أمين دار الآثار بنفسه . وبهذه الطريقة حفظت بقايا الأبنية وان صغر حجمها . وكنا نعمل المساند عند الحاجة، حتى لبقايا الجدران المعلقة (أى التى اقتلع الطوب من أسفلها فبقيت معلقة بين طبقات الأتربة) اذا ظهرت أهميتها، بحيث أصبح بيع الآجر قاصرا على بعض قطع الجدران المقتلعة التى لا فائدة من وجودها .

٣ - فى اختيــار مــوقع الحفــر

اخترنا لعملية استخراج السباخ، المنطقة الواقعة شرقى جامع عمرو المسماة حلقوم الجمل، المتصلة بكوم الشقاف، لوقوعها فى وسط مدينة الفسطاط . ولكنا لم نقصر البحث على هذه المنطقة، بل أذنا، كما سبقت الاشارة اليه، بالعمل فى جملة مناطق أخرى، يقع بعضها فى العسكر والبعض فى القطائع والبعض فى الفسطاط عند حدود القرافة قرب عين الصيرة، كما تراه مبينا فى الشكل الأول . وبهذه الواسطة كشفنا جملة مبان، وان لم تكن كلها فى درجة واحدة من الأهمية، ولكنها تنطق بوجود الشبه التام فى الوضع والبناء بين جميع الأبنية التى كشفت فى هذه المناطق المتباعد بعضها عن بعض .

٤ - فى تحديد التواريخ وفى أصول التلال وتكوينها

سيجيء لنا، فيما بعد، كلام مطوّل عن العهد الذى ترجع اليه مبانى الفسطاط . وهى مسألة نصرح من الآن بأنها فى منتهى الدقة، فلا ندعى بأننا وصلنا فيها الى رأى قاطع، وانما نتمشى فيها تبعا لما يظهر لنا من نتيجة الكشف دون أن نهمل قول المؤرخين، وان كان يتعين أخذه بالاحتراس الكثير .

وهنا نستأذن القارئ فى الجواب على اعتراض اعترضه البعض أكثر من مرة، بشأن الطريقة التى اتبعناها فى الحفر، على ظن أنه كان من الممكن الحصول على تواريخ مضبوطة، لو عملنا بالطريقة المألوفة فى مثل هـذا النوع من الحفر، أعنى بها : رفع التراب من التـلال ، طبقة بعد طبقة، وحصر ما يوجد فى كل طبقة من القطع الأثرية .

وانا نرد على هذا الاعتراض، أوّلا : بأن مدينة الفسطاط لا تقاس بمدينة ترواده ولا بمدينة ميسين ، حيث الطبقات المتتالية تدل على توالى العمائر التى أقيمت بعضها على أنقاض بعض، بل أن الفسطاط لم تعمر أكثر من خمسمائة سنة . وسيرد عليك انها كانت مشرفة على الخراب حينما أوقد فيها شاور النار سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) فان السكان كانوا قد هجروا معظمها أيام المستنصر، وانتقلوا الى القاهرة أو على ساحل النيل، واتخذوا فيهما مبانى انتزعت موادها من أطلال المدينة المتداعية .

أما الخطط التى كانت لا تزال معمورة فيها، فكان سكانها وسكان القاهرة نفسها يلقون ما يتخلف من أنقاض أبنيتهم التى يشيدونها فوق ما قرب منهم من تلك الأطلال . وكلما أصبح المكان الذى يلقون فيه الأنقاض تلا عاليا يصعب ارتقاؤه تجاوزوه الى مكان بجواره . ولما امتد خراب الفسطاط، امتدت معه التلال بعضها تلو بعض .

على هـذا النسق تكونت تلال الفسطاط . ومن السهل اذن، أن يدرك الانسان أن الشىء الذى يعثر عليه فى ذروة أحد التلال قد يكون من عصر الشىء الآخر الذى يوجد فى سفل التل المجاور له . ومن ثم يسوغ القول، بأن توزيع الأشياء التى توجد فى باطن التلال على طبقاتها لا يمكن أن يتخذ شاهدا على تحديد تواريخ الأبنية التى كشفت .

ولقد ادعى صاحب الانتقاد أن حريق الفسطاط ترك أثرا واضحا جليا يراه المتأمل فى صفحة قطاع التلال، وهو خط أسود يتعرج بتعرج صفحتها، يريد الناقد أن يعين بمقتضى ظهور هذا الأثر تواريخ ثابتة . ونحن نقول له : إن المتأمل فى صفحة التل لا يرى خطا واحدا بل خطوطا منشؤها احتراق المواد العضوية المختلطة بالأتربة، على أن هذه الخطوط ليست بالانتظام والاستمرار اللذين يريد أن يصفها بهما ذلك المنتقد .

نقول ذلك، ونحن نعترف مع السرور بأن عملية استخراج السباخ مهما كانت ملاحظتها دقيقة لا تتفق مع البحث العلمى . ولكنا لا نظن أنه فى حالنا الخاصة، كان من الممكن بأية طريقة أخرى من طرق الحفر أن نحصل على شواهد أتم وفوائد أعم . ونختم هذا الباب بأن نؤكد للقارئ أنه من يوم أن تولت دار الآثار العربية زمام العمل فى الفسطاط لم يهدم جزء واحد من أجزاء البناء مهما صغر حجمه[1] .

٥ - النتائج الأولى لعمليات الحفر

قلنا أن عمليات الحفر عادت على دار الآثار العربية بأعظم فائدة إذ ضمت الى مجموعاتها الطرف الأثرية الآتية، وذلك بخلاف ما انكشف من بقايا المبانى التى هى موضوع كتابنا هذا :

(١) جمع بجناب مستر هرى فرنل ، مراقب صندوق الدين الانكليزى ومن أعضاء لجنة حفظ الآثار العربية ، كلما تداولته الجرائد من الجدال فى موضوع الحفر بالفسطاط . وقد نشر فى مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩١٥ — ١٩ عكوش

فمما دخل دار الآثار من الفسطاط :

(ا) عدد جم من قطع الخزف المدهون بالمينا على اختلاف أنواعه، بعضه عليه كتابة منقوشة، وشارات ورنوك سلاطين مصر وأمرائها . ومنها أيضا ما ينسب لجماعة عرفوا فى التاريخ . وبعضه عليه صور للانسان والحيوان . والبعض عليه رسوم هندسية وغير هندسية[1] .

(ب) قطع من الزجاج المطلى بالمينا، عليه زخارف مختلفة ورسوم متنوعة وكتابات وشارات .

(ج) قطع من أثاث الدور والقصور، ولوحات دقيقة النجارة، واغلاق وضبب وسماعات أبواب، وأدوات طبخ ومباخر، ولعب أطفال، أمشاط وأدوات زينة .

(د) بعض أوراق من ورق البردى، مكتوب باللغة العربية، مما يرجع عهد أكثره الى عصر الدولة الفاطمية .

(ه) بعض أوراق عادية، مكتوب فيها عقود ونصوص تجارية وإدارية، ترجع الى القرون السادس والسابع والثامن للهجرة .

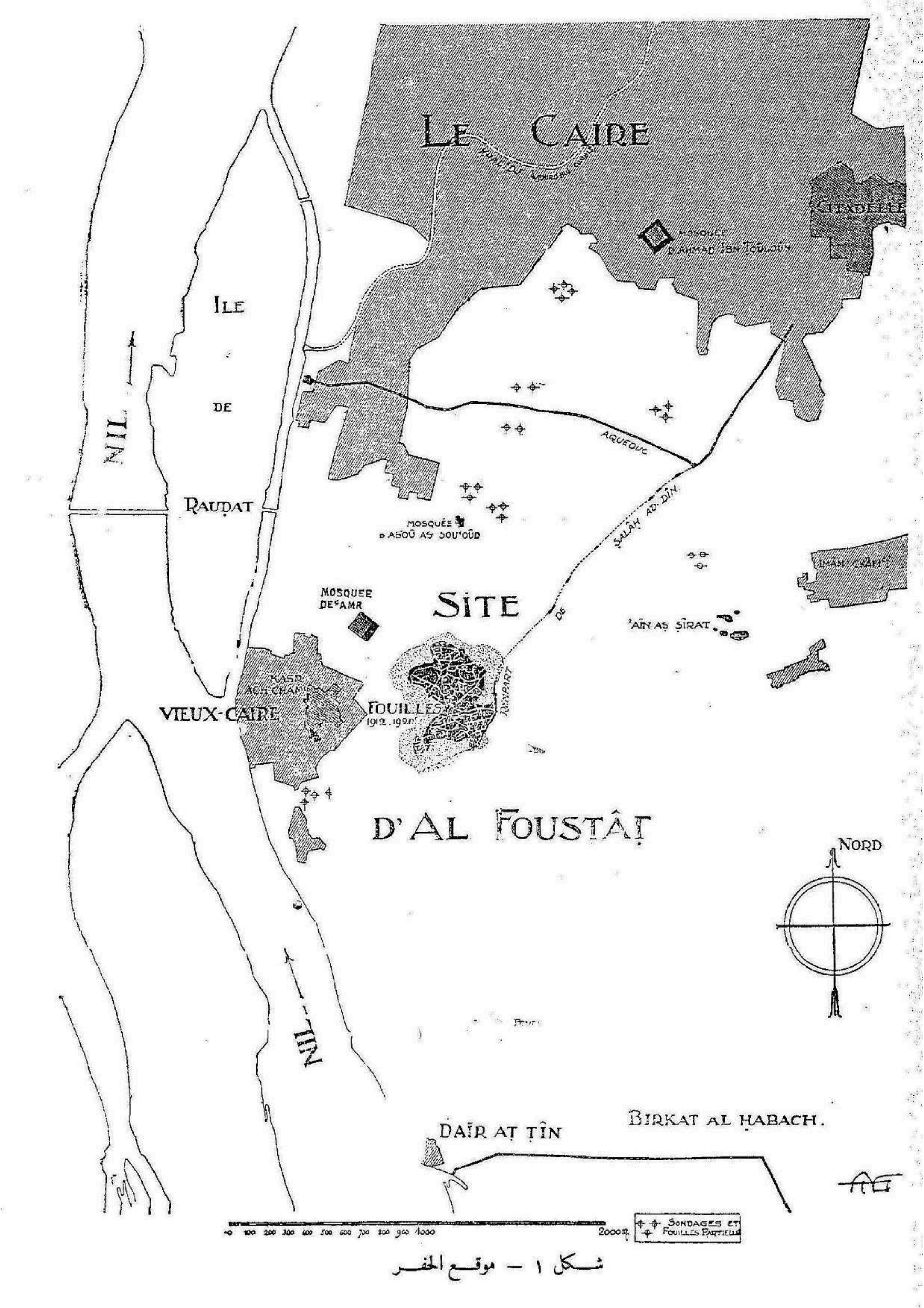
(و) تيجان أعمدة مصنوعة من الرخام والحجر منقوشة نقشا بديعا .

(ز) زخارف من الجص .

(ح) بعض أحجار عليها نقوش هيروغليفية (أهديت لدار الآثار المصرية) .

ومن الاطلاع على اللوحات الملحقة بهذا الكتاب، تعرف أهمية ما يعثر عليه بالحفر وما فيه من التنوع .

(١) عما قريب يظهر كتاب حافل فى موضوع الخزف المصرى فى العهد الاسلامى .



شــكل ١ – موقــع الحفــر

الباب الأول

شيء من تاريخ الفسطاط

---

١ – بابليون والفتح الاسلامى

فى سنة عشرين للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام (سنة ٦٤٠ م)، همّ عمرو بن العاص فى أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بفتح مصر بجيش صغير، فلم يقاومه أهلها إلا بالأمر الخفيف حتى جاء قرية أم دنين[(١)]، وفيها جاءه المدد من عمر الى أن بلغ جيشه اثنى عشر ألفا على رواية . وكان من ضمن المدد الذى بعث به الخليفة الزبير بن العوام، فتقدّم هذا الجيش حتى مدينة بابليون[(٢)] وحاصرها . وليس من السهل معرفة ماكانت عليه هذه المدينة من الأهمية وتعيين موقعها . وقد ذهب مسيو كازانوفا الى احتمال وجود حصن آخر أو قصر منفصل عن المدينة، وقال : إن قصر الشمع بقية من استحكامات المدينة التى كانت فى يد الاقباط[(٣)]، أما الحصن فكان موقعه على الشرف، وقد يكون البناء المنعزل المتخذ الآن معملا للبارود المعروف عند الأهالى باسطبل عنتر[(٤)] .

على أنه مهما كان لهذه الأقوال من الفائدة والأهمية، فان فيها شيئا من التناقض وليس بينها وبين بحثنا رابطة .

---

(١) قال المقريزى ان قرية أم دنين تعرف الآن بالمقس (ص ٣٥٩ ج ١ وص ١٢١ ج ٢) . ومن المعلوم أن هذه المحلة كان بها جامع المقس الذى أنشأه الحاكم بأمر الله - وهو الآن جامع أولاد عنان على مقربة من محطة مصر .

(٢) المقريزى ج ١ ص ٢٨٨ وما يليها .

(٣) راجع ما كتبه كازانوفا عن بابليون وقصر الشمع فى مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٠٦ (تقرير رقم ١٤٧) وفى مقدمة طبوغرافيا الفسطاط ص ٢٤ وما يليها . وقد كتب المرحوم هرتس باشا فصلا فى مجلة الاسلام الألمانية سنة ١٩١٧ لخص فيه هذه المسألة وبين اختلاف الأقوال فيها بعنوان «بابليون وقصر الشمع» .

(٤) يلاحظ أن التسمية باسطبل عنتر لا تنطبق على معمل البارود الموجود الآن ولكن على مغارة فى جانب الشرف المطل على بركة الحبش . وبالقرب من أسيوط مدفن معروف أيضا باسطبل عنتر .

ولا ننكر فائدة البحث عما كان لهـذه المدينة الرومانية من التأثير فى عاصمة مصر الاسلامية ، غير أن التثبت من ذلك يستلزم وجود معلومات وافية عن بابليون ، وما نقل الينا عنها مبهم جدا ، فضلا عن أنه لم يتخلف من معـالم هذه المدينة غير بعض قطع من الأسوار وبابين خارجين : أحدهما البـاب الغربى، وهو باب الحديد، ولم يبق منـه غير السفل . والآخر القبلى[1]، وهو باب المعلقة، وقد وصل الينا ولم تتغير معالمه وأصلحته أخيرا لجنة حفظ الآثار العربية[2] .

أما تفصيلات فتح هذه المدينة، فانها مبسوطة فى كتب الفتوح ، فلا نتصدّى لسردها ، بل نلخصها فى أن حاكم مصر من قبل امبراطور قسطنطينية واسمه المقوقس، كان مقيما ببابليون وقت الفتح فتركها والتجأ الى جزيرة الروضة . وفيها فاوض عمرا على تسليم الحصن، وذلك فى سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م)[3] .

ولم يتوان عمرو بعد الاستيلاء على هـذا الحصن عن فتح الاسكندرية ، فسار اليهـا ووضع عليها الحصار الى أن سلمت بعد شهور . ثم عاد الى بابليون .

٢ ـ فى تخطيط مدينـــة الفسطاط

اختلف الرواة فى أصل تسمية مصر بالفسطاط وفى معنى هذا اللفظ وكتابته . ولكن الرواية الأكثر شيوعا، هى أن عمرو بن العاص لمـا نزل على حصن بابليون نصب فسطاطه خارج أسواره، ولمـا فرغ من فتح الحصن وأحب أن يسير لفتح الاسكندرية أمر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمـام قد فرخ، فقـال : لقد تحرم بجوارنا، فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلمـا قفل المسلمون من الاسكندرية، قالوا : أين ننزل ؟ قالوا : الفسطاط . هذه هى الرواية المشهورة فى أصل تسمية المدينـــة .

(١) الجنوب الشرق .

(٢) المقريزى ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ ، لا يمكننا موافقة جابيه على أن المخمس الغير المنتظم المعروف بقصر الشمع هو حصن بابليون كله (راجع جابيه "الفن القبطى" ص ١٩١) ، لأن هذه المدينة برواية مؤرخى العرب كان فيها عدد عظيم من الروم والأقباط بينهم كثير من العظماء، واحتاج الاستيلاء عليها الى نحو اثنى عشر ألف رجل ، مما يفهم منه أنها كانت من المدن المهمة .

(٣) يحسن مقابلة قول ابن عبد الحكم (ص ٥١ وما يليها) بقول القضاعى وقد ذكرهما المقريزى (ص ٢٨٧ و ٢٨٨ ج ١) لأن مسيو كازانوفا ، بالرجوع الى هذين القولين ، استنتج أن المدينة كان يحيط بها حصن غير القصر .

وهناك رواية أخرى، وهى : أن مدينة بابليون كان يحيط بها خندق والخندق فى اليونانية اسمه "فساطن"، ومن ثم نشأت كلمة فساط التى يذكرها بعضهم مقارنة لفسطاط . وهذه الرواية الثانية وان لم تكن فى رقة الأولى وظرفها، إلا أنها ربما كانت أقرب للعقل[١] .

ولقد كان أول ما عنى به عمرو لما أصبح أمير مصر أن شيد جامعه . وهذا الجامع، وان لم يبق به الآن شيء على أصله يحدد، ولا شبهة فى تحديده، مكان أول حرم أقام فيه المسلمون الجمعة فى أرض مصر . ثم وزعت الخطط حول الجامع على الجماعات من القبائل المتنوعة التى تألف منها جيش عمرو، فاختير لكل جماعة خطة تنزل بها . وعلى ذلك تأسست مدينة الفسطاط . وابتنى عمرو دارا له وبقى أميرا على مصر يحكمها باسم الخليفة، الى أن كانت سنة ٢٣ هجرية (٦٤٣ م)، دعى الى المدينة معزولا . ثم عاد الى عمله فى سنة ٣٨ هـ (٦٥٨ م) ؛ وبقى الى أن توفى فيها فى سنة ٤٣ هـ .

واتسعت المدينة وارتقت حالها على عهد الخلفاء من بنى أمية، وبقيت مقرا للأمراء الذين بعث بهم الأمويون الى مصر . قال القلقشندى : ولم يكن على أيام هؤلاء الأمراء دار خاصة للامارة، إلا أن عبد العزيز بن مروان الذى كان أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك اتخذ له دارا تعلوها قبة مذهبة، وكانت هذه الدار فسيحة جدا حتى سموها المدينة[٢] . ومن ثم يظهر ان بعض الأبنية التى شيدت فى ذلك العصر بلغت من الكبر والزخرف حدا عظيما .

٣ - فى تأسيس مدينة العسكر

لما كانت سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) وقدم مروان آخر الخلفاء الأمويين الى مصر فارا من جيوش العباسيين وجاء هؤلاء على عقبه، نزل صالح بن على وأبو عون اللذان كانا يقودان هذه الجيوش بعسكرهما فى الشمال الشرقى من الفسطاط، وهناك اتخذوا مساكنهم وأقاموا دورهم، فتكون من مجموعها مدينة العسكر التى يشبه أن تكون ضاحية كبيرة أو امتدادا لمدينة الفسطاط نحو الشمال

---

(١) راجع مقدمة كتاب طبوغرافيا الفسطاط لكازانوفا ص ٢٤ رقم ٢ (٢) المقريزى ج ١ ص ٣٣٤

الشرقى[1] . وفى وسط هذه الدور أقام صالح بن على دارا سماها دار الامارة، أصبحت مقر الأمراء . وفى سنة ١٦٩ هـ (سنة ٧٨٥ م)، وضع الفضل بن صالح أساس جامع كبير سماه جامع العسكر . وكان بجوار دار الامارة . قال المقريزى : وكان موقعهما فيما بين جامع ابن طولون وكوم الجارح[2] .

٤ – فى منشآت أحمد بن طولون وتأسيس مدينة القطائع

لما تولى أحمد بن طولون على مصر سكن فى أول أيام ولايته دار الامارة بالعسكر . ولكن لما وجدها تضيق بعسكره وحاشيته بنى فى سنة ٢٥٩ هجرية (٨٧٢ م)، قصرا كبيرا تحت الشرف الذى أقام السلطان صلاح الدين عليه فيما بعد قلعة الجبل، واتخذ فى السهل الممتد من قصره الى جبل يشكر ميدانا للعب بالكرة والصوبلجان، حتى أصبح القصر نفسه يعبر عنه بالميدان .

ثم أذن لأمرائه وعساكره أن يبتنوا حول الميدان، فاختط كل أمير لنفسه ولعسكره خطة، فأصبحت خططهم يضيق بها الفضاء وامتدت حتى التصقت بخطط الفسطاط . وسميت كل خطة من هذه الخطط باسم الأمير الذى ينزل فيها أو باسم طائفة العسكر التى تسكنها . ومن مجموع هذه الخطط تكونت المدينة الثالثة التى سميت بالقطائع[3] .

وأقام ابن طولون على جبل يشكر فى وسط القطائع جامعه فى سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) .

وفى آخريات أيامه كانت الفسطاط والعسكر والقطائع كتلة من الأبنية متصلة بعضها ببعض، تمتد على ساحل النيل فيما بينه وبين جبل المقطم .

وسنبين، فى الباب الآتى، حدود كل مدينة من هذه المدن الثلاث وامتداد كل واحدة منها .

وأطلق على مجموع المدن الثلاث اسم مصر أو الفسطاط . وقد تميزت به فيما بعد عن القاهرة لما أنشأها جوهر القائد شمالى الفسطاط .

---

(١) كان العسكر فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) لا يزال مسكونا ولكن تلاشى اسمه فلم يكن معروفا غير الفسطاط والقطائع (راجع المقريزى ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٢٧ وج ٢ ص ٢٦٤) .

(٢) المقريزى ج ٢ ص ٢٦٤

(٣) راجع عن طبوغرافيا القطائع كتاب ج . سالمون الذى عنوانه « مباحث فى طبوغرافيا القاهرة — قلعة الكبش وبركة الفيل » .

وفى سنة ٢٩٢ ﻫ (٩٠٤ م)، زالت دولة بنى طولون من مصر، فخرب عمال بنى العباس الذين جاءوا بعد الطولونيين قصور بنى طولون كراهة فيهم، لما هموا به من الاستقلال بحكم مصر. ولكنهم تركوا الجامع على حاله وكذلك القطائع لم يتعرضوا لها بأذى[1]، فبقيت زاهرة زاهية أكثر من قرن، بعد زوال حكم مؤسسيها .

٥ – تأسيس القاهرة وأفول نجم الفسطاط

لما أسست القاهرة شمالى مصر الفسطاط اتخذها الخلفاء الفواطم مقرا لهم ولحاشيتهم دون سواهم. أما طوائف العسكر والتجار والعملة فكانوا يسكنون الفسطاط. ثم أخذ الناس ينتقلون بكثرة الى القاهرة يوما فيوما حتى أربت على العاصمة القديمة ببهجتها وروائها .

نعم، أن مدينة الفسطاط بقيت زمنا مركزا للتجارة والصناعة المصرية. ولكن قيام القاهرة صوب الى مقتلها ضربة قاضية بحيث أصبحت المدينة الجديدة كلما قطعت مرحلة فى سبيل التقدم والرقى، تخطو الفسطاط بجانبها مرحلة فى طريق التدهور والسقوط. قال ابن سعيد: ومذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفرط فى الاغتباط بها بعد الافراط[2] .

ولقد عقد المقريزى فصلا نسب فيه سقوطها للغلاء والحريق حيث يقول: «وكان خراب مدينة فسطاط مصر سببان: (أحدهما) الشدة العظمى التى كانت فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى، (والثانى) حريق مصر فى وزارة شاور بن مجير السعدى»[3] .

---

(١) ولقد فكروا فى هدم القطائع كلها، فقد روى ابن دقاق عن بعض التواريخ: «أن الامام المعتضد بالله العباسى أمر بهدمها حنقا على أحمد بن طولون فى سنة اثنين وتسعين ومائتين بعد انقضاء دولة آل طولون . وكان متولى تخريبها محمد بن سليمان الكاتب» ج ٤ ص ١٢١ و ١٢٢ ولكنهم اكتفوا بهدم القصر .

(٢) المقريزى أول ص ٣٤٠ (٣) المقريزى أول ص ٣٣٥ - ويقرب من هذا قول المقريزى: أما الشدة العظمى فان سببها أن السعر ارتفع بمصر فى سنة ٤٤٦ هجرية (١٠٥٤ م) ... وفى سنة ٤٤٧، اشتد ... الغلاء وكثر الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة ٤٥٤ هجرية (١٠٦٢ م) حدث مع ذلك الفتنة العظيمة التى خرب بسببها إقليم مصر كله ... وأقام (يعنى الغلاء الذى ابتدأ فى سنة ٤٤٧) الى سنة ٤٥٤ ... فأقام ذلك سبع سنين والنيل يمد وينزل فلا يجد من يزرع ... وصار الحال الى أن بيع رغيف من الخبز الذى وزنه رطل بزقاق القناديل كبيع الطرف فى النداء بأربعة عشر درهما وبيع أردب من القمح بثمانين دينارا (يعنى ٤٠٠ مرة فوق السعر الأصلى) ثم عدم ذلك . (أول ص ٣٣٧) .

نعم، ان الغلاء والفناء اللذين أعقبا الشدة العظمى عجلا بخراب الفسطاط الذى أتمه الحريق، ولكنهما لم يكونا السبب الأصلى ؛ بل كان السبب الأول كما قلنا ، حدوث القاهرة واتخاذها مقرا للخلفاء ومركزا لحكومتهم ثم قيام المبانى الفخمة التى لم يكن لأحد بها عهد من قبل، حول قصور الخلفاء .

ولست أنكر أن الشدة العظمى على أيام المستنصر كان لها أثر فعال فى خراب مدينة الفسطاط . وقد نقل الينا مؤرخو العرب فى موضوع حال البلاد وقتئذ روايات مزعجة . ومع غض النظر عما فى هذه الروايات من المبالغة، فالظاهر ان المرور خلال الفسطاط كان خطرا على الأنفس . ومن إطلاق الأسماء على بعض الحوارى والدروب التى ذكرها ابن دقاق، يقف القارئ على أن تلك الحوارى كانت وقتئذ مسكنا للنهابة والقتلة[1] .

ولست أنكر أيضا أن مدينة الفسطاط هجر السكان على عهد المستنصر بعض خططها ، ونشأ عن تركهم تلك الخطط ما يسميه المؤرخون "خراب المدينة" . وسنبين فيما يجىء حدود منطقة الخراب .

ولما قدم بدر الجمالى الى مصر فى سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) وهمّ باعادة العمارة الى مدينة القاهرة، لم يكن من نتيجة عمله إلا زيادة خراب الفسطاط . ذلك : أنه أباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر ما شاء فى القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله ؛ فأخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل فى القاهرة وسكنوها[2] وأخذ الناس أيضا فى نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم وصار موحشا . وخرب مابين القاهرة ومصر من المساكن، ولم يبق هنالك إلا بعض البساتين ... ولم يبق من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذى عليه جامع ابن طولون وما حوله[3] .

---

(١) وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى فى الطرقات و يطوف وقد أعدوا سلبا وخطاطيف فاذا مر بهم أحد شالوه فى أقرب وقت ثم ضربوه بالأخشاب وشرحوا لحمه وأكلوه . المقريزى أول ص ٣٣٧ ، وقد ذكر ابن دقاق فى الأزقة الدافين والعكامين والقتلى . وكان يجرى فيا مثل هذه الأمور (راجع ج ٤ ص ١٦ و ١٨) .

(٢) المقريزى أول ص ٣٦٤

(٣) المقريزى أول ص ٣٠٥

نعم، انه وقع بعد ذلك أى فى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) سعى فى تعمير الخطط الخراب تعميرا جزئيا، قال المقريزى : فلما كان فى خلافة الآمر بأحكام الله أبى على منصور بن المستعلى أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالأجل المأمون بن البطائحى فنودى مدة ثلاثة أيام فى القاهرة ومصر بأن من كان له دار فى الخراب أو مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شىء من أنقاضه ، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه . والظاهر ان ما أمر به الوزير أتى بالغرض المقصود فى وقته و " عمر الناس ما كان من ذلك مما يلى القاهرة من جهة المشهد النفيسى الى ظاهر باب زويلة "[1] .

ولكن يظهر لنا، أن الجانب الذى همّ وزراء الفواطم بتعميره، انما هى الخطط المجاورة للقاهرة، وأن خراب الفسطاط بقى دائرا على حاله . وانا نقول ذلك استنادا على جملة أوردها المقريزى، أبان فيها حدود ما أعيد تعميره، حيث قال : فعمر من الباب الجديد طولا الى باب الصفا بمدينة مصر حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون، يصلون العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنهم فى مصر ولا يزالون فى ضوء وسرج وسوق موقود، من الباب الجديد خارج باب زويلة الى باب الصفا حيث الآن كوم الجارح، والمعاش مستمر فى الليل والنهار[2] .

وهذه الخطة ينطبق عليها الطريق الذى كان يسلكه الخلفاء فى ذهابهم الى صلاة الجمعة فى جامع عمرو أو الى المقياس لحضور موسم كسر الخليج . يؤيد ذلك، أنه فى أيام الشدة العظمى التى كانت على عهد المستنصر اضطر وزيره اليازورى أن يقيم حائطا يستر خراب العسكر والفسطاط عن عين الخليفة . قال المقريزى : ولما استولى الخراب فى المحنة أمر ببناء حائط يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر، فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق ، وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون[3] . لذلك نقول : أن المبانى إنما أقيمت على حافة هذا الطريق العام . ولذلك ، لا نأخذ رواية المقريزى بحروفها حينما يؤكد أن مدينة الفسطاط عادت زاهية كما كانت عليه قبل الشدة العظمى ، حيث يقول : وتراجعت أحوال الفسطاط بعد ذلك حتى قاربت ما كانت عليه قبل الشدة[4] .

(١) المقريزى أول ص ٣٠٥ (٢) المقريزى ثان ص ١٠٠ (٣) المقريزى أول ص ٣٠٥ (٤) المقريزى أول ص ٣٣٧

وعلى كل حال فقد أصبحت مساحة الفسطاط وقتئذ أصغر مما كانت عليه من قبل . وهو استنتاج المقريزى نفسه، حيث يقول : «وبسبب هذا الغلاء خرب الفسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلى القرافة، حيث الكيمان الآن، الى بركة الحبش»[1] .

٦ ـ حريق الفسطاط

كل من له اطلاع على التاريخ يعرف الغيرة التى وجدت بين شاور وضرغام بسبب الوزارة ثم دخول أمورى دى لوزينيان منتصرا للأول منهما فى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) كما يعرف أيضا، ان أمورى بعد سنتين من انتصاره لشاور قصد الفسطاط غازيا، فاستولى فى طريقه اليها على بلبيس، ثم نزل بجيشه على بركة الحبش .

وفى ذلك الوقت كان أكثر العسكر والقطائع خاليا عن السكان كما قلنا، أما الفسطاط نفسها فانها وإن لم تكن على عهدها الأول من القوة كان ساكنوها غير قليلين، فلما لم يسع شاور الدفاع عنها أمر باخلائها وحرقها . قال المقريزى : «فنادى شاور بمصر ألا يقيم بها أحد وأزعج الناس فى النقلة منها فتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم، وقد ماج الناس واضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم الى المحشر لا يعبأ والد بولده ولا يلتفت أخ الى أخيه، وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الجمل الى ثلاثين دينارا، ونزلوا بالقاهرة فى المساجد والحمامات والأزقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم، الى أن قال : وبعث شاور الى مصر بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظرا مهولا فاستمرت النار تأتى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام أربعة وخمسين يوما والنهابة من العبيد ورجال الأسطول وغيرهم بهذه المنازل فى طلب الخبايا[2] . ومن ثم تحولت مصر الفسطاط الى تلك الأطلال المعروفة الآن بكيمان مصر» .

---

(١) المقريزى أول ص ٣٣٧ (٢) المقريزى أول ص ٣٣٨ و ٣٣٩

٧ – فى تاريخ الفسطاط من عهد صلاح الدين الى يومنا هذا

بعد أن أوقد شاور النار فى الفسطاط كما مر، التجأ الى القاهرة . أما أمورى فلم يتمكن من نفاذ غرضه من الاستيلاء على مصر لأن صلاح الدين كان قد ظهر فى عالم الوجود وأضحى سيد مصر واستولى على الشام .

ولما عاد صلاح الدين الى مصر، صمم على أن يجمع بين القاهرة وما بقى من الفسطاط بسور واحد[١] . وهو السور الذى كشف لنا أ... القسم القائم منه بين القلعة وحدود الفسطاط من الجهة القبلية ، ومن ثم انتقلت حركة التجارة والصناعة الى ساحل النيل حيث كانت ترسو المراكب وتكثر المخازن والمصانع التى حفظت للفسطاط الى درجة ما بعض عمارها . قال ابن سعيد (سنة ٦١٠ – ٦٧٣ هـ = ١٢١٣ – ١٢٧٤ م) : «وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر» . قال المقريزى: «يعنى، ابن سعيد، ما بنى على شقة مصر من جهة النيل» . ومن أول القرن السابع الهجرى (الثالث عشر المسيحى) شيدت من مواد انتزعت من الخطط التى هجرها أهلوها من الفسطاط ، الخطة الواقعة على ساحل النيل جنوبى دار الملك التى كانت فى أول أمرها آخر حدود المدينة من قبليها .

وفى أيام الناصر قلاون امتدت المبانى الجديدة على الخصوص فيما بين الفسطاط والقاهرة حتى غدت المدينتان مدينة واحدة، قال المقريزى : «وفى أيام الناصر اتصلت عمائر مصر والقاهرة فصارتا بلدا واحدا يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والرباع والقياسر والأسواق والفنادق والخانات ... ...»[٢] .

وفى رأينا أن الأبنية لم تكن لتتصل بعضها ببعض بل كانت الدور تتخللها البساتين تمتد فى غير منطقة الخراب . وبالإجمال كانت تنجلى المدينة فى أواخر القرن السابع الهجرى أى الثالث عشر المسيحى على الصورة الآتية البديعة : فى شمال القاهرة، يجمعها بالفسطاط ضاحية مكونة من بعض

(١) المقريزى أول ص ٣٨٠ . (٢) المقريزى أول صفحة ٣٦٥

الدور والقصور تتخللها البساتين ، ويليها الفسطاط على ساحل النيل على سمت جامع عمرو وقصر الشمع، ويلى ذلك كله من الجنوب على شط النيل خطة المناظر والقصور المتصلة ببركة الحبش .

ولقد ترك لنا كل من ابن دقماق والمقريزى والقلقشندى عن مدينة الفسطاط فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر المسيحى)، معلومات دقيقة وكلها تتفق فى أن تدهور المدينة إنما كان يزداد قرنا بعد قرن . وفى الجملة الآتية نخص القلقشندى المحن التى نزلت بالفسطاط ، قال : "ولم يزل الفسطاط زاهى البنيان نامى السكان الى أن كانت دولة الفاطميين بالديار المصرية وعمرت القاهرة فتقهقر حاله وتناقص، وأخذ الناس فى الانتقال عنه الى القاهرة وما حولها، نخلا من أكثر سكانه، وتتابع الخراب فى بنيانه ، الى آن غلب الفرنج على أطراف الديار المصرية فى أيام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين" .

وقال : وبعد حريق شاور "تزايد الخراب فيه وكثر الخلو ولم يزل الأمر على ذلك فى تقهقر أمره إلى أن كانت دولة الظاهر بيبرس أحد ملوك الترك بالديار المصرية فصرف الناس همتهم الى هدم ما خلا من أخطاطه والبناء بنقضه بساحل النيل بالفسطاط والقاهرة وتزايد الهدم فيه واستمر الى الآن حتى لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل وما جاوره الى ما يلى الجامع العتيق وما دانى ذلك ودثرت أكثر الخطط القديمة وعفى رسمها واضمحل ما بقى منها وتغيرت معالمه"(١) .

أما اليوم فلم يبق من الفسطاط إلا كيمانها القائمة فيما بين النيل والمقطم . وما يطلقون عليه اليوم اسم مصر القديمة لا يمكن اعتباره من بقايا الفسطاط، فان الدور الحقيرة التى تتكون منها هذه الخطة حديثة العهد ، قام أكثرها على الأرض التى خلفها النيل الذى ما زال ساحله يتنقل الى جهة الغرب، ولم يتخلف من بقايا المدينة البائدة سوى جامع عمرو وقصر الشمع والمبانى التى كشفها الحفر.

---

(١) القلقشندى ثالث ص ٣٣٧ و ٣٣٨

الباب الثانى

بحث فى خطط الفسطاط

---

١ – فى تنقل ساحل النيل

معلوم أن ساحل النيل فيما يجاور القاهرة لم يثبت على حالة واحدة بل كان يتنقل من الشرق الى الغرب. وهذه الحركة التى يرجع عهدها الى ما قبل الهجرة النبوية لم تقف بل استمرت حتى يومنا هذا . من أجل ذلك، يلزمنا قبل الدخول فى موضوع أى بحث يمس الخطط أن نعين بالضبط الحدود التى كان يصل اليها ساحل النيل فى تنقله مدة بقاء الفسطاط[١] .

(ا) فى أيام الفتح

اتفق المؤرخون على أن جامع عمرو بنى على شاطئ النيل[٢] . وهو اليوم يبعد عنه بنحو خمسمائة متر. وكذلك قصر الشمع كان على ساحل النيل، وكان بابه الغربى أو باب الحديد مطلا على النيل مباشرة ومنه خرج المقوقس حاكم مصر من بابليون ليحتمى بجزيرة الروضة، كما رواه المقريزى . وعلى هذا الباب وجد المقوقس المراكب التى عبر عليها النيل[٣] .

ومن هذه الرواية، تعينت لنا نقطتان من المعالم الثابتة نشفعهما بثالثة نحو الشمال وهى القنطرة الأولى التى أقيمت على الخليج فى سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م). وقد ذكرها المقريزى فقال : إنها كانت

---

(١) راجع عن هـذا الموضوع طبوغرافيا الفسطاط لكازانوفا ص ٢١٧ ، واللوحة الثالثة الواردة فيه ، فانها تبين التغيرات التى طرأت على شاطىء النيل الأيمن فى أزمنة مختلفة .

(٢) المقريزى أول ص ٣٤٣ وقد ورد فى المقريزى أيضا «وكان بجوار الحصن (يعنى قصر الشمع) من بحريه وهى الجهة الشمالية أشجار وكروم صار موضعها الجامع العتيق» أول ص ٢٨٦ ، راجع أيضا المقريزى ثان ص ١٣٢

(٣) أورد المقريزى خبرين مختلفين عن رحيل المقوقس (المقريزى أول ص ٢٨٦ و ٢٩٠) . وسنعود للكلام على ذلك عند ذكر الروضة . وعلى كل حال ، كان النيل يمر بجانب جدار القصر .

قائمـة فى المكان الواقع بين قناطر السباع (حوالى المشهد الزينبى) وقنطرة السد[١] (حوالى كنيسة مارمينا) ومن ثم يعلم أن ساحل النيل فى سنة ٦٩ هجرية كان يمتد بين الموقعين المذكورين .

وقد أورد مسيو كازانوفا نقطة رابعة نوافقه عليها حيث يقول : إن موقع دار الملك كان كالأنف يدفع تيار النيل عن الفسطاط[٢] . ونحن نقول : إن هذه الجهة الواقعة جنوبى الفسطاط تبتدئ منها حركة تنقل الساحل، لأن ما بين دار الملك ودار الطين من الشاطئ بقى ثابتا على حاله لم يطرأ عليه تغير ما .

(ب) فى عصر الخلفاء الفاطميين

وكذلك فى أيام الفواطم، استمر ساحل النيل المقابل لجزيرة الروضة ينتقل نحو الغرب، اذ كان خليج مصر الخارج من النيل يسير والطريق المؤدى الى الحمراء القصوى . وكان على شاطئ الخليج الغربى بساتين منها بستان الخشاب القائم فى أرض المريس . أما بعد سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) فان النيل انحسر وخلف أرضا بين ميدان باب اللوق وبستان الخشاب . وهذه الأرض غلب عليها فيما بعد اسم بستان الفاضل، نسبةً للقاضى الفاضل الذى كان له بها بستان كبير[٣]. ومكان ذلك يكاد ينطبق على الأماكن الواقعة حوالى مستشفى القصر العينى ومدرسة الطب .

(ج) فى عصر السلاطين من بنى أيوب

ولدينا من عهد الدولة الأيوبية المعالم الآتية :

(١) قلعة المقس التى أقامها صلاح الدين، قال المقريزى: «إنها كانت مطلة على النيل»[٤]، وإنا نحدد موقعها ونعينه فى الجهة التى تشغلها الآن محطة السكة الحديد العمومية .

---

(١) المقريزى ثان ص ١٤٦

(٢) راجع طبوغرافيا الفسطاط لكازانوفا ص ٢١٧ ، وقد وردت نصوص كثيرة عن حركة النيل ، ولكنها غير صريحة . من ذلك ، قول المقريزى رواية عن ابن عبد الظاهر : إن جبل يشكر كان مطلا على النيل ، دون تعيين الزمن ، وقوله أيضا : وكان الكبش يشرف على النيل من غربيه ، المقريزى أول ص ١٢٥ و ٣٥٩ و ٣٦٠

(٣) المقريزى أول ص ٣٤٥

(٤) المقريزى أول ص ٣٨٠ وثان ص ١٢١ و ١٢٢

(٢) قنطرة السدّ التى أقيمت فى أعوام بضع وأربعين وستمائة هجرية (١٢٤٢ م) على الخليج . وهذه القنطرة التى لم تكن لتبعد عن ساحل النيل[1]، مرّ بك تحديد موقعها .

أما فيما يتعلق بساحل النيل حذاء الفسطاط ، فليس لدينا عنه معلومات ثابتة . وانما يمكن القول بأن حركة التنقل على العموم فى هذه الجهة كانت منتظمة ومستمرة .

(د) فى العصر الذى أعقب الدولة الأيوبيـة

استمرت حركة النقلة نحو الغرب على حالها، حتى الأيام الأخيرة . ولكن مساحة الأرض التى انحسر عنها ماء النيل فى هذه المدة، كانت فيما سامت القاهرة أكبر منها حذاء الفسطاط . ومن ذلك حدثت خطة بولاق جميعها بعد سنة سبعمائة من الهجرة . وليست حركة النقلة فى هذا العصر مما يهم موضوعنا .

٣ – تأسيس الفسطاط وتوزيع خططها على القبائل

لما رجع عمرو بن العاص من فتوح الاسكندرية ، قسم بعض الأرض التى قامت عليها مدينة الفسطاط على القبائل ، فاجتمع أهل كل عشيرة فى ناحية .

وقد كانت هذه القسمة الأولى، الأصل فى تسمية خطط المدينة . وانه وان لم يكن من الممكن أن يهتدى الانسان بمقتضى الأوصاف التى أوردها المؤرخون الى معالم تكفى لوضع خريطة مستوفاة تحدّد موقع خطة كل قبيلة بالضبط ، إلا أنه من المتيسر الاهتداء الى مواقع خطط بعض القبائل بمعونة كتاب المقريزى الذى ينقل طبعا عمن سبقه .

فمثلا : خطة أهل الراية[2]، تقع على مقربة من جامع عمرو وتمتد الى قصر الشمع ، وخطة مهرة تقع فى الجنوب الشرقى من أهل الراية ، لأن المقريزى عبر بأنها فى قبليها ، وكان لها خطة

---

(١) المقريزى ثان ص ١٤٦

(٢) قال المقريزى : أهل الراية جماعة من قريش والأنصار وخزاعة وأسلم وغير ذلك وانما سموا أهل الراية ونسبت الخطة اليهم لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان ، فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته ، فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد، فقال : يكون موقفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها (المقريزى أول ص ٢٩٧) .

أخرى على جبل يشكر ، وخطة تجيب تجيء بعدها ، فتكون فى الجنوب أى الجنوب الشرقى من مهرة اذ كان من بين دروبها، درب المصوصة الذى يؤدى الى شرقى قصر الشمع ، أى الشمال الشرقى منه . أما قبيلة لخم، فكان لها ثلاثة خطط : (الأولى) فيما يلى أهل الراية مباشرة، نحو الشمال فتكون فى الشمال الشرقى من الجامع [1] ؛ (والثانية) شرقى كنيسة ميكائيل التى لا تزال قائمة حتى اليوم، (والثالثة) غير بعيدة منها [2] . وخطة اللفيف كانت تلاصق خطة أهل الراية . أما خطط أهل الظاهر، فكانت تمتد شرقى لخم (الشمال الشرقى) حتى العسكر [3] . وخطة وعلان فى جنوب قصر الشمع .

وهناك خطط لم تحدد مواقعها مع الدقة التامة ، مثل : خطة الفارسيين ، فانه يظهر أنهم اختاروها بعيدا عن الخطط السابقة على مقربة من الشرف الذى أقيم عليه فيما بعد جامع ابن طولون، أو لى الأرض التى أقيمت عليها مدينة العسكر [4] . وقد اختير لخولان خطتان : (الأولى) جنوبى قصر الشمع ، (والثانية) فى مكان الكوم المشرف على مصلى خولان [5] . وخطة المعافر موقعها على الشرف المطل على بركة الحبش .

أما القبائل من غير الجنس العربى ، وهم الذين أطلق عليهم الحمراء فقد خصص لهم خطط ثلاث [6] ، تلى الواحدة الأخرى ، من جامع عمرو حتى جبل يشكر . وهذا الجبل سمى باسم القبيلة التى سكنته .

---

(١) طبوغرافيا الفسطاط لكازانوفا ص ٤٩ (٢) يغلب على الظن أن هذه القبيلة كانت كثيرة العدد لأنها اختطت فى مواضع أخرى (راجع المقريزى أول ص ٢٩٧) . (٣) الظاهر أن كازانوفا عين موقعها أبعد من ذلك جنوبا (راجع كتابه المذكور قبله واللوحة رقم ٢) .

(٤) خطة الفارسيين عين كازانوفا موقعها فى الخريطة جنوبى قصر الشمع ، على أن المقريزى يقول صريحا : أنها كانت تشغل جزءا من العسكر .

(٥) اكتشفنا فى هذه الجهة بقايا بناء يشاهد فيه ، بالرغم من تداعيه ، صحن متسع قائم الزوايا ، وجدار به قبلة محكمة الاتجاه . وربما كانت هذه البقايا من مصلى خولان . (٦) وهى الحمراء الدنيا والحمراء الوسطى والحمراء القصوى . وزاد مسيو كازانوفا حمراء رابعة سماها الحمراء الأولى وهو يريد أن يقول أنها غير الحمراء الدنيا ولكنا نرى أن الحمراء الدنيا والحمراء الأولى يدلان على موقع واحد . وقد عين لها مواقع (راجع طبوغرافيا پول كازانوفا ، لوحة رقم ٣) لايمكن أن تنطبق على المواقع الأصلية ، لأن مياه النيل كانت تغمر المواقع التى عينها . وقد يكون اعتمد فى تخطيطه ، على مارواه المقريزى عن ابن المتوج (ج أول ص ٢٩٨) . واذا أردنا أن نأخذ بهذه الرواية تحتم علينا أن نفهم ، أن ما كان يحسر عنه النيل فى انسحابه الى الجهة الغربية من المواقع ، كان يسمى بأسماء المواقع الأصلية التى على الشاطئ .

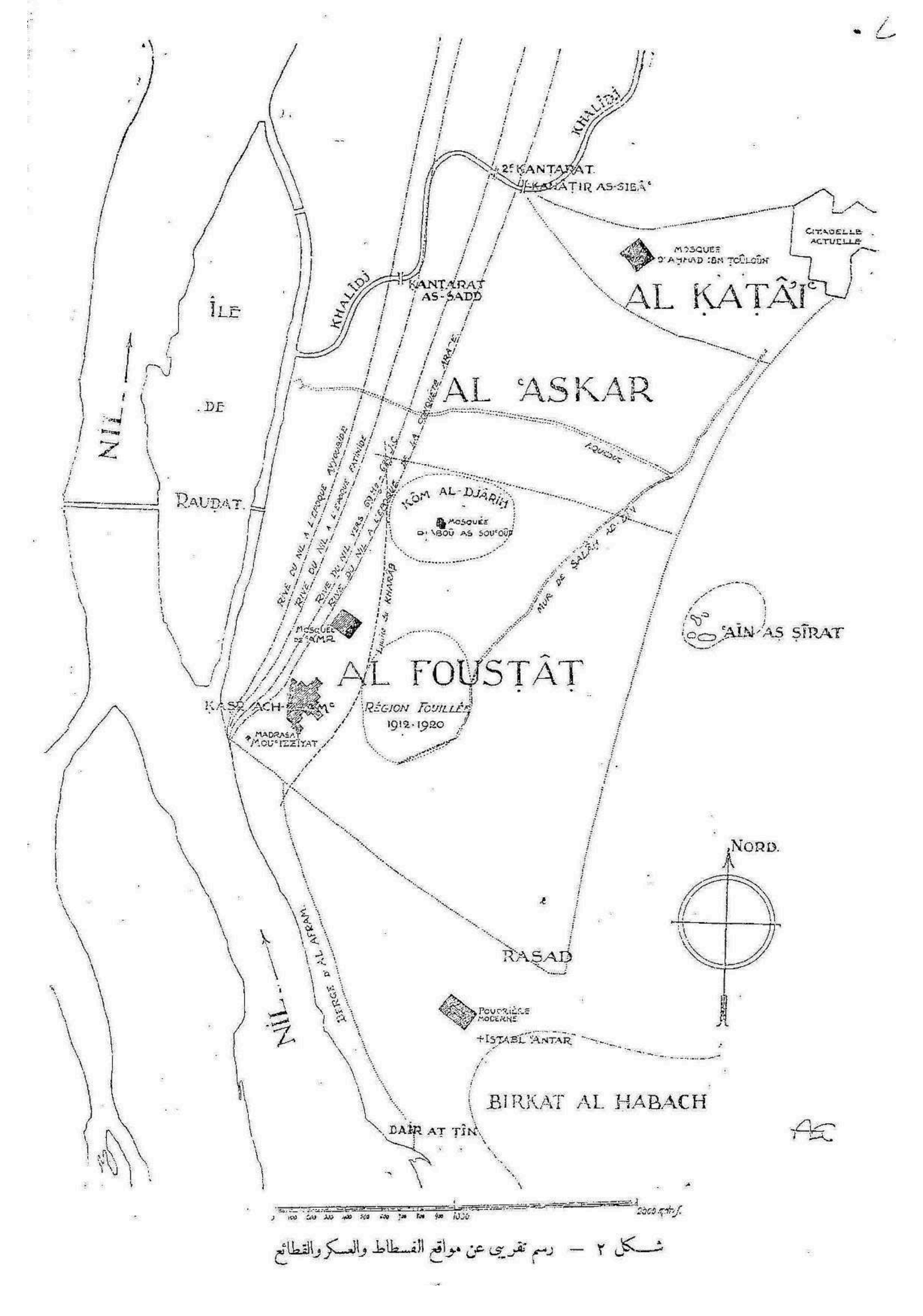
٣ ـ الكلام على المدينة الأولى

قلنا فيما سبق : ان المساكن الأولى لفاتحى مصر كانت قائمة حول الجامع ، وعلى مقربة من قصر الشمع ، وان هذه المساكن كان يزاحم بعضها البعض، فى تلك المنطقة ، وكلما بعد الانسان عنها قل العمار . وأشرنا أيضا الى أن خطة كل قبيلة كانت قائمة على انفرادها متعزلة عن غيرها اذ لا يعقل أن تكون الخطط التى ذكرها المقريزى وأتينا على ملخصها متصلة الدور من النيل حتى عين الصيرة ، ومن جبل يشكر حتى الشرف المطل على بركة الحبش . نقول لا يعقل ذلك، حتى لو فرضنا أنه انضم الى الجند الذى قدم لفتح مصر وعدده اثنا عشر ألفا، أضعاف أضعافهم . بل المعقول أن يتخيل الانسان أن مجموع هذه الخطط ما كان لينشأ عنه مدينة واحدة . وانما كانت الخطط متوزعة فى السهل، من النيل فى الغرب حتى عين الصيرة فى الشرق، ومن جبل يشكر فى الشمال حتى الشرف فى الجنوب ، وأكثرها التصاقا ما كان على مقربة من الجامع ومن قصر الشمع . وكلما ابتعد الانسان عنهما خف الالتصاق حتى يبلغ محيط الدائرة[1] . ومن بين هذه الخطط، خطة الحمراء القصوى ، هدمت فى غضون الحروب الأهلية ، ولم تعد لتعمر إلا عند تأسيس مدينة العسكر .

هذه كانت حالة مدينة الفسطاط فى القرن الأول الهجرى . ولكنها بعد ذلك ، اتسع نطاقها على توالى القرون، ورقت حالها، فاستبدلت خططها بغيرها، واتسعت حدود الخطط وتلاصقت حتى نشأ عن مجموعها مدينة واحدة ، سنأتى فيما يلى على بيان حدودها فى الوقت الذى بلغت فيه أوج كمالها ، حوالى القرن العاشر المسيحى .

---

(١) ومما يدل على تفرق القبائل ، الخبر الذى جاء فيه : «ان همدان ومن والاها استحبت الجيزة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما يعلمه بما صنع الله للمسلمين ، وما فتح عليهم ، وما فعلوا فى خططهم ، وما استحبت همدان من النزول بالجيزة ، فكتب اليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له : كيف رضيت أن تفرق أصحابك ؟ لم يكن ينبغى لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ، ولا تدرى ما يفجؤهم ، فلعلك لا تقدر على غياثهم حين ينزل بهم ما تكره ، فأجمعهم اليك ، فان أبوا عليك وأعجبهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما هنالك ، فابن عليهم من فىء المسلمين حصنا . فعرض عليهم عمرو ذلك ، فأبوا ، وأعجبهم موضعهم بالجيزة ، ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها ، وأحبوا ما هنالك ، فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن فى الجيزة ، فى سنة احدى وعشرين ، وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين» . (المقريزى أول ص ٢٠٦) .



شـــكل ٢ — رسم تقريبي عن مواقع الفسطاط والعسكر والقطائع

٤ – فى حدود الفسطاط والعسكر والقطائع[1]

قال المقريزى : " ان مدينة مصر محدودة بحدود أربعة، فحدها الشرقى اليوم، من قلعة الجبل وأنت آخذ الى باب القرافة، فتمر من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر الى كوم الجارح، وتمر من كوم الجارح وتجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهى الى الرصد حيث أول بركة الحبش، فهذا طول مصر من جهة المشرق . وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق . وحدها الغربى من قناطر السباع خارج القاهرة الى موردة الحلفاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين، فهذا أيضا طولها من جهة المغرب . وحدها القبلى من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهى الحد الغربى الى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى الحد الشرقى ، فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التى تسميها أهل مصر الجهة القبلية . وحدها البحرى من قناطر السباع حيث ابتدأ الحد الغربى، الى قلعة الجبل حيث ابتدأ الحد الشرقى ، فهذا عرض مصر من جهة الشمال التى تعرف بمصر بالجهة البحرية . وما بين هذه الجهات الأربع يطلق عليه الآن مصر[2] " .

ولقد حدد المقريزى المنطقة التى كانت لا تزال عامرة على أيامه حيث قال : " وهذه الجهة (يعنى الغربية) هى أعمر ما فى مصر الآن . وأما الجهة الشرقية فليس فيها شىء عامر إلا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة . ويجاور خط مشهد السيدة نفيسة من قبليه ، الفضاء الذى كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجارح، ثم خط كوم الجارح . وما بين كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيمان[3] " .

ويجدر بنا أن نتبع حدود الفسطاط التى ذكرها المقريزى بشىء يوضحها فنقول : قد وجدنا فى سائر المواقع التى حفرنا فيها على سبيل البحث حتى عين الصيرة، بقايا مبان شبيهة من كل

---

(١) هذا الفصل فيه بعض تعديل أدخله المرحوم على بك بهجت عند ترجمته فنقلناه كما هو من خطه وقد حصل مثل ذلك فى مواضع أخرى من الكتاب.

(٢) المقريزى أول ص ٣٤٣ (٣) المقريزى أول ص ٣٤٣

وجه بالمبانى التى عثرنا عليها فى وسط الفسطاط . ومن ذلك نستنتج : ان المدينة فى أيام عمارها كانت تمتد الى حدود القرافة الحاليـة ، بمعنى أن حدها الشرقى كان فيما وراء الحد الذى عينه المقـريزى .

أما حدها القبلى، فكان ينتهى الى الرصد . وهـذا الرصد وان كان لا يتأتى اليوم تعيين موقعه بالدقة والضبط، لأن أرباب المحاجر نسفوا مكانه كما سيجىء، لكن يظهر انه كان قائما على ذروة الشرف المطل على بركة الحبش . قال المقريزى : «هـذا المكان عرف بالرصد من أجل ان الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى أقام فوقه كرة لرصد الكواكب، فعرف من حينئذ بالرصد»[١] .

هـذه نقطة من نقط الحد القبلى . وقد مرّ بنا أنه فى غضون القرن السابع الهجرى (الثالث عشر المسيحى)، حدثت خطة جديدة جنوبى الفسطاط، امتدت مبانيها حتى دير الطين على ساحل النيل . أما ما سامتها فى الشرق، بين دير الطين والرصد، فلم يكن معمورا . وهذه الخطة الجديدة ذكرها المقريزى فقال : «وأما الجهة القبلية من مصر، فان خط دير الطين حدثت العمارة فيـه بعد سنة ستمائة ، لما أنشأ الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على ابن حنا الجامع هناك، وعمر النـاس فى جسر الأفرم، وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينـة مصر، دار الملك التى موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية»[٢] .

وهذه نقطة ثانية من هـذا الحد، لأن المدرسة المذكورة عين مكانها مسيو كازانوفا فقال : انها واقعـة فى الجنوب الغربى من قصر الشمع ، شمالى باب القنطرة[٣] . ونحن نوافقه على هـذا التحديد ، لمطابقته لمـا نعتقده من أن الحـد القبلى للفسطاط ، كان ينتهى الى النيـل فى القرن السابع الهجرى . يؤيد ذلك جميعه، اتجاه السور الذى أقامه السلطان صلاح الدين فى سنة ٥٧٥ هـ

---

(١) المقريزى أول ص ١٢٥ و ١٢٧ ، لما فرغوا من صب هذه الكرة وتركيبها جربوها ، فوجدوا المشرق الاول لبروز الشمس مسدودا ، فاتفقوا على نقلها الى المسجد الجيوشى فوق المقطم . راجع أيضا مذكرة مكس فان برشم عن «جامع الجيوشى» طبع مصر سنة ١٨٨٨ (٢) المقريزى أول ص ٣٤٧
(٣) راجع طبوغرافيا الفسطاط لكازانوفا ص ٦ كروكى ٣

(١١٧٩ م) وكشف لنا عنه الحفر، فعثرنا على امتداده كله، عدا الجنوبى منه الذى محت المحاجر أثره الى أبد الدهر، فان المتتبع لهذا الاتجاه يحكم، ولا شك، بأن السور كان ينتهى الى النيل عند دار الملك .

أما حدّ مصر من جهة الغرب، فكان هو الساحل الأيمن للنيل . وهذا الحدّ كان ينتقل على تتابع السنين مع تنقل الجسر نحو الغرب .

بقى علينا من حدود مصر الفسطاط، حدها الشمالى . وانا نستعين على تعيين مكانه، بتعيين مكان العسكر التى تليها من الشمال . قال المقريزى : ان حد العسكر من الجنوب هو كوم الجارح، وحدها من الشمال قناطر السباع، ومن الغرب قنطرة السد، ومن الشرق باب المجدّم[1] . فيكون حد مصر الشمالى واقعا بين كوم الجارح وقنطرة السد، ومكانهما معروف .

هذا وفى الشمال من العسكر، قامت القطائع حول جامع ابن طولون . وهذه القطائع كانت تمتد غربى القلعة وتنحصر فى الحدود الآتية : من الشمال، خط ينطبق عليه شارع الصليبة . ومن الغرب، قناطر السباع أى نواحى المشهد الزينبى . ومن قبليها، العسكر . ويدخل فى هذه الحدود : سوق جامع ابن طولون، والقبيبات، والرميلة، الواقع كل ذلك تحت القلعة[2] .

٥ — رسم تقريبى يبين مواقع الفسطاط والعسكر والقطائع

من مقتضى البيانات المتقدمة، قد وضعنا الرسم التقريبى (شكل رقم ٢) . وهو رسم نحن فى غنى عن القول بأنه لا يطابق الحقيقة تمام المطابقة، إلا أن الغرض منه تقريب أوضاع المدن الثلاث السابقة على تأسيس القاهرة . ومنه يعلم، مع الوضوح التام، أن عاصمة مصر الاسلامية كانت تنتقل من الجنوب الى الشمال . من مكان الى مكان يليه، كما هو الحال فى الوقت الحاضر، اذ نرى المدينة تمتد خططها الحديثة نحو الشمال .

---

(١) المقريزى أول ص ٣٠٥ وثان ص ٢٦٥ (٢) المقريزى أول ص ٣٠٥

٦ – فى خـــراب المدينـــة

فى الرسم التقريبى السابق ، عينا للمدينـة النطاق الذى كانت تشغله فى أيام بلوغها أوج كمالها عند تأسيس القاهرة ، فى القرن الرابع الهجرى (العاشر المسيحى) . وليس عندنا شك فى أن الفسطاط من هذا الوقت وقف نموها، ثم أخذت تتدهور . فان قيل وكم بلغ خرابها على عهد المستنصر الذى حكم من سنة ٤٢٧ الى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ الى سنة ١٠٩٤ م)؟ نقول ان غاية علمنا ان السكان هجروها فى ذلك العهـد بكثرة ، وان الخراب اسـتولى شيئا فشيئا على دورها ، ومساكنها ، حتى جاء حريق شاور .

وليس يخطر لنـا على بال ، أن نحدد المنطقة المهجورة تمـاما . ولكن يظهر من نصوص المؤرخين التى ذكرناها فيما سبق [١] ، أن مدينتى العسكر والقطائع كانتـا فى أوائل القرن السادس الهجرى يبـابا خرابا . كما أن المناطق البعيدة عن وسط الفسطاط كانت خاليـة عن السكان ، بحيث كان منظر المدينة كلها وقتئذ عبارة عن صف من المبانى يمتد على ساحل النيل .

وفى نحو سـنة ٥٧٦ [٢] هـ (١١٨٠ م) ، أمر صلاح الدين، باقامة سور يصل القلعة بجنوبى الفسطاط . وقد تبين لنا من الحفر، أن هـذا السور كان يضم فى باطنه بعض دور متخربة ، كما سنبينه عنـد ما نحدد العصر الذى ترجع اليه الأبنيـة التى كشفناها ، فانه جاء قاطعا لسلسلة من الدور حفر خلالها خندق رمى فيه أساسه . ولم تكن الفسطاط وقتئذ تشغل المثلث المكون

---

(١) المقريزى أول ص ٣٠٥ و ٣٢٧ و ٣٦٥ وثان ص ١٠٠ الخ .

(٢) ذكر المقريزى : أن صلاح الدين ابتدأ فى عمارة السور فى سنة ست وستين وخمسمائة ، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله ، فلما كانت سنة ٥٦٩ «وقد استولى على المملكة انتدب لعمل السور الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى فبناه بالحجارة ... ...» (أول ص ٣٧٩ س ٢٩) .

وقال فى ترجمة صلاح الدين ، انه : «قدم القاهرة فى سادس عشرى ربيع الأول سنة ٥٧٢ فأمر ببناء سـور يحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل ، وأقام على بنائه بهاء الدين قراقوش الأسدى فشرع فى بناء قلعة الجبل وعمل السور وحفر الخندق حوله ... ...» (ثان ص ٢٣٣ س ٣٢) .

وعلق على ذلك فان برشم ، فرجح التاريخ الأخير وقال أن سنة ٥٦٦ تعين بدء الوقت الذى تمكن فيه صلاح الدين من مصر ، لأن المقريزى أتى بهذا التاريخ على وجه الاطلاق . (الجريدة الأسيوية سنة ١٨٩١ ص ٤٤٧ ملحوظ رقم ١) .

وقال كازانوفا فى الجريدة المذكورة ، والمجلد السابع عشر ص ٣٢٥ – ٣٢٩ ، يحتمل أن صلاح الدين وضع مشروع بناء السور منذ سنة ٥٦٦ ولم يشرع فى تنفيذه إلا فى سنة ٥٧٢ ، وقد استمر العمل حتى وفاته ولم يتم .

عكوش

من خط السور والنيل . وهو المثلث الذى تكوّن القلعة رأسه فى الشمال الشرقى ، ودار الملك رأسه الثانية فى الجنوب ، وفوهة الخليج رأسه الثالثة فى الشمال الغربى ، لأن الخراب لم يكن قاصرا على ما كان ظاهر السور ، بل كان يمتد فى باطنه أيضا . ولذا كان السور مستقيما ، بمعنى أنه لم يراع فى حفر أساسه سمت الخطط التى كانت لا تزال عامرة وقتها .

وقد مرّ بك فيما سبق ، أنه فى حوالى سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) ، أنشئت فى المنطقة بين دار الملك وذير الطين ، أعنى خارج سور صلاح الدين على حافة النيل ، خطة أغلب مبانيها من المناظر والهوادج الفاخرة . وانه للحصول على مواد البناء اللازمة ، نهبت الدور المهجورة من الفسطاط ، فجاء بعض العامة وأقام له مساكن فوق تلك الدور المهجورة منتفعا بما أمكنه الانتفاع به من أسسها وجدرانها . ولكن هذه المساكن كانت منعزلة عن بعضها البعض ، فلم ينشأ عنها خطة كاملة، كما أثبته القلقشندى[1] . ومن ثم يمكن الجزم بأن خرب المدينة لم يعمر من جديد .

أما المدينة التى أتى على وصفها فى القرن الثامن الهجرى (الخامس عشر للسيح) ، كل من ابن دقاق والمقريزى ، فانما هو الجانب الغربى من الفسطاط . على أن حدود الخراب لم تكد تتغير فى القرن الثامن الهجرى ، عما كانت عليه فى أواخر القرن الخامس . ومن مجموع النصوص المضبوطة المتعلقة بالخطط التى أوردها مؤرخو العرب ، يمكن الوقوف على امتداد منطقة الخراب ، وامتداد نطاق المدينة المعمورة فى ذلك العهد . ويكفى للوقوف على حدودهما ، وضع النصوص الآتية بعضها بجانب بعض وتطبيقها على الطبيعة :

(أ) خراب المدينة : يشمل كوم الشقاف ، وكوم الجارح ... وكوم الجارح ، وخطة باب الصفا ، وخطة أبى السعود ، كل ذلك خراب[2] .

(ب) كوم دينار : يسكنه بعض العامة من الناس وهو مجاور لكوم المشانيق ، وواقع فى الخراب[3] .

(١) القلقشندى ثالث ص ٣٣٨ (٢) ابن دقاق رابع ص ٥٣ (٣) ابن دقاق رابع ص ٥٣

(ج) رحبة دار الولاية ، فيما بين حبس بنانة وسوق الغزل فى الخراب[١] .

(د) درب المصاصة : خراب ، وهو مجاور لخط قصر الشمع وزقاق ابن بكر وهو من أزقة درب المصوصة ، ويتوصل اليه من الدرب الجديد من تجيب ، ومن درب الكرمة ، ومن درب أبى بكر بسويقة اليهود بالمصاصة ، وهذه الأماكن كلها اليوم خراب[٢] .

وموقع الكيمان فى هذه النصوص ، معروف محدود . ورحبة دار الولاية ، محلها فيما بين جامع عمرو وقصر الشمع ، أما خط المصاصة فكان يمتد على ما أبانه مسيو كازانوفا فى شرقى تجيب المعلوم موقعها[٣] .

وبناء على ما تقدم ، يكون حد الخراب من المعمور على أيام ابن دقاق ، هو خط مواز للنيل تقريبا مار شرقى جامع عمرو وقصر الشمع . ومن ثم يمكن الجزم بأن المنطقة التى كشفناها واقعة كلها فى خراب المدينة .

٧ – فى جزيرة الروضة

كانت جزيرة الروضة[٤] ، من ملحقات الفسطاط الطبيعية . وعند فتوح مصر التجأ اليها الروم فى خروجهم من بابليون . وكان بها بساتين ، وحدائق جميلة ، ولها فى جميع جهاتها أسوار منيعة . وبعد أن حاصرها عمرو طويلا ، وهرب الروم منها ، دك عمرو أسوارها وبقيت خرابا حتى جاء ابن طولون ، وحصنها من جديد فى سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) ، واتخذ فيها القصور لنسائه . ثم طغى عليها الماء فدمر تلك الدور والقصور شيئا فشيئا[٥] . وجاء محمد بن طغج الاخشيد وبنى فيها فى سنة ٣٢١ هـ (٩٣٢ م) دارا له ، ذات بساتين . واتخذ فيها دارا للنوبة ودارا للغلمان[٦] .

(١) ابن دقاق رابع ص ٣٦ (٢) ابن دقاق رابع ص ١٤ وورد النص الآتى فيه رابع ص ١٦ "زقاق الزمامرة بتجيب" نافذ الى المصاصة وقد سد من أوله لجهة تجيب لاستيلاء الخراب . (٣) طبوغرافيا الفسطاط لكازانوفا ص ١٢ كروكى ٦ (٤) هذه الجزيرة على قول كازانوفا لم تكن موجودة فى زمن الفراعنة وكان موقعها وقتئذ جزءا من الشاطئ الأيسر للنيل (راجع كازانوفا ومقدمة طبوغرافيا الفسطاط ص ٢٥ الملحوظ الثانى) .
(٥) المقريزى ثان ص ١٨٠ (٦) المقريزى ثان ص ١٨١

وعلى أيام الفاطميين، أصبحت جزيرة الروضة من المتنزهات، وأنشئت فيها المناظر الكثيرة . أما فى أيام السلاطين من بنى أيوب، فقد دخلت الجزيرة بما حوته، فى ملك ابن أخ صلاح الدين ثم استأجرها الملك الصالح أيوب لمدّة ستين سنة ، وبنى فيها قلعة وكل حراستها الى المماليك من جنده وأطلق عليهم اسم البحرية[1] . وعلى عهد أوّل الملوك البحرية ، وهو المعز أيبك ، هجرت الروضة وهدم السلطان قلاون مبانيها ليستعملها فى المارستان المنصورى . وكذلك ابنه الناصر، انتفع بما بقى من مواد بنائها .

الجسران الموصلان بين الروضة وساحلى النيل :

يظهر أن الروضة ، كانت متصلة قبل الفتح الاسلامى بساحلى النيل بجسرين من المراكب . وقد أورد المقريزى ، عن خروج المقوقس من بابليون ، روايات مختلفة . فقال فى الرواية الأولى : «لما رأى القوم (القبط) الجد من المسلمين على فتح الحصن والحرص، ورأوا صبرهم على القتال ورغبتهم فيه ، خافوا أن يظهروا عليهم ، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط ، وخرجوا من باب الحصن القبلى، ودونهم جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر[2]، وذلك فى جرى النيل»[3] . وفى الرواية الثانية أغفل ذكر الجسر، فقال : «وكان هذا الحصن مطلا على النيل ، وتقبل السفن الى بابه الغربى الذى كان يعرف بباب الحديد . ومنه ركب المقوقس فى السفن فى النيل[4] ، من بابه الغربى قبالة مصر» .

وفى الرواية الثالثة ، عند الكلام على شروط الصلح بين المقوقس وعمرو بن العاص ، قال : «أجاب الثانى الأوّل الى ما طلب على أن يضمنوا (القبط) له الجسرين جميعا» . وهذان الجسران، كما هو المفروض، كانا يصلان الروضة بالساحلين[5] .

---

(١) ابن دقماق رابع ص ١٠٩ و ١١٠، وفى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى كانت هناك بقايا من الأبنية المهمة لا تزال قائمة (راجع كتاب وصف مصر، ج ١ لوحة ٥٣ ، والمجلد الثانى (المتن) قسم ثان ص ١٥٩ ومابعدها . (٢) سيأتى فيما بعد بيان المواضع التى أقيمت فيها دار الصناعة . وقد ذكر المقريزى هنا أحد الرواة ولم يأت بالاسم ولا التاريخ . (٣) المقريزى ج ٢ ص ١٧٨ (٤) المقريزى أول ص ٢٨٦ (٥) لم يكن موجودا فى القرن الحادى عشر الميلادى غير جسر واحد مكون من ٣٦ مركبا بين الروضة ومصر (ناصر خسرو "سفرنامه" ص ١٥٣) . وورد فى هذا الكتاب النص الآتى : "ومن المدينة قسم على الشاطئ المقابل من النهر (الجيزة) ولا جسر هناك والعبور بالسفن أو القوارب" .

٨ – دار الصناعة

كان لبناء المراكب عدة دور ينشأ فيها الأسطول ، يسمونها دار الصناعة . فأول دار للصناعة أنشئت كان مقرها الروضة . قال الكندى : انها أنشئت سنة ٥٤ للهجرة (٦٧٣ م)[١] وكانت تبنى فيها السفن حتى أيام ابن طولون . وهذه أحرقت فى سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) أحرقها أسطول محمد بن طغج الاخشيد . ولما رأى فى وجودها على شاطئ الروضة خطرا على الفسطاط، نقلها اليها فى سنة ٣٢٥ هـ . وبنى فى مكانها دارا[٢] أحاطت بها البساتين الفيحاء . ولكن يظن أن دار صناعة الروضة بقيت ، أو بقى بعضها ، ينبى بها الأسطول ، لأن المؤرخين اتفقوا على القول ، بأنه كان هناك داران للصناعة على عهد الفواطم : احداهما فى الروضة ، والأخرى فى الفسطاط[٣] . وهذا الظن يؤيده التاريخ، لأن الظاهر بيبرس أنشأ فى الروضة أسطولا كاملا ليعوض به ما دمره له فرسان القديس يوحنا المقيمون فى القدس فى محاربته إياهم عند جزيرة قبرس[٤]، وابتنى الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، دار صناعة فى المقس[٥]، بحيث أصبح حينئذ عدد الدور التى تنشأ فيها المراكب ثلاثة . ولا شك فى ان دار صناعة الفسطاط منذ انشائها فى سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) ، كانت أكبر الثلاثة وأكثرها انشاء . وقد ترك لنا المقريزى نصا حدد فيه مكانها حيث يقول: «ان البستان الذى قام على أرض دار الصناعة، هو بستان الطواشى . وهو فى أول مراغة مصر حذاء غيط الجرف على يسار الذاهب من المراغة الى باب مصر[٦]» . وفى هذا الوصف كفاية لتحديد موقع دار الصناعة فى المنطقة الواقعة قبلى مجرى العيون .

٩ – فى مينا الفسطاط

لم يمض زمن طويل على تأسيس الفسطاط، حتى غدت ميناء عظيمة على النيل، بل أعظم ميناء فى مصر كلها . استمرت فيها حركة الوارد والصادر حتى فى الأيام التى زاحمتها القاهرة ، فأربت عليها . وفى أواخر أيام بنى أيوب زارها ابن سعيد المغربى، فاندهش من حركتها حيث

(١) المقريزى ثان ص ١٧٨ (٢) المقريزى ثان ص ١٨١ (٣) المقريزى أول ص ٤٨٢ (٤) ابن دقاق رابع ص ١١٠
(٥) المقريزى أول ص ٤٨٢ و ٤٨٣ (٦) المقريزى أول ص ٤٨٢

يقول : « ثم انفصلنا من هنالك (يعنى عن الفسطاط) الى ساحل النيــل ، فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف، ولا متسع الساحة، ولا مستقيم الاستطالة، ولا عليه سور أبيض، إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الأرزاق التى تصل من جميع أقطار الأرض والنيل . ولئن قلت : انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل ، فانى أقـول حقا . والنيل هنـالك ضيق، لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قاعته، قد توسطت المـاء ومالت الى جهة الفسطاط . وبحسن سورها المبيض الشامخ، حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل... ... ، الى أن قال : وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى ، والبحر الحجازى، فانه فوق ما يوصف . وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز الى القاهرة وسائر البلاد ... ...[١] » .

وغنى عن البيان ، ان الجزيرة التى ذكرها ابن سعيد فى الجملة الأولى ، انما يقصد بها جزيرة الروضة التى اتخـذها السلطان الصالح أيوب قلعـة لجيوشه من المـماليك البحرية كما مر . ومن عبارات المؤرخين يعلم أن المراكب كانت ترسو فى الميناء فى أماكن معينة لها حسب شحنتها . فمثلا : المراكب المشحونة بالحبوب[٢] كانت ترسو فى موردة الحلفاء من الساحل . وفى ناحيـة أخرى منه، كانت ترسو المراكب المشحونة بالأخشاب[٣] المخصصة لبناء المراكب أو لأشغال التجارة . وفى أخرى منـه كانت موردة السمك التى كانوا يطلقون عليهـا من باب التغليب اسم ساحل البورى[٤]، وهو نوع خاص من السمك .

١٠ – فى القـــرافه

ان أول قرافة للمسلمين، كانت تمتد فيما بين مصلى خولان الى المعافر . وخصص فى جنوب هذه القرافة جهة لدفن موتى الأقباط[٥] .

ولقد كان الخلفاء الفاطميون ، يدفنون موتاهم فى تربة الزعفران من القصر الكبير . أما الرعية فكانت تقبر فى قرافة مصر . واذ كانت مدينـة مصر انحطت منزلتهـا حينئذ ، امتدت حدود

(١) المقريزى أول ص ٣٤٢ (٢) المقريزى أول ص ٣٤٥ (٣) المقريزى أول ص ٣٣٢ (٤) المقريزى أول ص ٣٤٤
(٥) المقريزى ثان ص ٤٤٣ و ٤٤٤

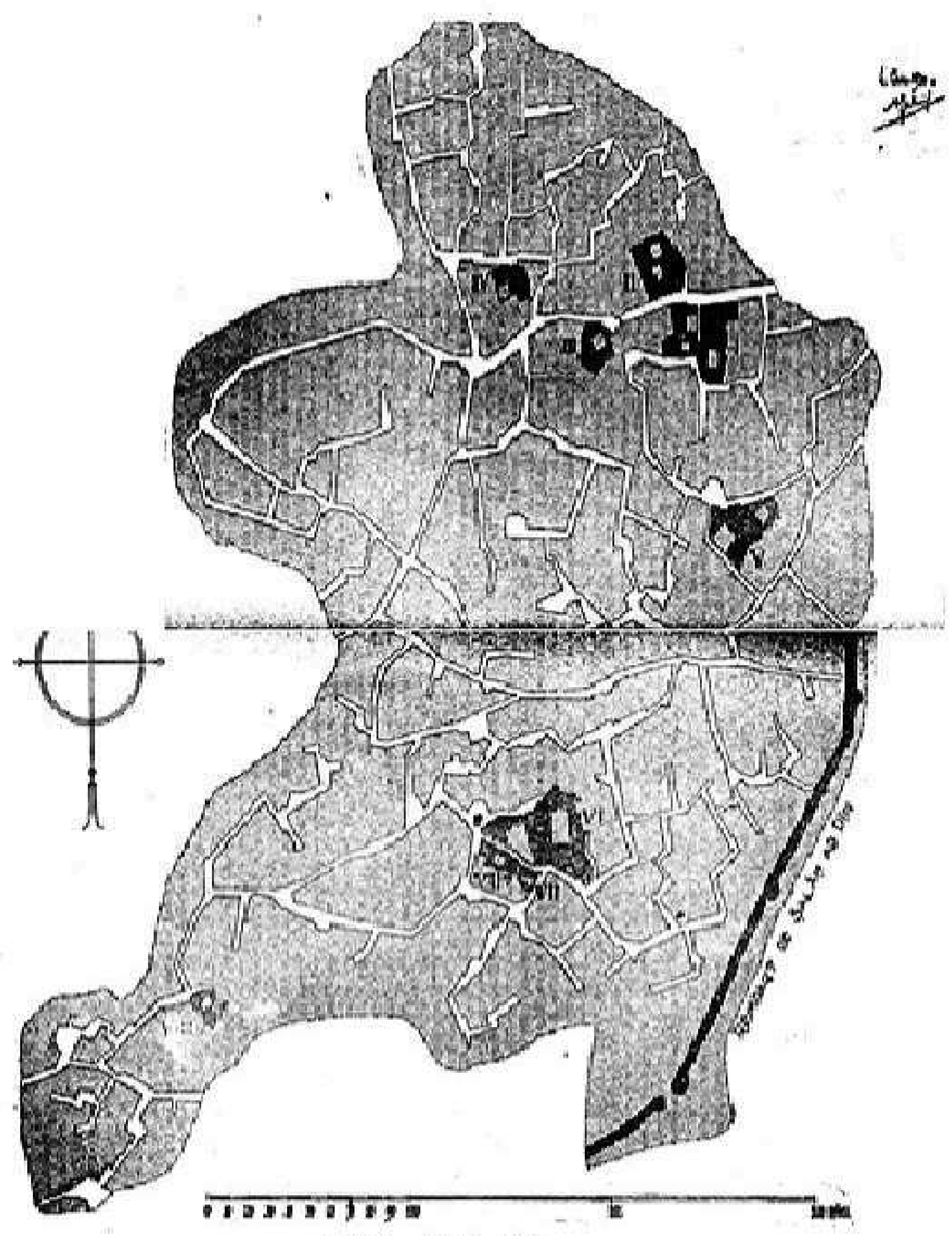
القرافة حتى عدت على ما خلا من ساكنيه من خطة المعافر ، وعلى الخصوص من خطة بنى قرافة ، التى هى فرع من الأولى . ومن هنا أطلق اسم القرافة على المدافن بتلك الجهة أولا ، ثم عم سائر المدافن . وفى أيام سلاطين بنى أيوب ، أنشئت حول تربة الامام الشافعى ، جملة قبور أطلق على مجموعها اسم القرافة الصغرى ، وقل الدفن فى القرافة الكبرى ، الى أن عاد اليها على أيام الناصر بن قلاون[1] .

وبعد سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) ، أخذوا يقبرون الموتى تحت المقطم ، فيما يلى قلعة الجبل . وبعدئذ انتشرت القرافات فى شرقى القاهرة وشماليها[2] .

خندق القرافة — ويجدر بنا قبل أن نختم الكلام على القرافة ، أن نذكر الخندق الذى حفر حولها فى القرن الأول للهجرة . ذلك ، أن عامل ابن الزبير على مصر لما خشى أن يأخذه مروان على غرة فى عاصمة ولايته أمر فى سنة ٦٥ للهجرة ، فحفر على الفسطاط خندق . وكان هذا الخندق ، يبتدئ من المكان الذى دفن فيه فيما بعد الامام الشافعى ويخترق أرض القرافة الى بركة الحبش . وفى سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) كان هذا الخندق قد انطم ، فأعيد حفره عند وقوع الشقاق بين الأمين والمأمون ولدى الرشيد . وقد ذكر ابن زولاق : أن هذا الخندق جدد حفره على يد جوهر القائد سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠ م) خشية من القرامطة الذين كانوا يكثرون الغارة على مصر[3] .

---

(١) المقريزى ثان ص ٤٤٣ و ٤٤٤ (٢) المقريزى أول ص ٣٦٥ وثان ص ٤٤٤ (٣) المقريزى ثان ص ٤٥٨ و ٤٥٩



شكل ٣ — الخريطة العربية لمدينة القدس

الباب الثالث

بع الخـريطة العموميـة للفسطاط وهيئتهـا

---

١ ـ مميزات عمليـة التنقيب على الآثار فى الفسطاط

أشرنا فيما سلف الى المحن التى نزلت باطلال الفسطاط حتى أيامنا هـذه، وصرحنا بأن جمع مواد البناء منها وخصوصا الآجر قد أزال بقايا الأبنيـة القديمة من بعض جهاتها ومحى جدرانها الى الصخر . نقول بعض الجهات ، لأن تخريب الأبنية التى كانت باقية لم يحصل على السواء، فبينا نرى دارا من دارين متلاصقتين بقت جدرانها قائمـة على ارتفاع متر ومترين فأكثر، نرى الدار الأخرى محيت جدرانهـا الى الصخر بحيث لا نجـد ملصقا به إلا بعض قطع من الآجر أو أثر المونة فقط . وقلنا، ان زوال الجدران الى هـذا الحدّ سببه الترخيص لجامعى الآجر باقتلاع الجدران من أساسها[١] . وقلنا أيضا، ان الترخيص باستخراج الحجر من وسط المدينة البائدة بفتح المحاجر فى قلبها ، قد أدى الى نتيجة لم تكن فى الحسبان : ذلك ، لأن هـذا الترخيص اقتضى ضرورة المحافظة على الطريق المؤدى الى المحاجر، والمحافظة عليه أدت الى حفظ المبانى القائمة تحته . فكان ما كشفناه من الدور على طول هذا الطريق أتم من غيره حفظا .

وهاك بيان الطريقة التى اتبعناها فى كشف الأبنية : كنا نثابر على العمل حفرا كان أو ردما حتى نبلغ مستوى أرض تلك المبانى والحوارى ، ومتى وصـل الحفر الى هـذا المستوى ووجدنا علامات ثابتة كبلاط الدور أو عتب أبوابهـا ، نوقف العمل حتى يكشف البناء الكشف النهائى

---

(١) من المحتمل جدا أن بعض البيوت هـدمت من أعلاها الى أسفلها بعـد ان هجرت المدينـة بزمن قريب . وكان ذلك على كل حال قبـل أن تتكون الكيمان .

بالطريقة الفنية . أما اذا تعسر الحصول على شيء من بقايا جدران الأساس، فقد كنا ننزل بالحفر الى الصخر . هذا، ولم يؤدّ بنا الحفر فى كثير من المواقع إلا الى الأسس المتخذة من الحجر أو الآجر[1] . وفى بعضها لم يكن ليقع نظرنا فوق الصخر كما قلنا، إلا على بقايا قطع من البناء لا يفهم الغرض منها[2] . وفى البعض الآخر، كان لا يقع على شيء أصلا سوى المجارير والآبار المنقورة فى الصخر التى هى من الأدلة على وجود الأبنية القديمة[3] . ومما سبق يتبين أن سائر المواقع التى كشفت ليست فى درجة واحدة من حفظ مبانيها ولا فائدتها الأثرية . وهذا هو السبب فى عدم وضوح تخطيط الطرقات فى بعض المواقع، كما هى واضحة جلية فى تخطيط مدينتى پومپى وديلوس .

٣ ــ خريطة الفسطاط العمومية (شكل

(أ) الشوارع والدروب

اتبعنا فى رسم شبكة الشوارع والدروب الطريقة الآتية :

لما كان كثير من الجدران لا يزال قائما وكانت جدران الدور الخارجية واقعة على حافة الحوارى والدروب، فقد كانت لنا من هذه الجدران معالم يهتدى بها فى التحديد . أما فى المواقع التى أزيلت منها الجدران، فقد لاحظنا أن الآبار التى تصب فيها قصبات المراحيض وتتصل بها مجارى تصافى المياه المنزلية كلها إلا النادر، قائمة على حافة الدروب . واذ كانت هذه المجارير كثيرة العدد وباقية على أصلها لأنها منقورة فى الصخر، فقد أضحت لدينا معالم ثابتة لم يكن علينا إلا أن نوصلها ببعضها البعض للحصول على مجموع شبكة الشوارع والدروب، ولا يبقى لدينا مما يشك فيه من الخطوط إلا القليل الذى لا يغير شيئا فى هيئة الرسم العمومى .

---

(١) يشاهد مثلا فى اللوحة ١٥ تحت رقم ١، بقايا أساس من الحجر . وقد اندثر الجدار وكان من الآجر ولم يبق منه إلا بعض قطع متفرقة . ويشاهد فى اللوحة ١٦ تحت رقمى ٤ و ٦، قطع من أساس من الآجر . ومن فحص الرسوم المبينة بها حالة الدور الآن يتضح اننا فى اعادتها فى الرسم الى حالتها الأولى، كان اعتمادنا على بقايا الأساس .

(٢) راجع اللوحتين الحادية عشر والثانية عشر الموضوعتين عن الدارين الثالثة والسادسة اللتين تكلمنا عليهما فى الباب الرابع .

(٣) راجع اللوحة الثالثة عشر . وهى مواقع يتعذر فيها بالمرة محاولة تخطيطها على ما كانت عليه .

(ب) هيئة الدروب وخصوصياتها

لم تتبع فى رسم الشوارع والدروب طريقة يشترك فيها الجميع ، بل هى عبارة عن تيه من الطرقات المختلفة الاتساع والامتداد، فأكبرها لا يزيد عرضه عن ستة أمتار ، وأضيقها لا يتجاوز مترا ونصف متر . ومجاميع الدور التى تحيط بها تلك الدروب تختلف فى المساحة عن بعضها البعض . وفى بعض الأحيان نرى المتسع منها منقسما بخوخة أو عدّة خوخات .

ولما كانت المنطقة التى كشفناها خرابا ، وقت أن كتب ابن دقماق والمقريزى كتابيهما فى خطط الفسطاط، كما سبق، لذلك لا يتأتى البحث فى تقريب الدروب والحوارى التى كشفت مما ذكر فى كتابى هذين المؤلفين . ولذلك أيضا، أدّى التقريب الذى عمله مسيو كازانوفا وبرهن به على قوة الصبر على العمل ، الى نتيجة لا تنطبق على الواقع فى بعض المواقع .

وقد كان يطلق على الطرقات فى الفسطاط، بنسبة عرضها واتساعها، إما اسم شارع أو حارة أو درب أو زقاق . وكانت الأسواق بمعزل عن بعضها البعض ، ويطلق عليها اسم أرباب الحرفة والصنعة التى تباع فيها مصنوعاتهم، فيقال مثلا : سوق العطارين ، وسوق السماكين ، وسوق القشاشين ، وسوق الغرابليين ، كما هو الحال اليوم فى الشرق كله .

وكانت الخطط تنسب الى صنعة من الصنائع ، أو تجارة من التجارات . وقد تنسب لبعض الجوامع أو الكنائس . وليس غريبا أن تكون طريقة التسمية هذه باقية من العصور القديمة، فيصح تطبيقها على المنطقة التى نحن بصدد الكتابة فى موضوعها[1] . ومن ثم يلتمس لنا العذر اذا نحن لم نتمكن من العثور على اسم بعض الشوارع أو الخطط المكشوفة، خصوصا، اذا روعى

---

(١) الجهات التى تكلم عنها ابن دقماق والمقريزى من المدينة تختلف عن المواقع التى جرى فيها الحفر، لأنها فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) كان قد مضى عليها زمن طويل وهى مردومة تحت الكيمان . ولا يخفى أن ابن دقماق والمقريزى كانا ينقلان عن غيرهما ممن كان قبلهما معاصرا للعهد الذى كان فيه الفسطاط زاهيا زاهرا . ولما كانت العادة والنقل بالتواتر لهما فى الشرق الأثر الذى نعلمه من قوة البرهان ، فان ذلك يكفى لأن يبرر استشهادنا بابن دقماق والمقريزى .

عدم النصوص الدقيقة فى المؤلفات التى كتبت فى الخطط والآثار . ولذلك لا يسعنا القول بأن هذا الدرب كان به قبو[1] أو سقيفة[2] إلا بالتقريب على سبيل التخمين .

أما الدروب المسدودة ، التى عندنا منها أمثلة كثيرة ، فيظهر أنه لم يكن لها أسماء خاصة ؛ وابن دقماق يسميها زقاق غير نافذ[3] .

(ج) أبواب الدروب

كانت القاعدة المتبعة فى الشرق، منع السير فى الطرقات ليلا بواسطة إغلاق أبواب الدروب، الى أن كانت سنة ١٦٢ هـ (٧٧٨ م) ، رأى الأمير يحيى بن داود ، عامل مصر، أن يبطلها[4] من الفسطاط . ويظهر لنا أن عتبة الباب التى كشفناها غربى الدار نمرة ٣ من قبيل عتبات الأبواب التى كانت تغلق فى ذلك العهد (راجع شكل ١٤) . وكان لهذا الباب مصراعان بدليل بقاء سكرجتيه على أصلهما منقورتين فى الحجر .

(د) الرحاب

يرى المتأمل فى الرسم الذى وضعناه للفسطاط ، رحابا صغيرة ، تقع أحيانا عند تلاقى بعض الشوارع . وهى عبارة عن اتساع ملتقيات بعض الدروب ، لارحاب حقيقية . والرحاب التى ذكرها ابن دقماق لم تكن على ما يظهر أوسع ولا أفسح[5] .

---

(١) ذكرها ابن دقماق كثيرا : وكان البعض يحمل المجارى والفساق ومخالع الحمامات (ابن دقماق رابع ص ٥٤) .

(٢) كانت السقائف يقام عليها أيضا بعض الأبنية العظيمة . من ذلك سقيفة الزوايا كان يعلوها مسجد كبير وله سكن حسن (ابن دقماق رابع ص ٤٦) . وكانت هناك سقائف حاملة لدار ابن ناصر الدين الشرابى (ابن دقماق رابع ص ٤٦)، ودار ابن العجان السمسار (ابن دقماق رابع ص ٥٠)، وأخرى سفل مسجد عماد الدين والزبير وشجاعة (ابن دقماق رابع ص ٤٦) . وكان البعض على هيئة أروقة على الشارع ، ومن ذلك : سقيفة الربع العادلى ، وكانت ساباطا مستطيلا بطول الربع المذكور من بحريه الى شرقيه ، محمولة على سور الربع المذكور . وهى على عمد صوان تقابله (ابن دقماق رابع ص ٥٠) . ومن هذا القبيل قول ناصر خسرو : ان بعض الأسواق والشوارع تضاء بالقناديل ، لأنها مسقوفة لا يصل اليها النور ، ويمر الناس فيها (ناصر خسرو «سفرنامه» طبع شيفر ص ١٤٧) .

(٣) ابن دقماق ج ٤ ص ٤٧ ؛ ويطلق على ذلك عقبة غير نافذة (ابن دقماق قبله) . والظاهر أن بعض الدروب المسدودة كان مسقوفا ، كسقيفة الكباد . وكان سفلها كباد عنده أقواس يعلم بها الرمى وبصدره أوماج يرمى فيه وعلوها دار كانت قديما للوفق بن المهدوى (ابن دقماق رابع ص ٤٦) .

(٤) كان ابن داود من أشد الناس ، وأعظمهم هيبة ، وأقدمهم على الدم ، وأكثرهم عقوبة ، فمنع من غلق الدروب والحوانيت (المقريزى أول ص ٣٠٧) .

(٥) ابن دقماق رابع ص ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ وما كان أوسع وأفسح من ذلك يسمى "ميدان" .

(هـ) طبقة أرض الفسطاط

بنيت المدينة على كتلة عظيمة من الصخر تشمل هضابا، ووهادا . وتتبع الشوارع والدروب على العموم اختلاف وجه الأرض القائمة عليها . وفى غالب الأحايين ترى بين أرحبة الشارع والصخر طبقـــة غير كثيفة من الرمل . وفى بعض المواقع يرى الصخر ظاهرا مكونا لأرض الشارع . ولقد أشار الى هذه الميزة، السائح العجمى ناصر خسرو، حيث يقول : بنيت مدينة مصر خشية طغيان المـاء عليها فوق هضبة من صخور كبيرة ، وسميكة . ولمـا خططت الشـوارع والدروب ومهدت أرضها كسرت تلك الصخور، فنشأ عن كسرها عقبات[1] اهـ .

نقول : وهـذه العقبات قد أبان لنا الحفر فى أطلال الفسطاط عن كثير منها . ويظهر أن أرض الدروب وغيرها من الطرقات لم تكن مبلطـة ، فانا لم نعثر مطلقا فى أى موقع من مواقع المدينة المكشوفة على أثر للبلاط أو أن الأرض مفروشة بمـادة أخرى .

(و) الآبار السـابلة

ذكر ابن دقاق بعض الآبار السابلة[2]، وقال : ان بعضها قائم فى وسط الطريق[3] . وقد كشف الحفر بئرا من هذا القبيل، واقعة فى وسط رحبة صغيرة . وسيجىء لنا ، أن هذه البئر كانت تمد بمائها حوضا فى احدى الدور القريبـة منها، يجمعه بها عقد[4] . وهى أول بئر عثرنا عليها من هذا القبيل . وليس ذلك بالغريب لأن البيوت التى تحوى الآبار كثيرة العدد[5] .

٣ ــ منظـر بقـايا المديـنـة

كل من زار أطلال الفسطاط التى كشفها الحفر، يشق عليه ، أن يتصور أن هـذه الكتل من الآجر القـديمة الشكل، قائمة فى مكان عاصمة كان لهـا شأن عظيم ، وان هـــذه الدروب والحوارى الضيقة التى ترى على جانبيها قطع من بقايا الجدران، ازدحمت فى غابر الازمان بالمـارة

(١) ناصر خسرو سفرنامه طبع شيفر ص ١٤٦ (٢) ابن دقاق رابع ص ٣٦ و ٤٧ (٣) ابن دقاق رابع ص ٤٨

(٤) راجع الدار السادسة فى الباب الرابع . (٥) من المعلوم، أن المياه التى فى باطن الأرض تزيد ملوحتها كلما ابتعدت من النهر . ولذلك ، كان يؤتى للشرب بالمياه من النيل و يوزعها السقاؤون فى أنحاء المدينة بالقرب (ناصر خسرو «سفرنامه» طبع شيفر ص ١٥٢) .

من الناس، من كل الأجناس، وان هـذه البقاع الحالية كان يسمع فيها لغط أكبر الأسـواق المصرية المشحونة بالبضائع، مع أن المؤلفات التاريخية تقدم لنا فى هـذا الباب نصوصا لو طبقناها على هـذه البقايا التى انكشف عنها الحفر، لساعدت على تصور الحال التى كان عليها الفسطاط قديما . وانا نسرد هذه النصوص مبتدئين بما ذكره ابن حوقل، الذى ساح فى مصر فى القرن الرابع الهجرى سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م)، حيث يقول : والفسطاط مدينـة حسنة ينقسم النيل لديها وهى كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ، على غاية العمارة والطيبة واللذة، ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام فيها ومتاجر فخام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الأيام خضـــرة[١] .

ولما قـدم ناصر خسرو مصر سـنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٦ م)، كانت الفسطاط لا تزال فى غاية العمارة، فانه وصفها بقوله : "حينما يرى الانسان من بعيـد مصر الفسطاط، يظن انها جبل، فيها دور من أربع عشرة طبقة، وأخرى من سبع طبقات . وقد سمعت من ثقة : أن بعض الناس كان له بستان على سطح دار له من سبع طبقات، فأصعد الى هـذا السطح عجلا صغيرا، وغذاه حتى غدا ثورا، وركب فى السطح ساقية يديرها الثور، فصعد المـاء الى السطح الذى غرس فيه شجر البرتقان، من الحلو، والمـالح، والموز، وأشجارا أخرى مثمرة، وزرع فيه الأزهار، والرياحين من سائر الأنواع" . ولكن ما يلفت النظر من وصف هـذا السائح الفارسى[٢]، انمـا هو كثرة الثروة فى الأسـواق، والازدحام فيهـا وجمال الأعياد التى حضرها، حيث يقول : "لو وصفت هذه الأعياد لمـا وسع كثير من الناس أن يصدق كلامى، ويرميني بالمبالغة والاغراق، فان حوانيت القصارين والصياغ والحوانيت الأخرى، مفعمة بالذهب، والحلى، والبضائع، والأقمشة من الحرير والقصب، لدرجة لا يجد فيهـا المشترى محلا يجلس فيـه" . وختم هذا الوصف، بقوله : "رأيت بمصر ثروة جسيمة، وأموالا جمة، لو هممت بوصفها، لمـا صدق أحد من سكان بلاد العجم كلامى[٣]" .

---

(١) ابن حوقل ص ٩٦ (٢) ناصر خسرو طبع شيفر، ص ١٤٦ و ١٤٧ (٣) ناصر خسرو طبع شيفر، ص ١٥٥

ومع ذلك، لم تكن هذه المدينة التجارية تصلح للسكنى ، فان ابن رضوان المصرى الطبيب الذى كان طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر المسيحى)، قابل بينها وبين القاهرة من حيث الصحة والنظافة فقال : "وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة ، وأبنيتها عالية ... ... ومن شأن أهل الفسطاط ، أن يرموا ما يموت فى دورهم من السنانير والكلاب ونحوها، من الحيوان الذى يخالط الناس فى شوارعهم وأزقتهم ، فتعفن وتخالط عفونتها الهواء . ومن شأنهم أيضا ، أن يرموا فى النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم، وجيفها ، ونحارات كنفهم ، تصب فيه . وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء . وفى خلال الفسطاط، مستوقدات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط . وهى أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها، حتى انك ترى الهواء فى أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس، ويتسخ الثوب النظيف فى اليوم الواحد . واذا مر الانسان فى حاجة لم يرجع إلا وقد اجتمع فى وجهه ولحيته غبار كثير . ويعلوها فى العشيات ، خاصة، فى أيام الصيف بخار كدر أسود وأغبر، سيما اذا كان الهواء سليما من الرياح[1] ... ..." .

وهذه الصورة المنفرة، ربما كانت هى السبب فى تنقل العاصمة، من مكان الى مكان، نحو الشمال، والبحث وراء الموقع الذى يمكن أن تهب فيه الريح الشرقية[2] . على أن بعض خطط الفسطاط لم تكن لتخلو عن الرياح الطيبة ولا تجرد عن العفونات، كما يصفها ابن رضوان، فان الجانب الذى يصفه يوافق وسط الأسواق ، وحركة التجارة ، حيث يبلغ فيها السكان أقصى الزحام فيما جاور الجامع والنيل[3] . أما الخطة الجميلة التى يذكرها ابن حوقل ، فلا شك فى انها كانت تمتد الى الشرف ، والى حافة بركة الحبش التى كانت على أيام خلفاء الفاطميين مفعمة بالمناظر العديدة البديعة[4] .

---

(١) المقريزى أول ص٣٣٩ و ٣٤٠

(٢) ولقد انتقد الخليفة المعز جوهرا على اختياره موقع القاهرة لأن مكانها لم يعجبه فقال له : «فاتك بناء القاهرة على النيل فهلا كنت بنيتها على الجرف» . يعنى الشرف الذى عليه الرصد؛ يريد بذلك مكانا أطيب هواء من موقع العاصمة القديمة (المقريزى أول ص ١٢٨ وعن المواضع التى كانت تعرف بالشرف تراجع ص ١٢٥) .

(٣) ابن حوقل ص ٩٦

(٤) المقريزى أول ص ٤٨٦

أما ما جاور الفسطاط، فكانت تكثر فيه البساتين الواسعة : كبستان بنى مسكين، على مقربة من بركة قارون[(١)]، وبستان بنى سنان البصرى، خارج مدينة الفسطاط . وهذا البستان الذى أعجب به المأمون بن هارون الرشيد، حينما جاء مصر فى سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢ م)[(٢)]، كان فى غاية السعة، فان مالكه كان يؤدى عنه فى كل سنة خراجا يقدر بعشرين ألف دينار، ويجبى منه غلة سنوية مقدارها مائة ألف دينار[(٣)] .

وما سبق من وصف الفسطاط، انما ينطبق على زمن سعادتها . وبعد أن هجرها السكان قليلا، بقيت أسواقها على حالها من الضخامة . وقد أتى ابن سعيد المغربى على وصف ما بلغته المدينة من عظم التجارة، وكثرة الصناعة، وقت مروره بها حيث يقول : "وبمدينة الفسطاط مطابخ السكر ومطابخ الصابون ومسابك الزجاج ومسابك الفولاذ ومسابك النحاس والوراقات مما لا يعمل فى القاهرة ولا غيرها من الديار المصرية[(٤)]" .

ولقد كانت كثرة الميرة والحبوب، فى مطامير الفسطاط، سببا فى رخاء العيش فيها، رخاء يزيد على ما كان عليه الحال فى القاهرة، لأن القاهرة كانت مسكنا للكبراء ومقرا للأمراء .

وفى ذلك الوقت، كانت ترى أطلال الخطط التى هجرها أهلوها من الفسطاط فى شمالى أسـواقها وشرقيها .

ولقد زار ابن سعيد المغربى الفسطاط، كما يزور سياح الوقت الحاضر آثار القاهرة، فركب اليها من باب زويلة حمارا . ولكنه لم يبلغها حتى شاهد منظرا محزنا، قال : "ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة، وتأملت أسوارا مثلمة سوداء، وأفاقا مغبرة . ودخلت من بابها[(٥)]، وهو دون غلق، مفض الى خراب معمور، بمبان سيئة الوضع، غير مستقيمة الشوارع، قد بنيت من الطوب الأدكن، والقصب والنخيل طبقـة فوق طبقة . وحول أبوابها من التراب والأزبال

(١) المقريزى أول ص ٢٩٧

(٢) قدم المأمون الى مصر فى سنة ٢١٧ هجرية كما ذكره الكندى فى تاريخ مصر وولاتها ص ١٩٢

(٣) المقريزى أول ص ٢٣٤ (٤) ابن دقماق رابع ص ١٠٨

(٥) يحتمل أن يكون باب الصفا، لأنه كان على الطريق عند الخروج من باب زويلة الى الفسطاط فم الخليج .

ما يقبض نفس النظيف ، ويغض طرف الظريف" [1] . وفوق هذه الأطلال الدارسة، ألقيت شيئا فشيئا الأنقاض، بحيث انه لم يمض غير قليل، حتى تكونت على خطة "الخراب" هذه الكيمان العالية . ومن هذه الكيمان كانت تؤخذ مواد البناء التى يمكن الانتفاع بها فى الأبنية الجديدة من آجر وخشب وأبواب وبلاط وغير ذلك ، حتى أدى إخراج هذه المواد من باطن التلال فى بعض المواضع التى كشفناها ، الى أن الباقى من المبانى كان عبارة عن كتل لا يفهم أصلها كما سنثبته فى هذا الكتاب .

---

(١) ذكر ذلك المقريزى أول ص ٣٤١

الباب الرابع

الدور ذوات الحيشان المتوسطة ووصفها

الدور التى نتكلم عليها فى هذا الفصل متفرقة فى عدة نقط بمنطقة الحفر، كما يتبين من الخريطة العمومية (شكل ٣) . وهى نوع من المساكن ان لم يكن قد عم مدينة الفسطاط[1]، فانه عام فى المنطقة التى تم كشفها . وما جمعناه من الأمثلة قد انتقيناه من بين دور كثيرة، وضعت تصميماتها على أصول متشابهة .

المجموعة الأولى من الدور

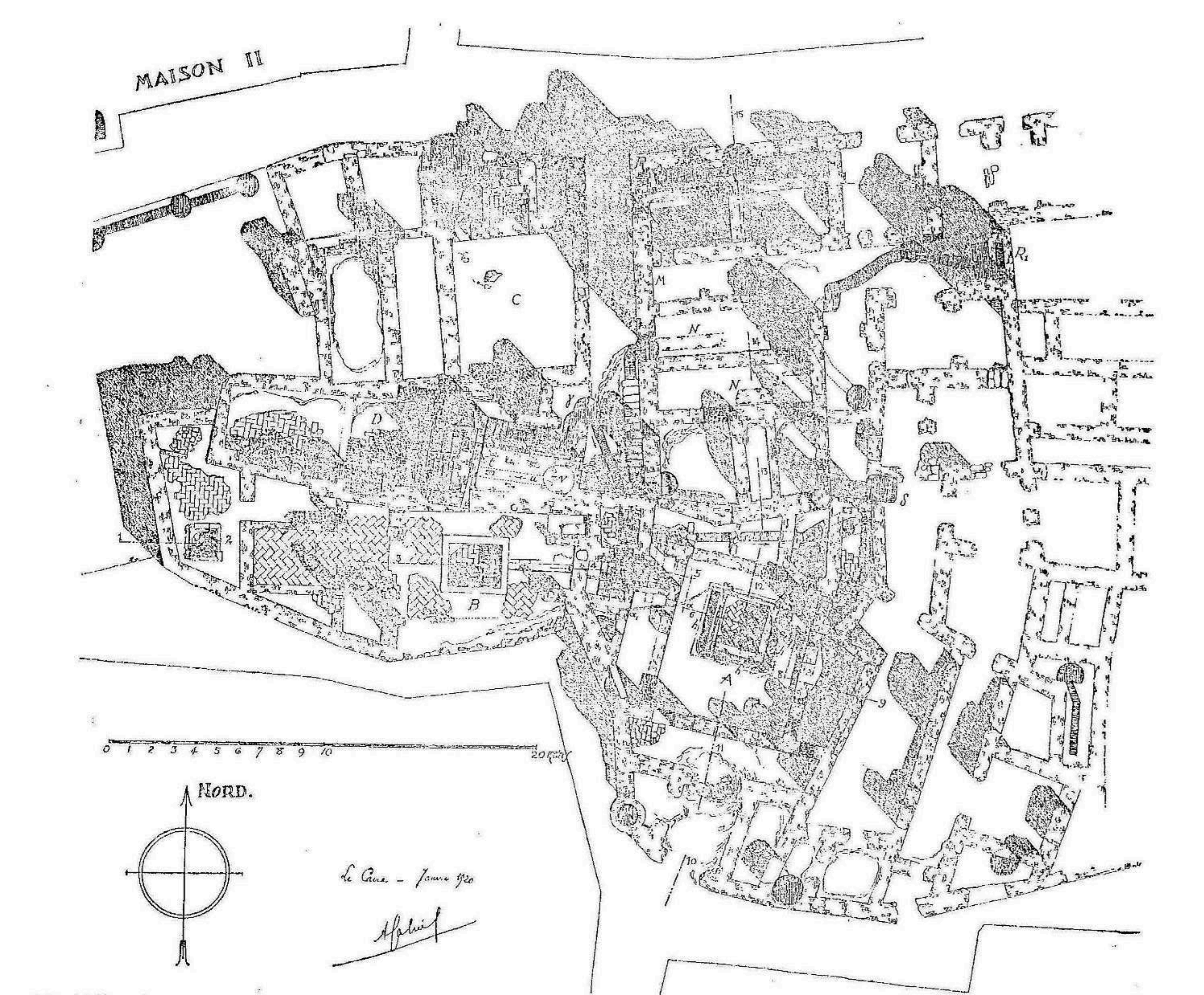
(راجع اللوحات السابعة ٢ والثامنة ٢ والتاسعة والأشكال ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩)

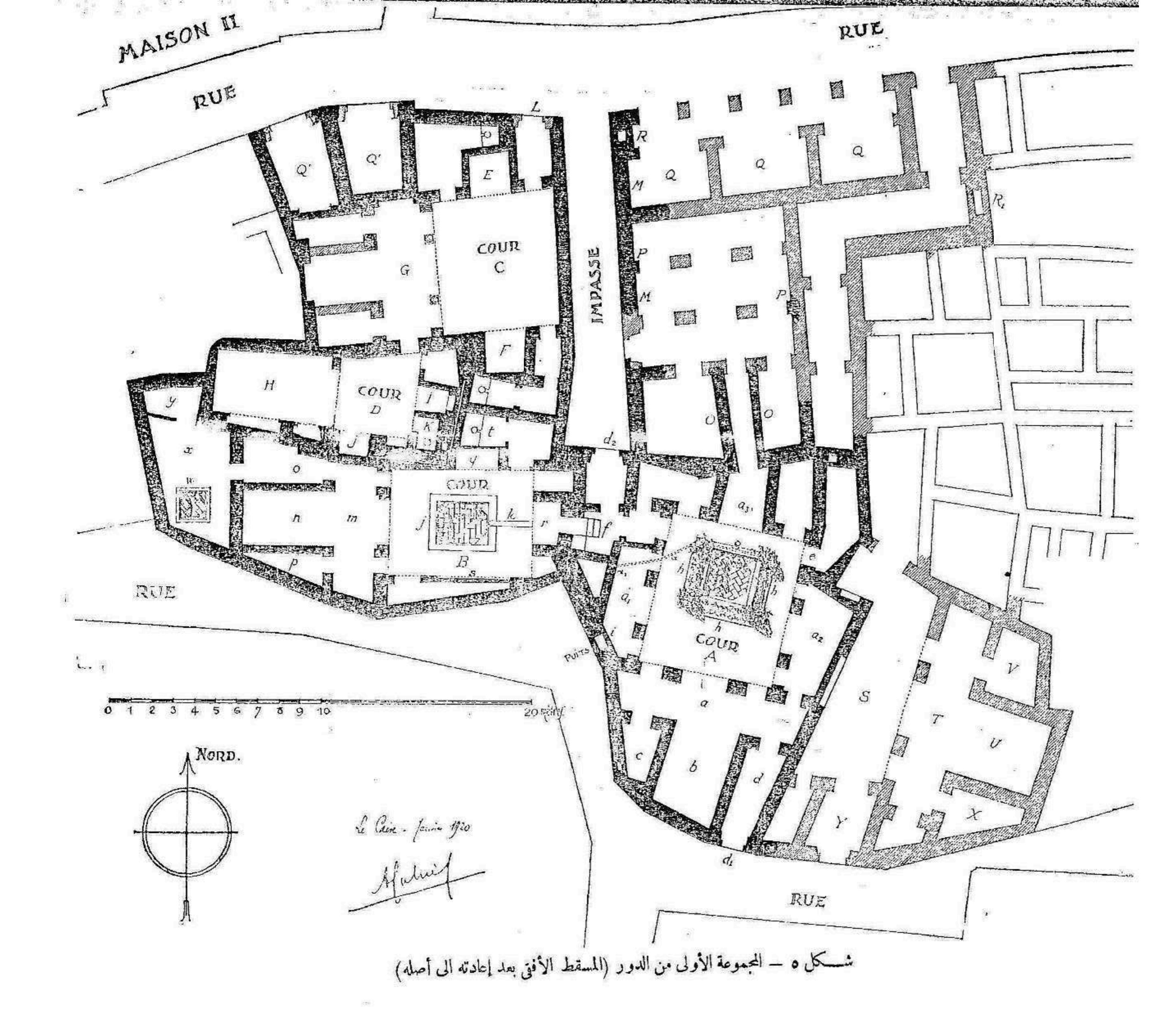
اجتمع فى هذه الدور من الجدران ما زاد فى الارتفاع على غيره، فى المنطقة التى كشفناها حتى الآن . وبعض هذه الجدران ما زال محفوظا بارتفاع خمسة أمتار (راجع اللوحة ١٩ — ١) . ولكن ذلك فى نقط متقطعة . وقد اندثر من المبانى المجاورة أكثرها حتى الصخر . ومن الاطلاع على المسقط الأفقى للدار (شكل ٤)، تتبين هيئتها العامة .

وغنى عن البيان، أنه ليس من السهل، فى مثل هذه الأحوال، الاهتداء الى أوضاع الرسم الأفقى، وتعيين عدد الدور المنفردة، وحدودها . وما نحن بصدده منها، واقع على طريقين : أحدهما فى الشمال، والآخر فى الجنوب . ويظهر أن الطريق الشمالى، كان من أهم طرق المدينة، يخرج منه زقاق غير نافذ، ويخلل الدور .

---

(١) سيرد فى سياق كلامنا فى هذا الكتاب، بجانب الدار ذات الحوش المماثلة للدار الرومانية درمس (domus) وسواها، دور أخرى ذات طبقات عديدة من قبيل الدار التى يدعوها الرومانيون أنسولا (insula)، أى جزيرة، لأنها تتكون من عدة دور مجتمعة تابعة لمالك واحد وتحيط بها الطرق من جميع الجهات فتكون فى وسطها كالجزيرة . وسيوضح هذا الموضوع فى محله بما فيه الكفاية . والآن نكتفى بأن نقول : أن ما يتبين لنا طرزه غريبا فى هذه الابحاث الأولية، تتكون منه طائفة مخصوصة من دور الفسطاط .


MAISON II
C
D
B
A
N
N
M
S
R1
0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 20
NORD.
Le Caire – Janv. 1920



شـكل ٥ – المجموعة الأولى من الدور (المسقط الأفقي بعد إعادته الى أصله)

وفى الجنوب الشرقى الحوش الأول A ، تحيط بثلاثة من جوانبه الأروقة a، a_1، a_2 (راجع شكل ٥) وربما كان هناك إيوان فى a_3 ، كما يستدل على ذلك من أثر الأساس[1] .

ومن الرواق a ، يتوصل الى قاعة كبيرة b ، تكتنفها من طرفيها حجرتان c و d ، كما يتضح ذلك من الوضع العمومى الذى نجده فى عامة الدور .

وكان لزوال بعض الجدران، أثر عظيم فى الصعوبات التى تحول دون الوصول لمعرفة التخطيط الأصلى ، واعادته سيرته الأولى . ولذلك كان تعييننا لموقع المدخل فى نقطة d_1 ، على سبيل التخمين .

واذا حاذينا جانب الرواق الشرقى فى سيرنا ، نجد بابا على حجرة صغيرة e ، يقابله فى الجهة الأخرى من الصحن، باب يؤدى الى سلم f ، بعض درجاته مازالت باقية فى مكانها .

وفى الصحن فسقية g من النوع المعروف ، مربعة الفتحة ، مثمنة الجوف ، تحيط بها من الجهات الثلاث : القبلية، والشرقية، والغربية، حفرة (أو حوض) h ، وجدت عند فحصها مملوءة بالطمى مما يدل على أنها كانت مزروعة بالزهور وغيرها . وسيمر علينا ذكر عدة فسقيات من هذا القبيل .

وأما مياه هذه الفسقية، فترد فى برابخ من الفخار n . وهذه البرابخ يمكن تتبع اتجاهها، فهى تجتاز n_1 ، بعد أن تخرج من خزان مثلث الشكل، فى صلب الجدار الذى على الطريق الغربى . وهذا الخزان يكاد يكون على أصله ، إذ لا تزال نرى بعض قبوه ، وأرضه المبلطة بالحجر ، وملاطه المصنوع من الجير والرماد . وفوق ذلك ، بقية من بلاط آخر ، يستدل منها على أن الخزان الأول ، كان فوقه خزان آخر منفصل . وسنرى عند فحص الجهة القبلية الغربية من هذه الدور ، ان ظننا هذا له مبرر . ويجاور الخزان بئر i ، يمكن ملء الخزانين منها ، ومن

---

(١) يطلق الايوان فى العمارة العربية على ماهو معروف بهذا الاسم وعلى الجزء الداخل فى جوانب الجدران على هيئة الصفة وهو مانعبر عنه هنا بلفظ ايوان . وقد أطلق فى بعض الوقفيات على هذه الصفف اسم «مصطبة» .

المحتمل ، ان المـاء كان يرفع بالطريقـة المعتادة أى بواسـطة البكر والرشاء والدلو ، ويصب فى مجار موضوعة وضعا مناسبا، يساعد على جريان المـاء بموازنة السطوح أو الطبقة الأولى .

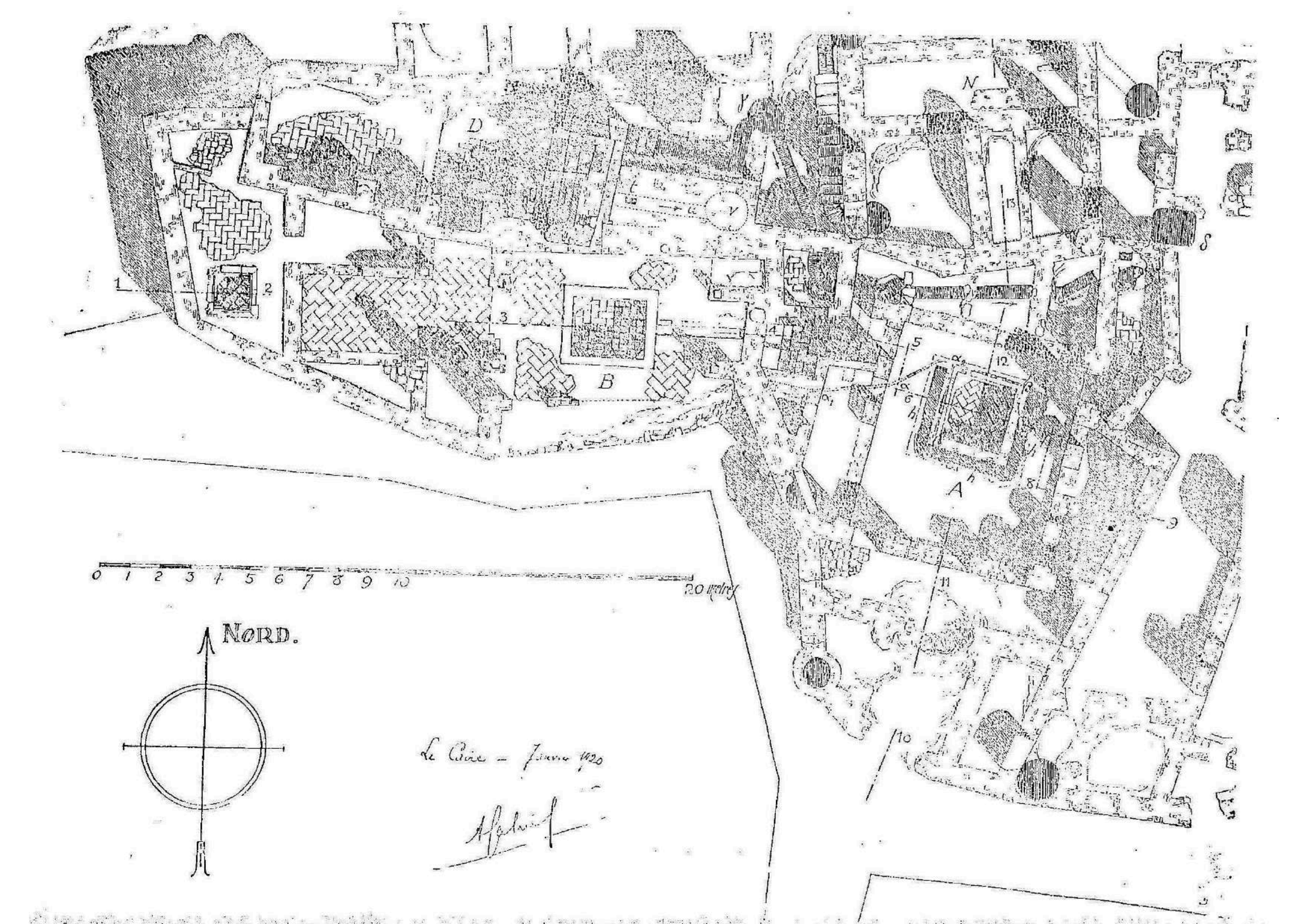
والسلم f ، لم يبق منه إلا درجتان سفليتان ، وبسطة . وهو ينعطف نحو الجنوب ، على شكل زاوية قائمة . وتحت الدرجتين قبو مكسور فى مبدئه . وقد ذكرنا هـذه التفاصيل عن السلم والحوض ، لنبرهن على تبعية الأبنية القائمة فى الجهة القبلية الغربية للأبنية التى وصفناها .

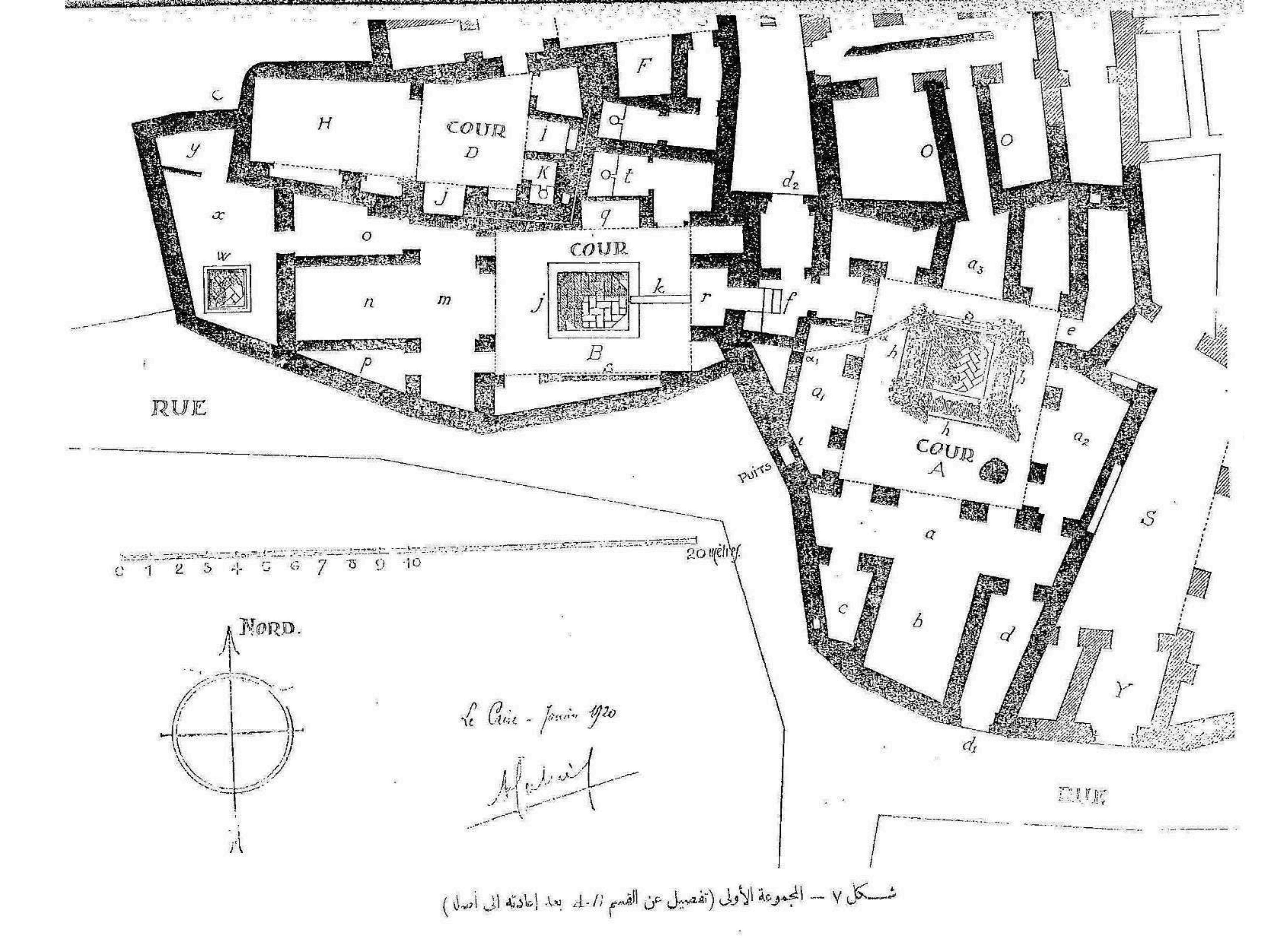
وفى الواقع ، ان أول قلبة من السـلم ، تؤدى الى حوش ثالث نرمز له بحرف B ، بوسطه فسقيـة J ، وهذه الفسقية تأتيها المياه بواسطة القنـاة k ، من الخزان الأعلى الذى أشرنا اليـه فيما سبق . ومن ثم تتحقق الصلة بين الحوشين A و B .

ومما ينبغى التنبيه عليه ، أنه لا يزال هناك بقية طيبة من البـلاط ، فى الحوش المرموز له بحرف B ، وفى الأروقة والقاعتين المجاورتين لها ، مما يدل على أن مستوى أرض هذا الجناح كله ثابت على أصله تماما . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان محور درج السلم f على سمت محور الحوش B وهناك بلاطة من الحجر مبينة فى الجـدار المبنى بالطوب (٤ من الشكل ٦) يستدل منها على أن هذا الجدار كان به باب بمستوى البسطة العليا . ومن ذلك يظهر أن الحوشين A و B كانا تابعين لبيت واحد .

وحول الحوش B ، الرواق m ، والقيعان n, o, p والايوانان q, r . ومحور الايوان s يقابل محور الايوان q . والمراحيض t ، مركبة على المجرور u ، المنتهى بالبيارة v (شكل ٦) . وفى الغرب من هذا الحوش ، فسقية صغيرة w ، لا تصل اليها المياه من جهة ما ، فى أرض الحجرة (أو الحوش) x الملحقة بها حجرة صغيرة y .

والظاهر ، أن هـذا المكان كان قاصرا على الحوشين A و B بمرافقهما ، فكان محتويا على جناحين متشابهين من البيوت . ويغلب على ظننا أن الحوش المنخفض A ، وهو أوسع الحوشين واليه يسلك من الخارج ، قد كان يتوسط قاعات الاستقبال .


NORD.
0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
20 mètres
Le Caire – Janvier 1920
A
B
D
N

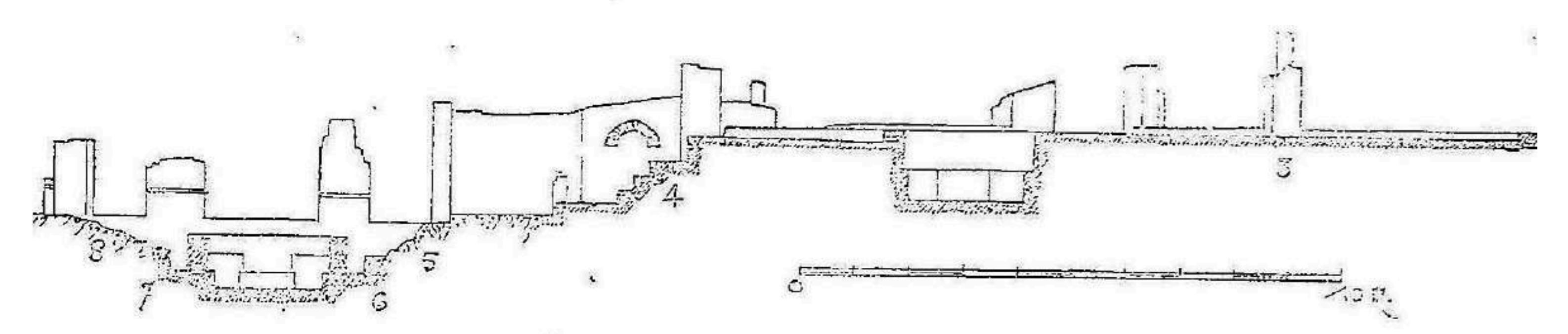


شكل ٧ — المجموعة الأولى (تفصيل عن القسم A-B بعد إعادته الى أصله)

أما الحوش المرتفع، فكان مخصصا للحريم . وربما، ان كلا من الجناحين كان له مدخل خاص . فكان الرجال يدخلون من الجهة القبلية من d_1 وتدخل الحريم من نهاية الزقاق الغير نافذ d_2 [1] . فهل يسوغ لنا مما توضح أن نعتبر جميع الأبنية بالحوشين شمالي الدار مستقلة عنها ؟ وفي الواقع، ان وجود البيارة γ والبيارة δ يربطهما مجرور واحد (شكل ٦)، دليل على أن الجهات البعيدة كانت تابعة لدار واحدة، أو على الأقل في حيازة مالك واحد . ولكن القاعتين الكائنتين في الجهة البحرية الغربية حول الفضاء C ، كانتا على استواء أرض الحوش A ، وهي متحدة مع الشوارع في مستواها العمومي . ولم يكن لهذه الأرض اتصال بالحوش B المرتفعة أرضه . ولذلك نعتبر هذه المنطقة البحرية الغربية كدار مستقلة .

أما الحوش C، فيتصل به إيوانان E وF (شكل ٤) . ولا بد من وجود رواق معهما في G وقد وجد في الحوش تاج كورنتي، يظهر أنه كان مستعملا في الرواق . وكان بالدار عدة غرف ومراحيض وحوض للغسيل وغير ذلك .

وقد رسمنا في D حوشا حوله قاعة H وإيوانين صغيرين I وJ ومراحيض K وكلها صغيرة المقاس ومنظرها على غاية البساطة . ويظهر ذلك من أثر البلاط المركب بغير نظام .



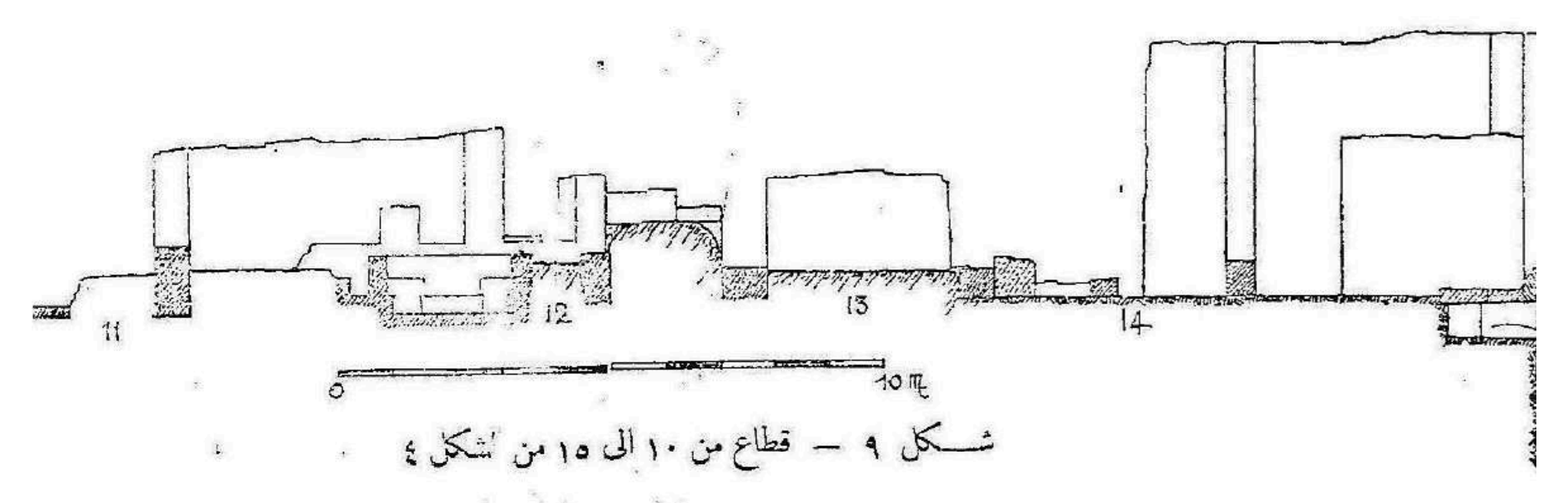
شكل ٨ — قطاع من ١ — ٩ من الشكل ٤

ويجوز أن يكون الحوش D ، واقعا أمام قاعات الاستقبال . أما الحوش C ، فخاص بالحريم . وقد جعلنا في L على الشارع العمومي، مدخل الدار .

---

(١) هذا القول لا يخرج في الحقيقة عن الفرض والتخمين ؛ فقد حفرنا عند نقطتي d_1, d_2 حتى وصلنا الى أرض الشارع ، ولكنا لم نعثر إلا على أساس جدران ليس فيها أبواب ولا أعتاب .

ولم يبق إلا أن نفحص الجزء الشمالى الشرقى من المبانى ، مع ملاحظة أن بعض الجدران المرموز لها بحرف M ، معدودة من أكثر الجدر ارتفاعا بين ما تم كشفه . وما عداها مما يجاورها، زال أثره حتى الصخر كما سبق ذكره .



شـكل ٩ — قطاع من ١٠ الى ١٥ من شكل ٤

ويلاحظ من جهة أخرى ، ان بقايا الأبنية الأكثر قدما وهى المرموز لها بحرف N,N ، يصعب تمييزها عن غيرها . وقد رسمناها بهذا الوضع على سبيل الظن والتخمين . ويدل وجود الكتفين المربعين P,P على أنهما كانا مستعملين كدعائم متوسطة . أما الجداران O,O ، فيدلان على أن هناك دهليزا يؤدى الى الحوش A . وكل ذلك يحملنا على الظن بأن هذا الجزء من مرافق البيت B,A .

وما سبق بيانه جئنا به احتمالا . وهناك مسألة لا تقبل الشك ، وهى أن القاعات التى من قبيل Q,Q كانت حوانيت مفتوحة على الشارع ، فوقها مقعد معقود . ويستدل على ذلك بأثر الأكتاف المبنية بالطوب . ومنها جزء قد تحول عن أصله . ويحملنا على التأكيد بوجود هذه الدكاكين المصفوفة على حافة الطريق، وضع مماثل لهذا لا تزال نتذكره فى شوارع پومپى وديلوس . وقد أتيح لمسيو هرزفلد رؤية شىء من هذا القبيل فى سر من راى (سامرا)[1] .

بقيت مسألة تعرض لنا كلما بحثنا فى دار من الدور ، وهى مسألة الطبقات، فاننا لم نلاحظ بين المبانى التى سبق لنا وصفها، وهى لا تحتوى على أقل من مسكنين مختلفين، غير

(١) سامرا طبع برلين سنة ١٩١٢ ص ١٤ وما يليها .

مبدأ سلم . وقد قلنا أنه ذو قلبتين بزاوية قائمة ، ولكن هذا الوضع لايكفى لأن يتخذ دليلا على أن هذا السلم كان يوصل لدور عال ، اذ ربما كان الغرض منه الوصول الى الأحواض والمحل الذى تستخرج منه المياه من البئر .

وفى بعض الجدران ، قنوات مستطيلة القطاع شبيهة بالمداخن التى تستعمل الآن . وهى مدهونة من داخلها دهانا متقنا . وكانت واصلة الى المجارير أو البيارات [١] . ومن الصعب تحديد وظيفتها . ولا يسعنا التسليم بسهولة بأنها كانت مخصصة لتصريف المياه من السطح الى المجارير، لأنها كبيرة القطاع . ولا يمكن أن يكون المراد منها مثل هذا فقط، لقلة نزول الأمطار فى هذه البلاد . ولو كان القصد تهوية البيارات والمجارير، لكان مقاسها أقل مما هى عليه .

ويغلب على الظن ، أن هذه الأقنية مصارف مراحيض الطبقة العليا . وهذا دليل على أن جزءا من الطبقة السفلى، على الأقل ، كان فوقه طبقة أخرى . وترى فى الجدران العالية ، مواضع ركوب أطراف العروق . وهذه المواضع منحطة قليلا عن قمة الجدران . ومن وضعها هذا ، يعلم أنها كانت تحمل سقف الطبقة العليا ، أو على الأقل سقفا متوسطا بين الطبقتين السفلى والتى تليها . ولكن هذه المعالم لاتساعدنا على ترجيح أحد الرأيين على الآخر . ولما كان أسلوب البناء والمواد المستعملة فيه واحدا ، من الأساس الى القمة، فلا يسعنا، كما هى الحال فى ديلوس مثلا ، أن نحكم أن كذا من الأوضاع لايصح اتخاذه فى غير الطبقة الأولى . وعلى كل حال ، ان ما تخيلناه فى رسم الطبقة السفلى توجد به البيانات الكافية، لتكوين المرافق التى تكفل الراحة لسكنى أحدى الأسر .

ومما يلاحظ ، ان هذه الدور التى أتينا على وصفها كانت تسكنها أسرة واحدة من متوسطى الناس . وليست من محال الاستغلال التى كانت تبنى على شكل مغاير لهذا .

أما البيت الملاصق للحوش A ، من الشرق ، فيمكننا تصور مشتملاته كما يأتى : حوش S ، ورواق T ، وقيعان X, V, U ، ومدخل فى Y .

(١) راجع الشكل الرابع R وفى اللوحة التاسعة عشر رقم ١ رسمنا القناة واتصالها بالمجرور .

والمبانى التى فى الجهة البحرية من هذه الدور، انما هى، من بقايا أساس ولا تكفى للوقوف على الوضع الأصلى ·

الدار الثانيـــة

(اللوحة العاشرة ١ و ٢ والأشكال ١٠ و ١١ و ١٢)

يتعذر تعيين حدود هذه الدار على وجه قطعى · والحدود التى أوردناها ، انما أخذت من واقع معالم مختلفة ، فهى من الفروض غير مقطوع بصحتها ، ومن الصعب الاهتداء منها الى أدلة حاسمة ·

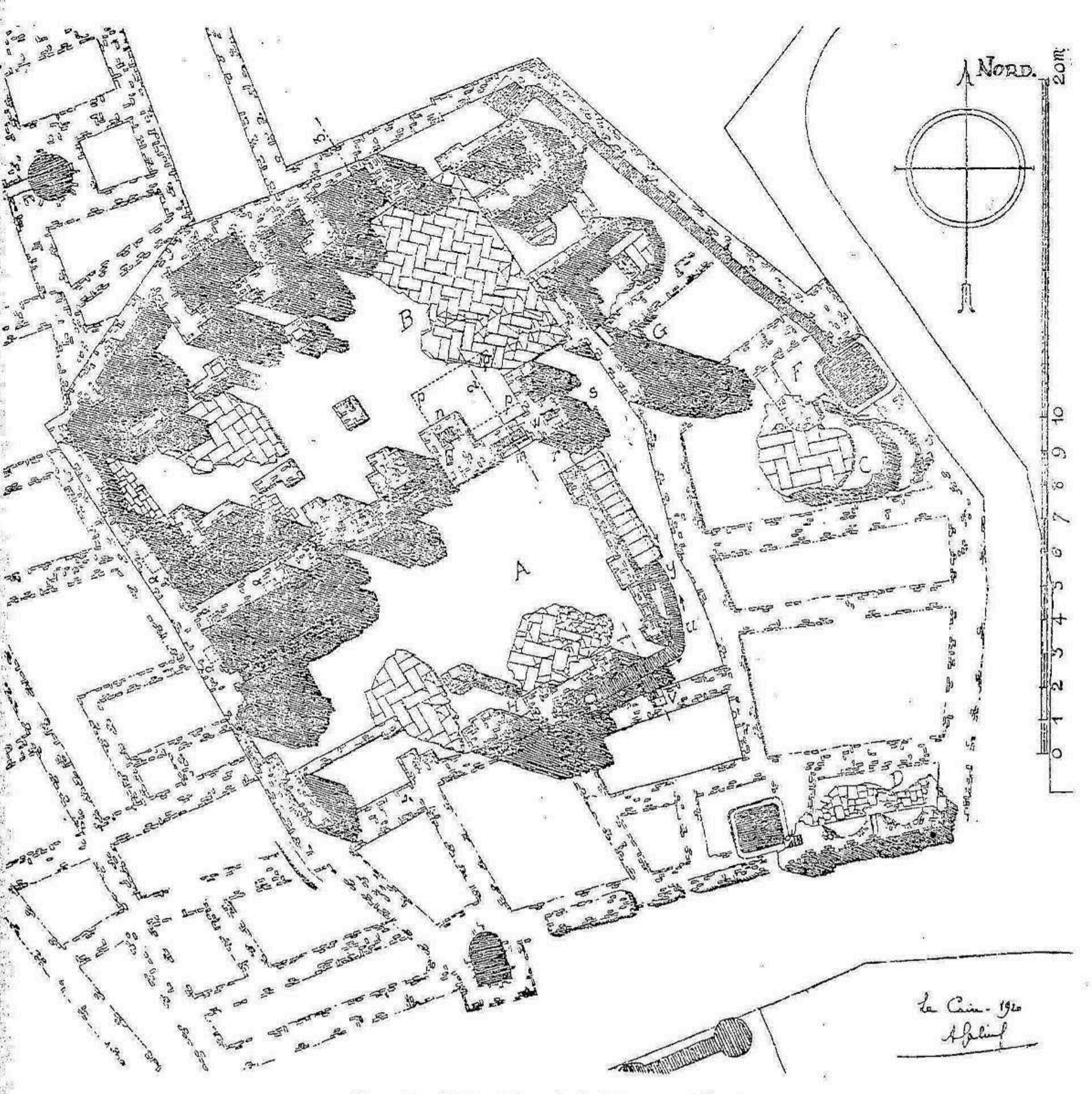
ويلاحظ أن هذه الدار لها نظام غريب، انفردت به عن غيرها مما كشف حتى اليوم من الفسطاط (راجع الشكلين ١٠ و ١١) · فهى تحتوى على حوشين متجاورين A و B ، كل منهما بمعزل عن الآخر ومساحتهما تكاد تكون واحدة ، والفاصل بينهما جدار بسيط · وقد بنيت الأجزاء الداخلة فى الحوش B غير مرتبطة بالجدار الفاصل · ولذلك ، يغلب على الظن ان المبانى الغربية متأخرة عن المبانى الشرقية ·

وليس هناك فسقية فى كل من الحوشين · وانما هناك بئر قطاعها مستطيل ، محفورة تحت الجدار الفاصل[1] ·

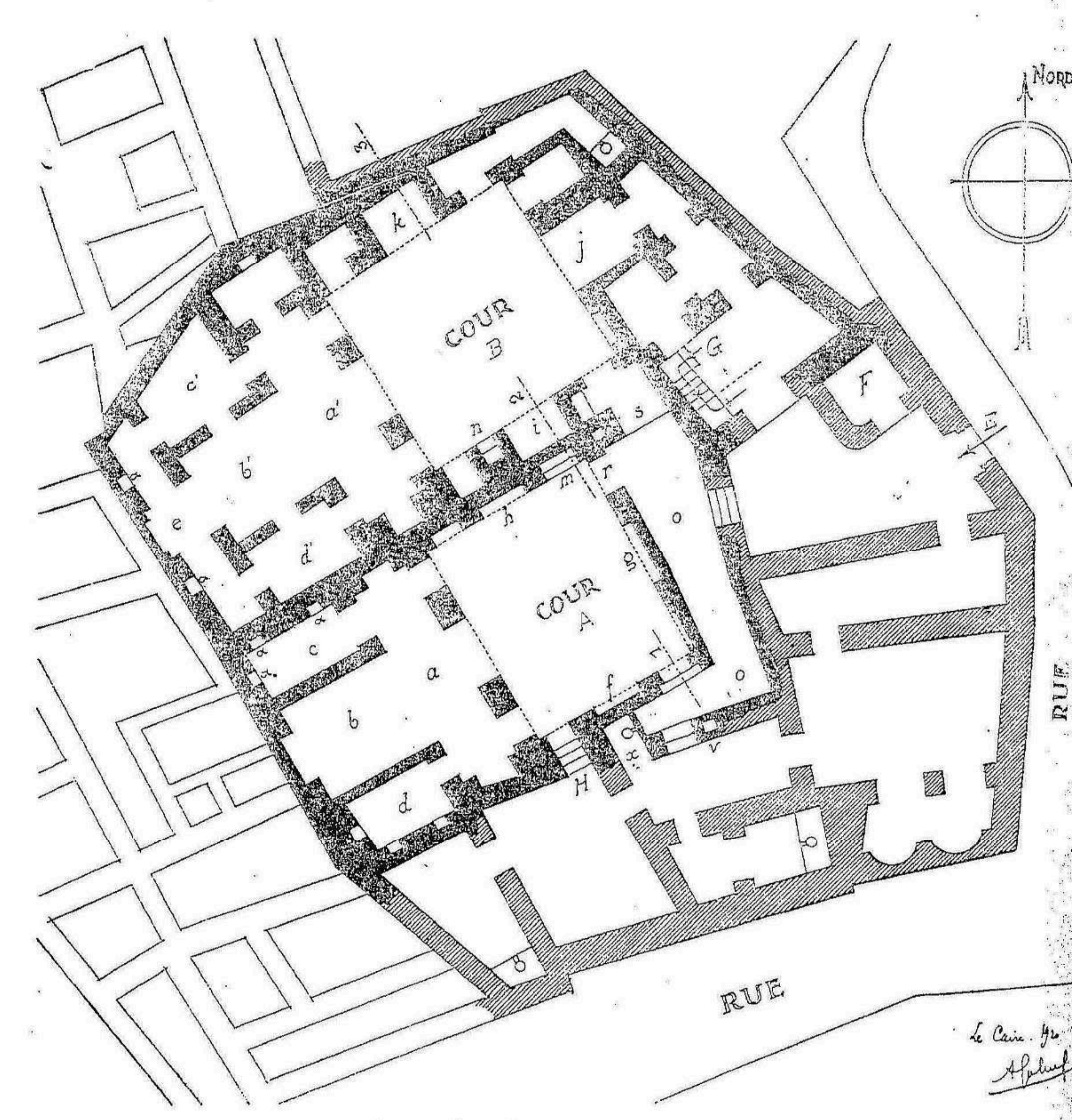
وهى نازلة الى مستوى الماء تحت الأرض، وعليها قبو معقود عقدا دائريا · ولأخذ الماء منها ، ينزل اليها الانسان من الحوش A ، بثلاث درجات منحوتة فى الصخر . وفى قبو البئر من جهة الحوش B ، فى نقطة n ، فتحة مربعة كانت عليها خرزة · ولم تزل بهذا الحوش بقية من بلاطه · والأوضاع متماثلة فى الجهة القبلية من الحوشين، حيث يشتمل كل حوش على : رواقين بكل منهما ثلاث فتحات فى a و a' ، وقاعتين b و b' ، وحجر d',c',d,c ، وخلف القاعة b' مايشبه الدهليز e · وفى الجدران عدة صفف a,a,a . (راجع اللوحة العاشرة ٢)

---

(١) راجع القطاع فى الشكل ١٢ ومحل هذه البئر المستطيل P,P,P,P من الشكل ١٠ ·



شكل ١٠ — الدار الثانية (المسقط الأفقي كما هو الآن)



شـكل ١١ — الدار الثانية (المسقط الأفقي بعد اعادته الى أصله)

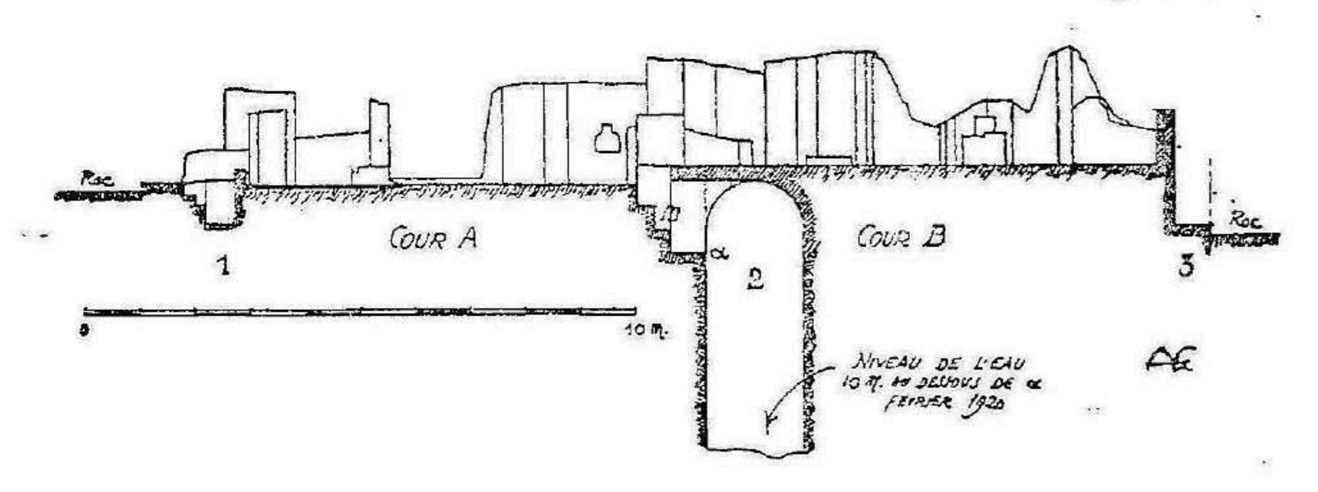
أما الجوانب الثلاثة الأخر من الحوش B ، ففيها ثلاثة أواوين k,j,i وبعض حجر صغيرة . ولا يوجد فى الحوش k ، أواوين ، وإنما بعض صفف h,q,i فى الجوانب متماثلة الوضع ، فى كل جانبين متقابلين .

ويحيط بالحوش A دهليز o يؤدى الى حوشين من بابين sr وتحته مجرى مبلط u ، تنصرف اليه فى ww مياه السطوح أو الطبقة العليا . وما زال فى x ، حوض لغسل الأيدى بمكانه الأصلى وقناة صرف تصب فى المجرى .

وكانت البيارة y ، لاتستعمل إلا لصرف مياه المطر والغسيل لصعوبة نزحها .

على هذا الوجه ، تبين لنا نظام البيت فيما يلى الحوشين ، لأن الجدران فى هذه المنطقة ما زالت باقية بارتفاع كاف يصل فى بعض المواضع الى ٢٫٥٠ م وبها عدة صفف .

أما باقى أجزاء الدار فقد عفت معالمها، إلا النذر . فلم تبق منها إلا قطع متفرقة من أساس مبنى بالآجر لا يدل على شىء . وكنا نعول أحيانا فى رسم الجدران على ما نجده من أثر المونة اللاصقة بالصخر .



شكل ١٢ — الدار الثانية (قطاع ١ و ٢ و ٣ من الشكل رقم ١٠)

وقد اعترضتنا بقية من أبنية، رمزنا لها فى الرسم بحرف D،C، يحار العقل فى تعليلها، لأن بينها أثر بلاط يدل على وجود سطح أعلى من الحوشين A و B وهما ليسا باستواء واحد، فضلا عن وجود بعض درجات، مرموز لها بحرف H كانت معدة للصعود الى مكان عال عن أرض الحوش .

لذلك اكتفينا بالبحث عن تخطيط الطرق ورسم الجدران الفاصلة، بالاعتماد على ما شاهدناه من أثر البقايا ، فرسمنا المدخل فى E ، حيث يوجد أثر بلاط متقن الصنع بمكانه الأصلى ، ورسمنا حجرة صغيرة فى F . والظاهر أنها كانت تستعمل للبواب .

وقد بينا على الرسم بالهاشور ، المحال التى عيناها بالظن والتخمين . أما الخطوط السوداء، فقد جعلناها للحوشين وما حولهما .

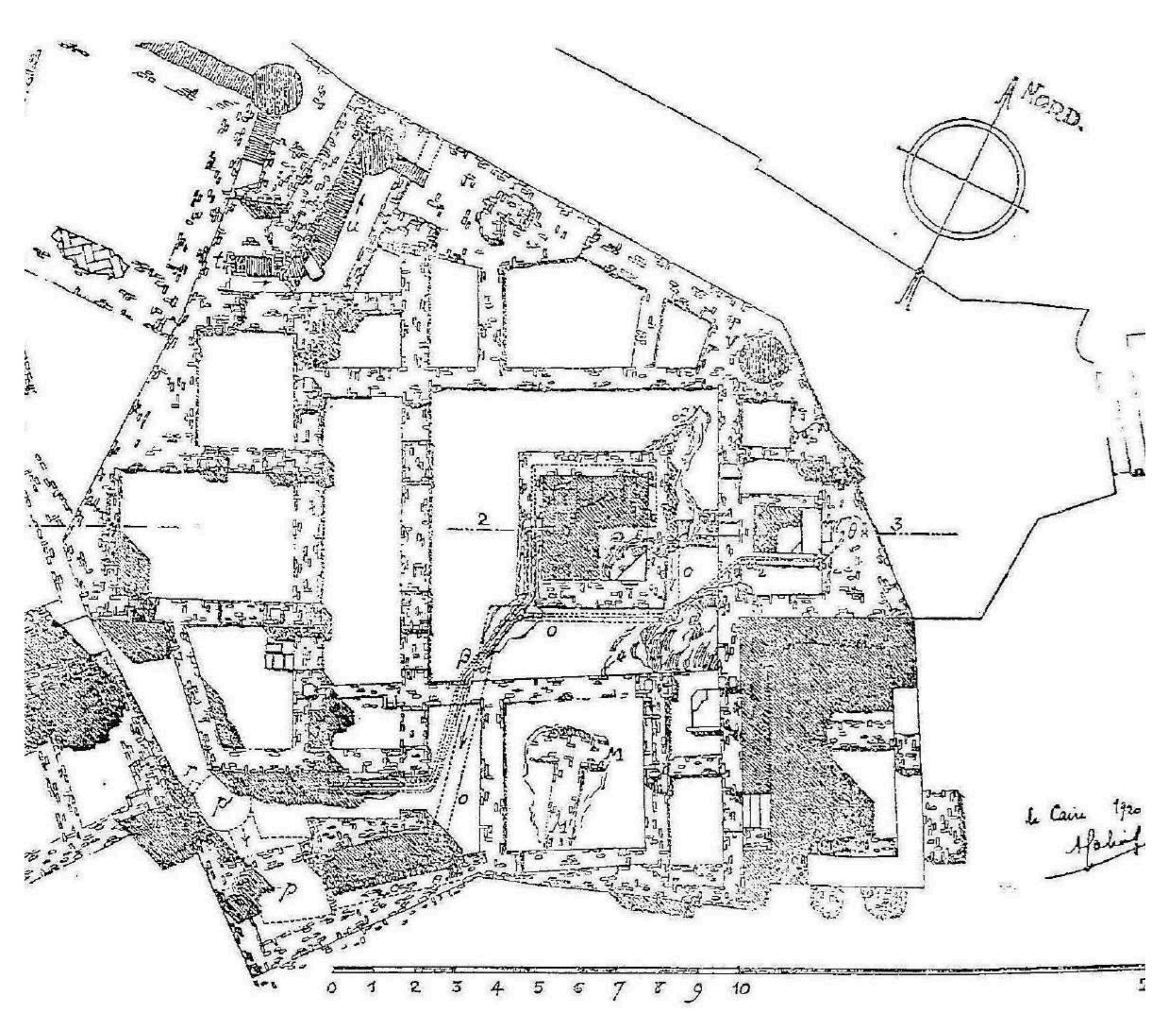
وفى G ، ست درجات سفلى من سلم يصعد به الى طبقة عليا . وهى لقلة عددها ، لا تكفى كما فى الدور الأخرى ، لتتخذ برهانا على وجود الطبقة العليا لأن هذا السلم ربما كان معدّا للصعود الى السطح دون غيره . على أننا نعدّ هذه الدرجات أهم أثر وجدناه من هذا القبيل . ولا يبعد ، أن السلم كان ينعطف ، ويمتدّ ، فى مكان متسع مستطيل . وفى هذه الحالة يكون جزء من الدار على الأقل فوقه طبقة عليا .

الدار الثالثة

(لوحة ١١ والأشكال ١٣ و ١٤ و ١٥)

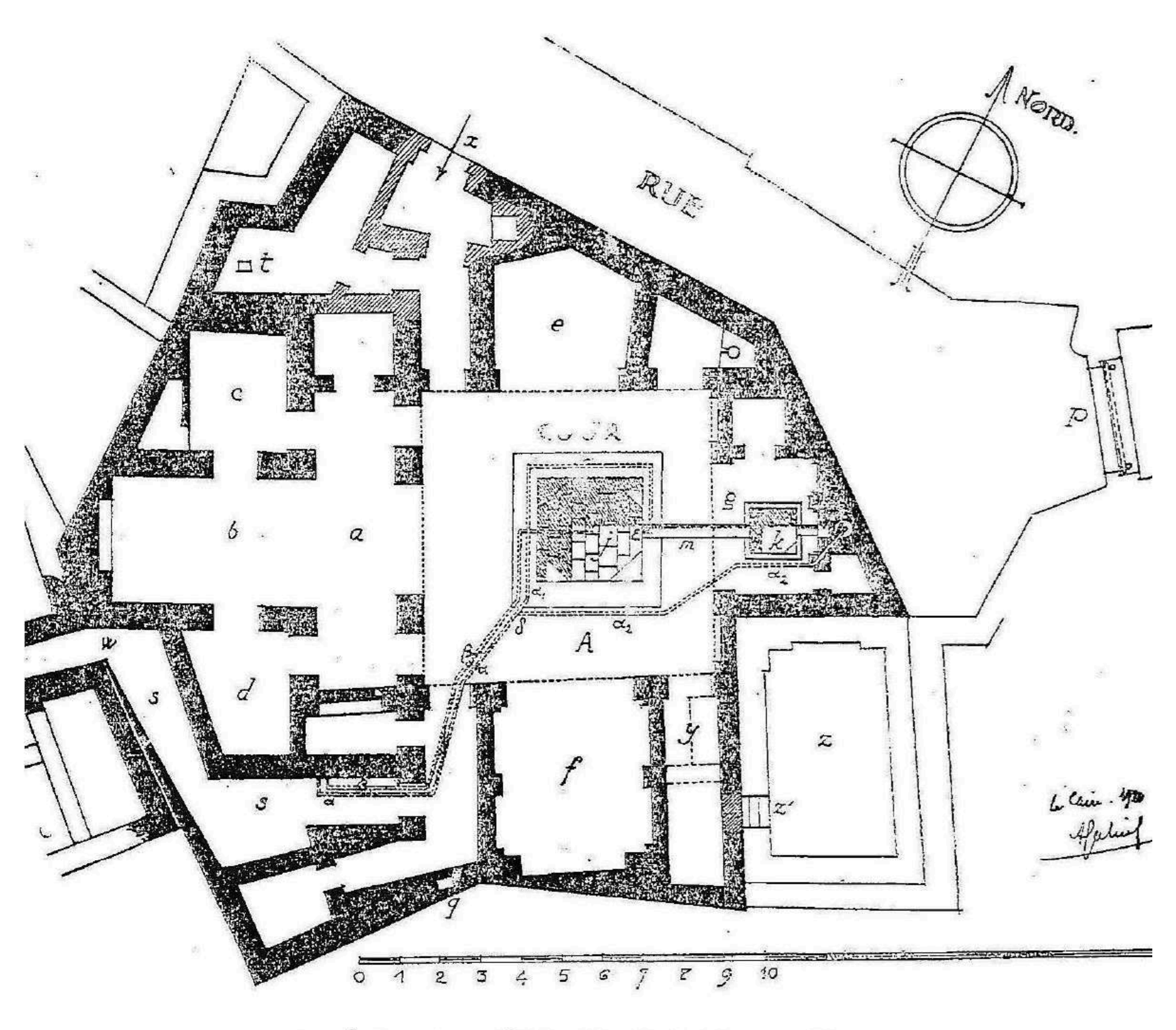
هذه الدار قائمة على رقعة من الأرض محدودة بخط كثير الأضلاع ، غير منتظم . وفى تركيبها الأفقى ماينم عن محاولة تنظيم أوضاعها حول الحوش المتوسط تبعا لمحوريه المتعامدين .

والظاهر ، ان الجزء المبين بالأسود فى المسقط الأفقى الذى رددناه الى أصله (شكل ١٤) كان دارا قائمة بذاتها . وهى محل البحث فى هذا الفصل . ويستدل من أثر التعديل ، والتغيير ، وانقطاع الارتباط بين الجدران وبعضها ، ان هذا المكان كانت به دار قديمة ، فسيحة الجنبات . ويظهر أنه حوّر فيها وحوّلت الى عدّة مساكن مستقلة عن بعضها . وهو أمر ما زال غامضا . وعلى كل حال ، فهو قليل الأهمية . ولذلك نقتصر فى التوضيحات الآتية على الكلام عن أوضاع الدار الأصلية من واقع الأسس المكتشفة فنقول :



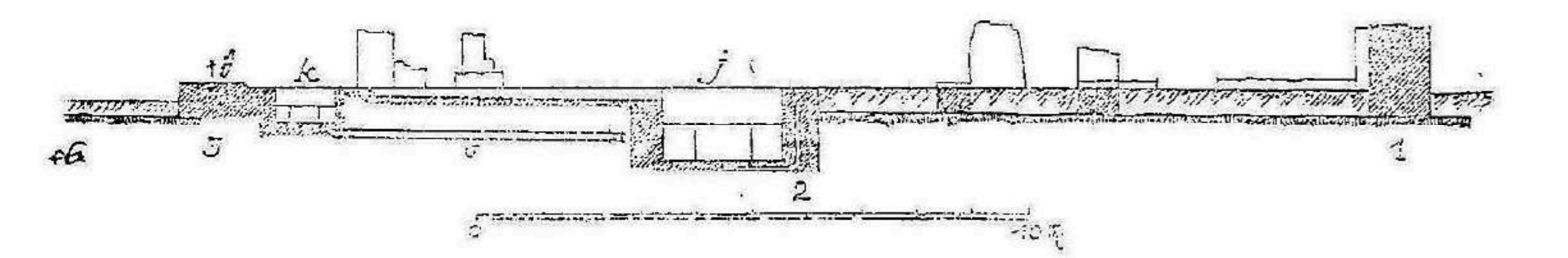
شكل ١٣ — الدار الثالثة (المسقط الأفقى كما هو الآن)

فى الحوش A فسقية مربعة l من الطراز العادى . وبجوانبه الأربعة أماكن، نظامها متشابه وفى a ، رواق له ثلاث فتحات . وقاعة كبيرة b ، وغرفتان صغيرتان c و d وفى e و f ايوانان فسيحان وتجاه الرواق a ، ايوان g ، فيه فسقية صغيرة k .



شكل ١٤ — الدار الثالثة (المسقط الأفقي بعد إعادته الى أصله)

وكانت الفسقيات تأتيها المياه فى مجار متخذة من برابخ α وβ متصلة بمجار أخرى من نوعها ومقاسها، نازلة من أعلى جدار الطرقة الى أسفله، من خزان مركب فى القسم الأعلى من البناء. ومن الصعب تبين الطريقة التى كان يملأ بها هذا الخزان لانعدام الآبار فى جواره . وكانت المياه تجيئه فى مجار ممتدة على السطح من بئر من الآبار القريبة، مركب عليها بعض الالات . ويخامرنا الشك فى أن الخزان كان يملأ بالقرب .



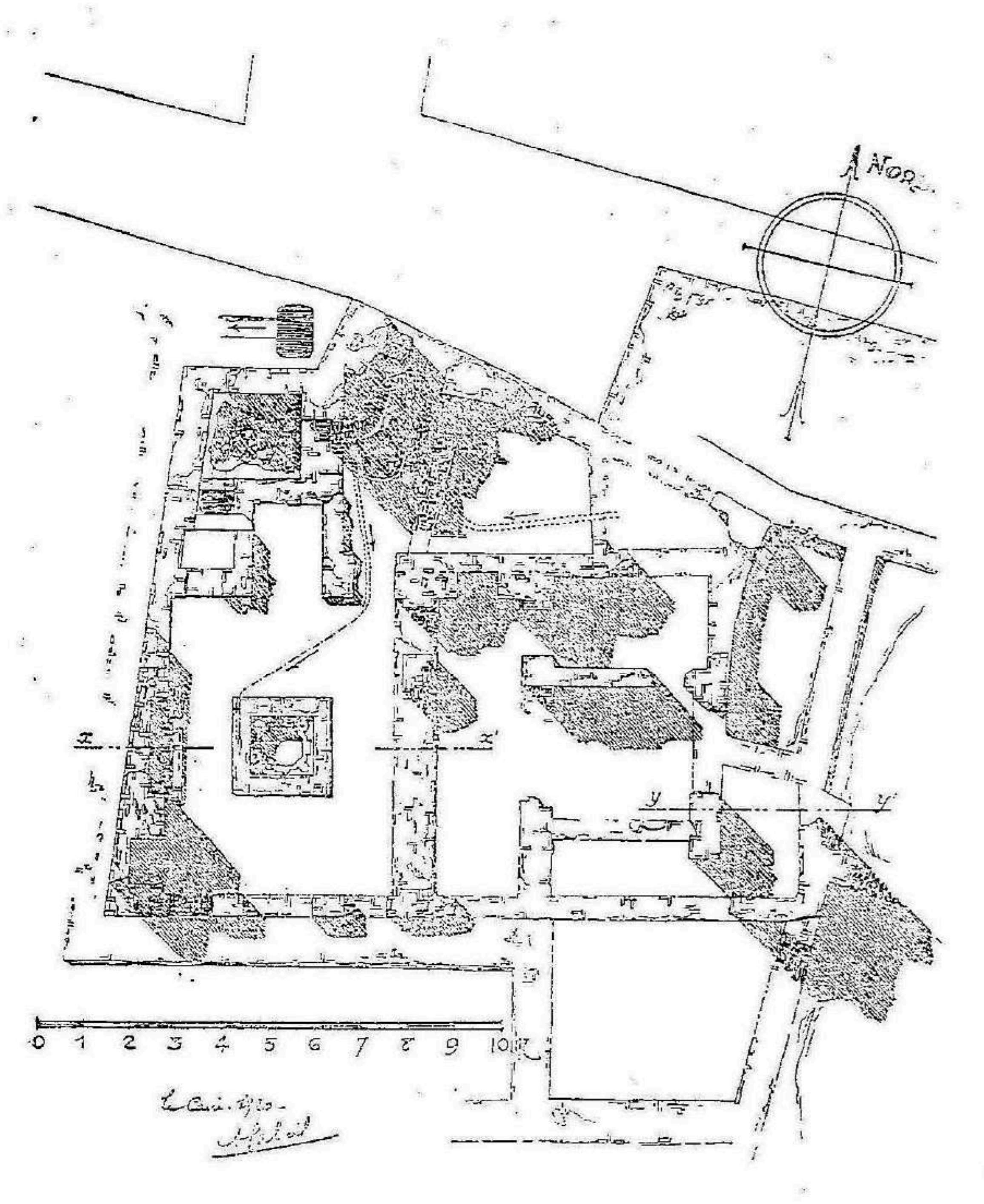
شــكل ١٥ — الدار الثالثة (قطاع ١ و ٢ و ٣ من الشكل رقم ١٣)

وفى δ، تتفرع المجرى α، الى فرعين α_1, α_2 فيدور الفرع α_1 حول الفسقية i، وينصب فيها المياه فى نقطة ε أما الفرع α_2، فانه ينتهى بماسورة رأسية θ، كانت متخذة لملء حوض صغير فى صلب البناء . وهناك تنحدر فى شاذروان، تجرى منه الى الفسقية k، ومنها تمر فى مجرى مكشوفة m، الى الحوض المتوسط j، والمجرى الثانية β، تغوص فى الأرض تحت المجرى الأولى وتفرغ مياهها فى الحوض المذكور . وما يفيض من مياه الفساقى ينصرف فى المجرى o، ومن البربخ q، تنزل المياه من السطوح أو الطبقات فى المجرى المذكورة التى تنتهى الى البيارة p، المنصرفة فيها أيضا مياه البيارة p' .

ويلاحظ فى r، بربخ آخر . والمظنون، أنه لما قسمت الدار دعت الضرورة الى ايجاد المجاز s وعند ذلك أبطلت المجرى المنتهية بهذا البربخ . وفى t، بربخ من هذا القبيل متصل بالمجرى u، المغطاة بالبلاط وممتد لغاية الشارع . وهناك بيارة مستديرة فى v .

ولا نعلم كيف كان يتوصل من هذه الدار الى الطريق العمومى . والظاهر، أن المدخل كان فى w، فى نهاية حارة صغيرة . ومن الممكن أن نقول بوجود باب على الطريق العمومى فى x، ولا توجد آثار سلم ظاهرة . ويجوز أن يكون الفضاء y، بئر السلم وما بقى من البناء المشيد بالآجر فى هذا المكان لا يكفى لاثبات ذلك .

أما الفضاء المستطيل z فالظاهر أنه كان مستقلا عن المنزل . ويغلب على الظن أن يكون ذلك شكله فى آخر عهده . وكانت هناك حفرة واســعة، على هيئة كهف، محفورة فى الصخر تتصل مع y بواسطة بعض درجات وباب z' . ثم أبطل الباب وغيرت معالم الكهف بجدران زيدت بالآجر فألحقته بالدار المجاورة .

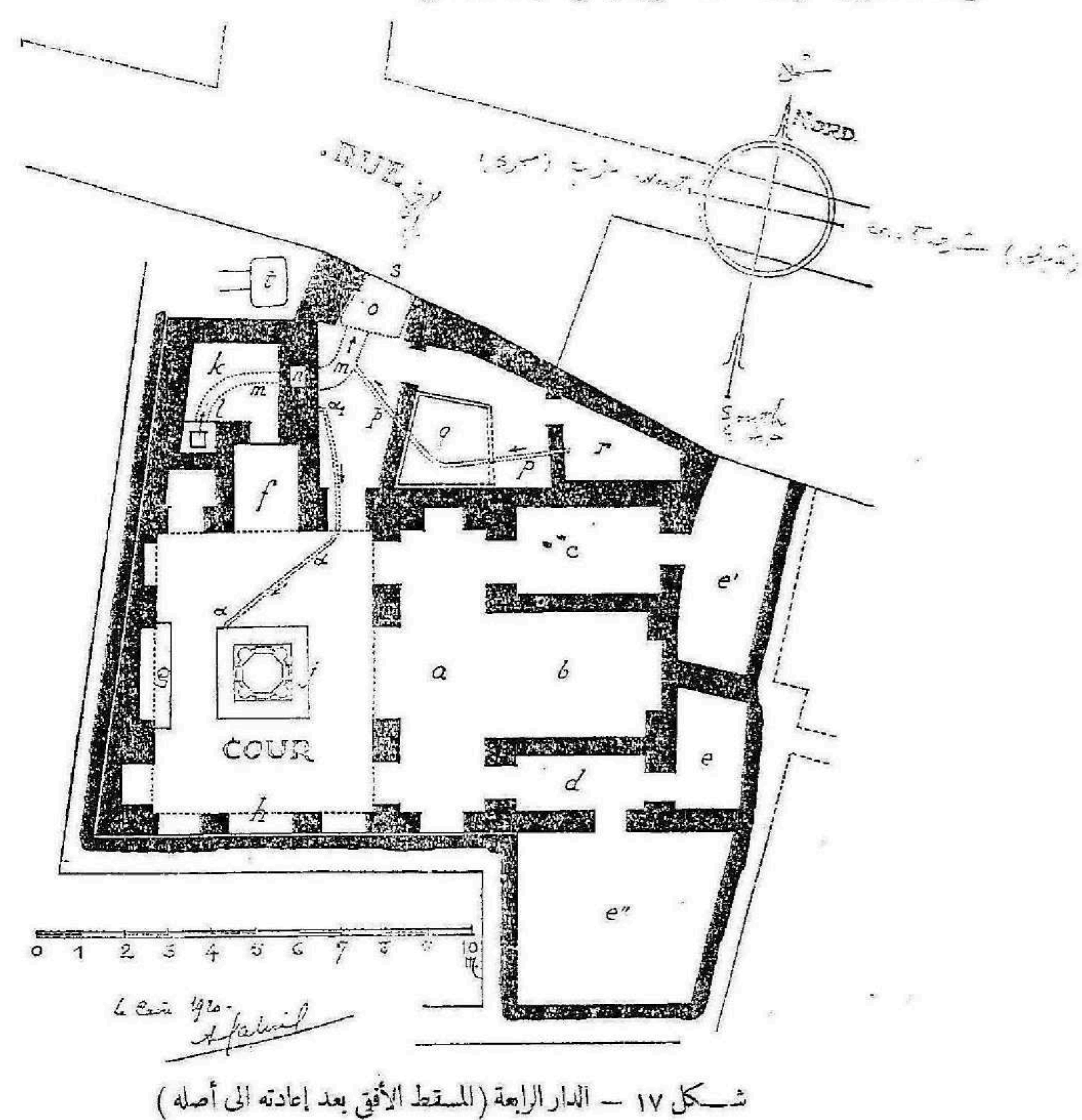


شــكل ١٦ — الدار الرابعة (المسقط الأفقى كما هو الآن)

الدار الرابعـــة

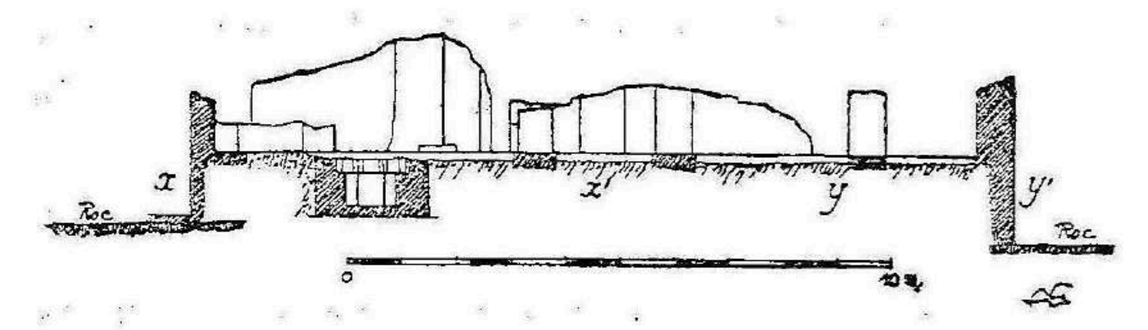
(اللوحة الثامنة عشر ، ٥ ، والأشكال ١٦ و ١٧ و ١٨)

هذه الدار ، حوشها مقاسه ٤ × ٥ أمتار ، وتحدّه من الجهتين القبلية والغربية جدران بسيطة تفصل بينه وبين المبانى المجاورة . وبجانبيه صنف واكتاف تماثل فى النظام الجانبين الآخرين حيث يشاهد الترتيب المعتاد : رواق a ، وقاعة b ، وغرف صغيرة c, d, e ، وايوان f ، وفى g ، بناء بالآجر على هيئة مصطبة . ويظهر لنا أن القاعة e ، كانت تابعة لهذه الدار . ولكنا لا ندرى كيف كان النور والهواء يصلان اليها .



شـــكل ١٧ — الدار الرابعة (المسقط الأفقى بعد إعادته الى أصله)

وفى الفسقية J ، تفاصيل كثيرة تخالف الرسم المعتاد ، لأن جوفها مثمن . وفى جزئها العلوى صفف دائرية بالأركان الأربعة مرتبطة بالشطف . وكانت المياه ترد اليها من قناة من الفخار α ، ممتدة حتى α_1 . ولا يبعد ان المياه كانت تجيئها من خزان مرتفع لم يبق له أثر . ومما نلاحظه أنه لا توجد هناك آبار قريبة .



شكل ١٨ — الدار الرابعة (قطاع حسب $xx'yy'$ من الشكل ١٦)

وكان المدخل فى s ، ولكنا لا نحكم بصحة ذلك لأن تخطيط الطريق العام فى هذه المنطقة غير واضح . والظاهر ان المراحيض، كانت فى k . وفى l ، بالوعة متصلة بالمجرور m ، الذى يؤدى الى البيارة o . كذلك الماسورة n ، فانها نازلة فى المجرور . وكانت هنالك قناة أخرى من الفخار p ،متصلة بالبيارة وتنصرف اليها مياه الغرفة r . وهى غرفة لم نهتد الى الغرض الموجودة من أجله . وفى q ، بقايا حوض مفروش بالحجر . أما البيارة t ، فانها تابعة للدار المجاورة .

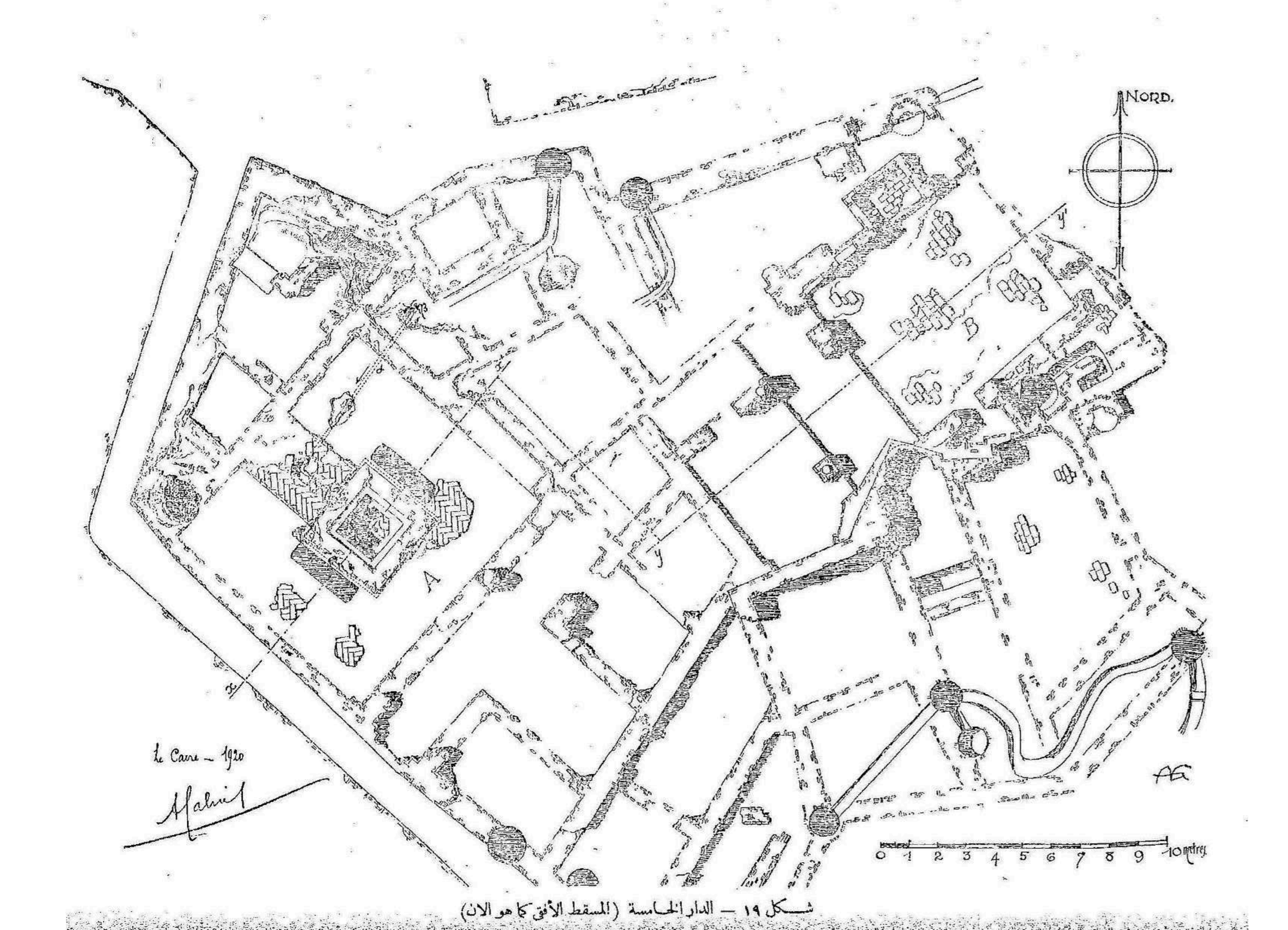
ولم نعثر على أثر للسلم . ولذلك، يغلب على ظننا أن هذه الدار كانت مكونة من طبقة واحدة سفلى .

الدار الخامسة

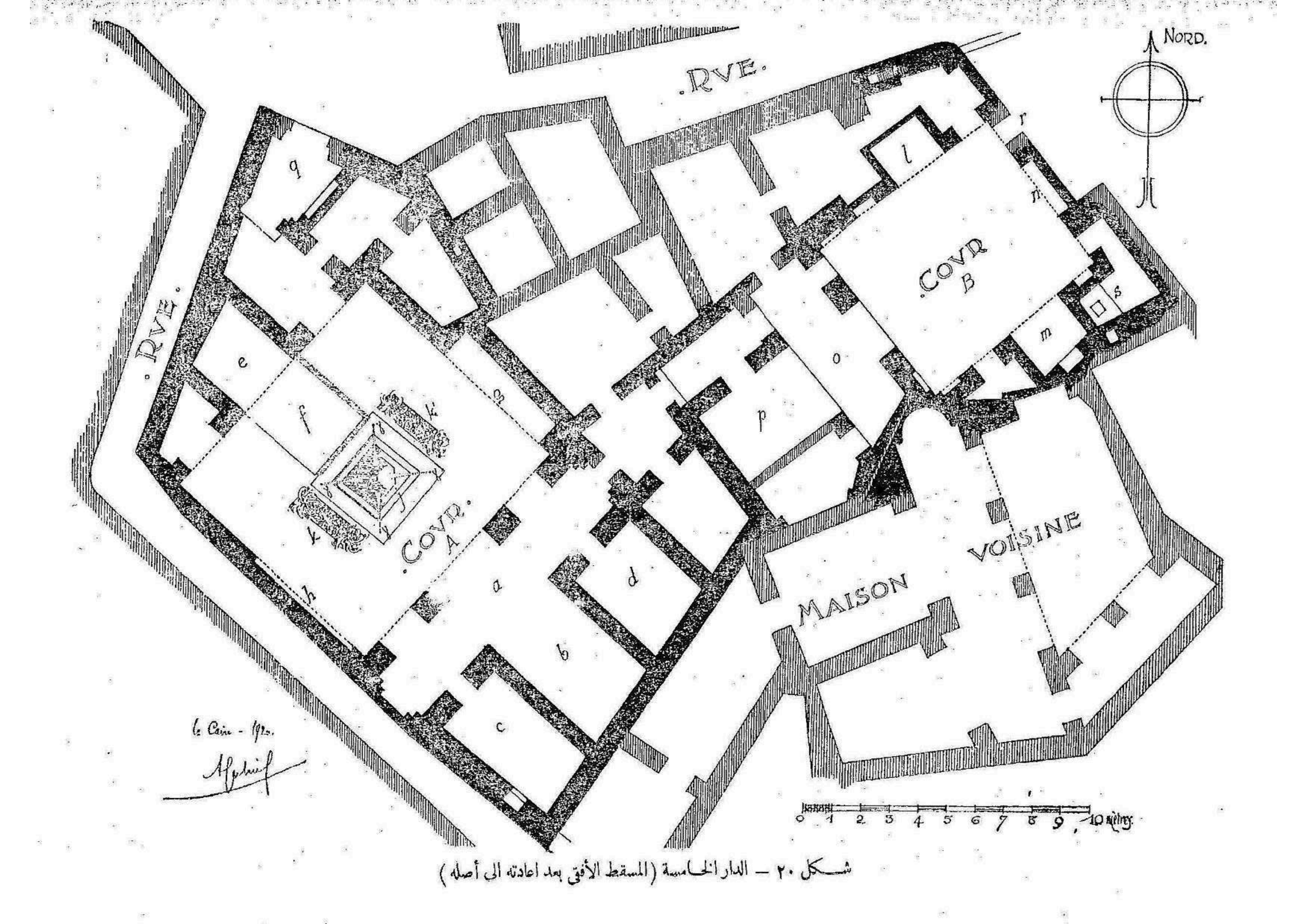
(اللوحة الثامنة عشر٩ والشكلان ١٩ و ٢٠)

فى الموقع الذى عينا فيه حدود هذه الدار، نرى الحوشين A،B ظاهرين، غير أن معظم الجدران لم يبق منها إلا الأساس . وقد زال أثر البناء تماما فى بعض المواضع . وكان اعتمادنا فى وضع الرسم (شكل ٢٠) على ما لاحظناه من التفاصيل الفنية للبناء ومن الطريقة المتبعة فى ربط الجدران بعضها ببعض . ومن ذلك استنتجنا أن الحوشين[١] كانا تابعين لدار واحدة .

(١) يلاحظ أيضا أنهم كانوا يصعدون من γ' الى γ (شكل ١٩) ببعض درج حتى يصلوا الى المستوى xx' بالحوش A . و يؤخذ من ذلك أن الاتصال بين الحوشين كان ممكنا إن لم يكن موجودا .



شـكل ١٩ — الدار الخامسة (المسقط الأفقي كما هو الان)



شـكل ٢٠ — الدار الخامسة (المسقط الأفقي بعد اعادته الى أصله)

أما الحوش الغربى A ، فانه واقع على زقاق . وفى واجهته المقابلة للغرب ، رواق ، ذوثلاث فتحات ، مرموز له بحرف a . وهو بين يدى القاعة b ، والغرفتين c و d . وفى الواجهة المقابلة ايوان e موضوع وضعا غريبا لم يشاهد له مثيل ، فان بلاطه يبرز فى الحوش حتى يتصل بالفسقية ، فيتكون منه مستطيل f يعلو نحو ١٠ سنتيمترات عن بلاط الأرض المجاورة له . وفى كل من أرض الحوش وأرض الايوان ، بقايا كثيرة من البلاط (راجع شكل ١٩) الكلسى المتماثل . وهو مستطيل الشكل ، متوسط مقاسه ٠٫٢٥ × ٠٫٦٠ ، ملصق متواترا (دالات) . ولسنا نعرف هل كان يعلو هذا الجزء المرتفع المسامت للايوان شيء من الأبنية ، لأننا لم نجد لها أثرا مطلقا . ويجوز أنه كان معدا لأن تنصب فوقه خيمة ، أو مظلات على قوائم خشبية خفيفة . أما الجزآن المرتدان الجانبيان g و h (شكل ٢٠) فان أولهما يمكن اعتباره إيوانا أو صفة معدة لأن توضع بها دكة أو تنشأ بها مصطبة ، وثانيهما h ، لا يتجاوز دخوله فى الجدار العشرة سنتيمترات ، وانما وجد لحفظ التناسب .

والفسقية j المربعة الفتحة المثمنة الجوف ، وهى من الطرز المعتاد ، كانت المياه تأتيها من القناة α التى تنقطع عند β (شكل ١٩) ، ثم تعود فتتصل بخزان موضوع بمكان عال من الدار بواسطة قناة رأسية . وكانت القناة تدور حول الفسقية . ونظامها معقد جدا ، حتى أنه ليعسر علينا التدليل على بعض التفاصيل . وقد وجدنا فى كل زاوية من الفسقية ماسورة صغيرة من البرونز قطرها سنتيمتران ، مثبتة فى قطع من رخام تختلف أضلاعها بين خمسة وستة سنتيمترات . والظاهر أنها كانت متصلة بالماسورة الفخار فتتكون منها فوارات $\gamma, \gamma, \gamma, \gamma$ تتصاعد مياهها ثم تعود فتسقط فى الفسقية . وعلى كل من جانبى الفسقية حوض مستطيل ، كان مملوءا بالطمى ، وجعل لزرع الزهور والشجيرات k, k' (شكل ٢٠) .

ولا يوجد بالحوش الثانى B ، فسقية ، وانما فيه نظام الايوانين الجانبيين l , m ، وصُفّته n ، لا تخرج عن كونها إيوانا صغيرا . والرواق الذى رسمناه فى o ، أمام قاعة P ، غير مقطوع بوجوده ، لأن الجدران هناك زالت حتى الطبقة الصخرية ، ولم يبق شيء من الغرف التى كانت متممة للدار فى الجهة الشمالية

الشرقية . أما الغرف أو الدكاكين (؟) الواقعة على الطريق جهة الشمال، فلا يسعنا إلا أن نرسمها رسما إجماليا من واقع الأساس . وكذلك الحال فى المدخل العام المرموز له بحرف q ، والباب الصغير المرموز له بحرف r ، المؤدى للحوش B ، والمراحيض s ، وأكثر الأبواب الموصلة بين الأماكن . كل ذلك ، وصفناه على سبيل الفرض والتخمين . أما ما أردنا بيانه هنا ، فهو النص على أن هذه الدار من الدور ذوات الحوشين : حوش A ، نخم وكان مخصصا لاستقبال الضيوف، والحوش الثانى المرموز له بحرف B ، كانت الغرفة المطلة عليه معدة لسكنى أهل الدار .

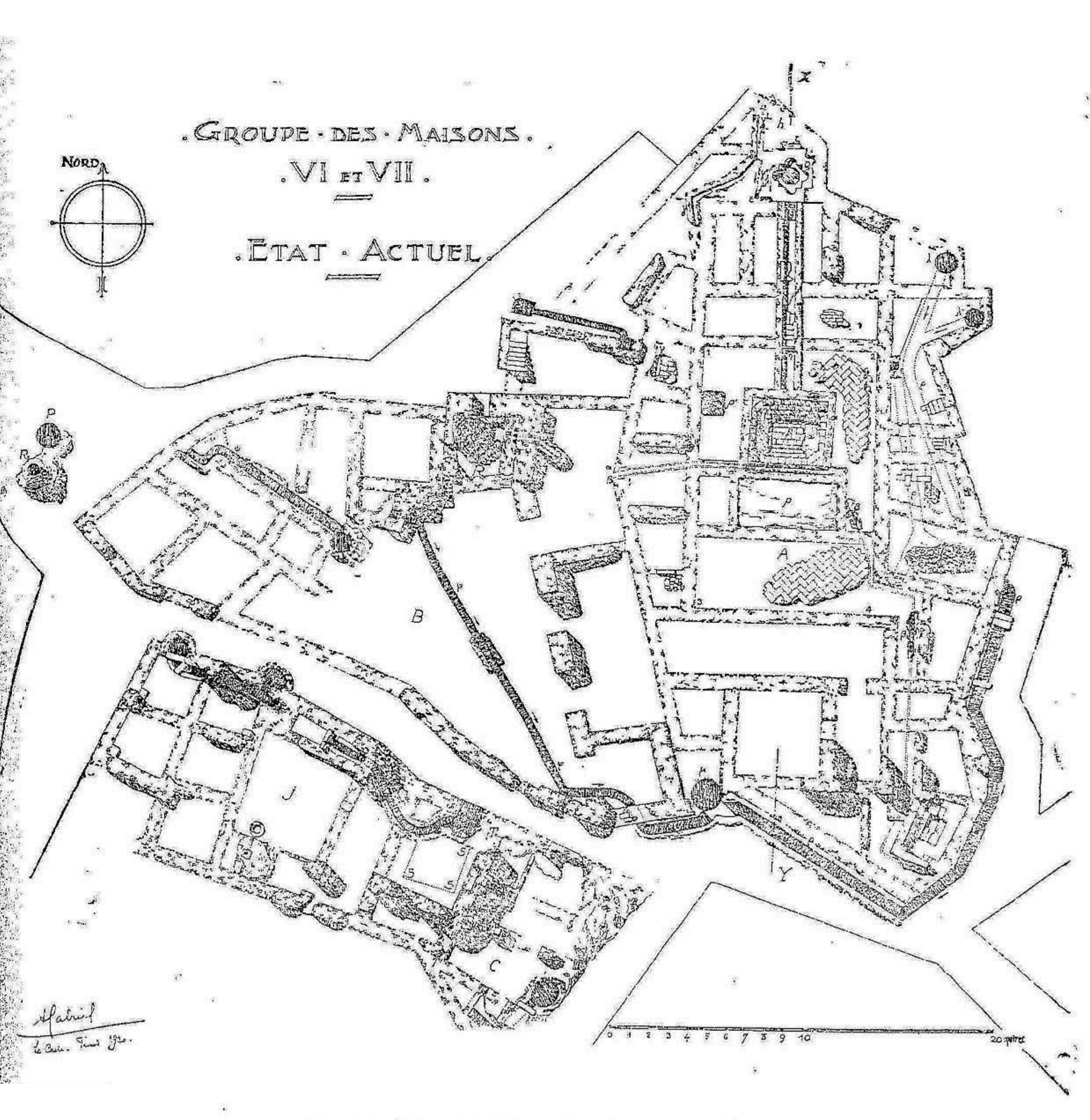
وليس فى هذه الدار أثر لسلم مطلقا . ومن ثم يكون موقفنا هنا ، كما كان عند البحث فى الطبقات العليا من الدور السابقة .

وقد رسمنا للمنزل المجاور من الجهة القبلية رسما تقريبيا ، لأننا لم نعثر هناك إلا على بقية غير واضحة من أساس الجدران . ومن فحص المبانى التى نجمت من الحفر ، فى هذه الجهة، تبين، أنه من المتعذر الوصول الى معالم صالحة بسبب تداخل الأبنية بعضها فى بعض من التجديدات والزيادات التى طرأت عليها .

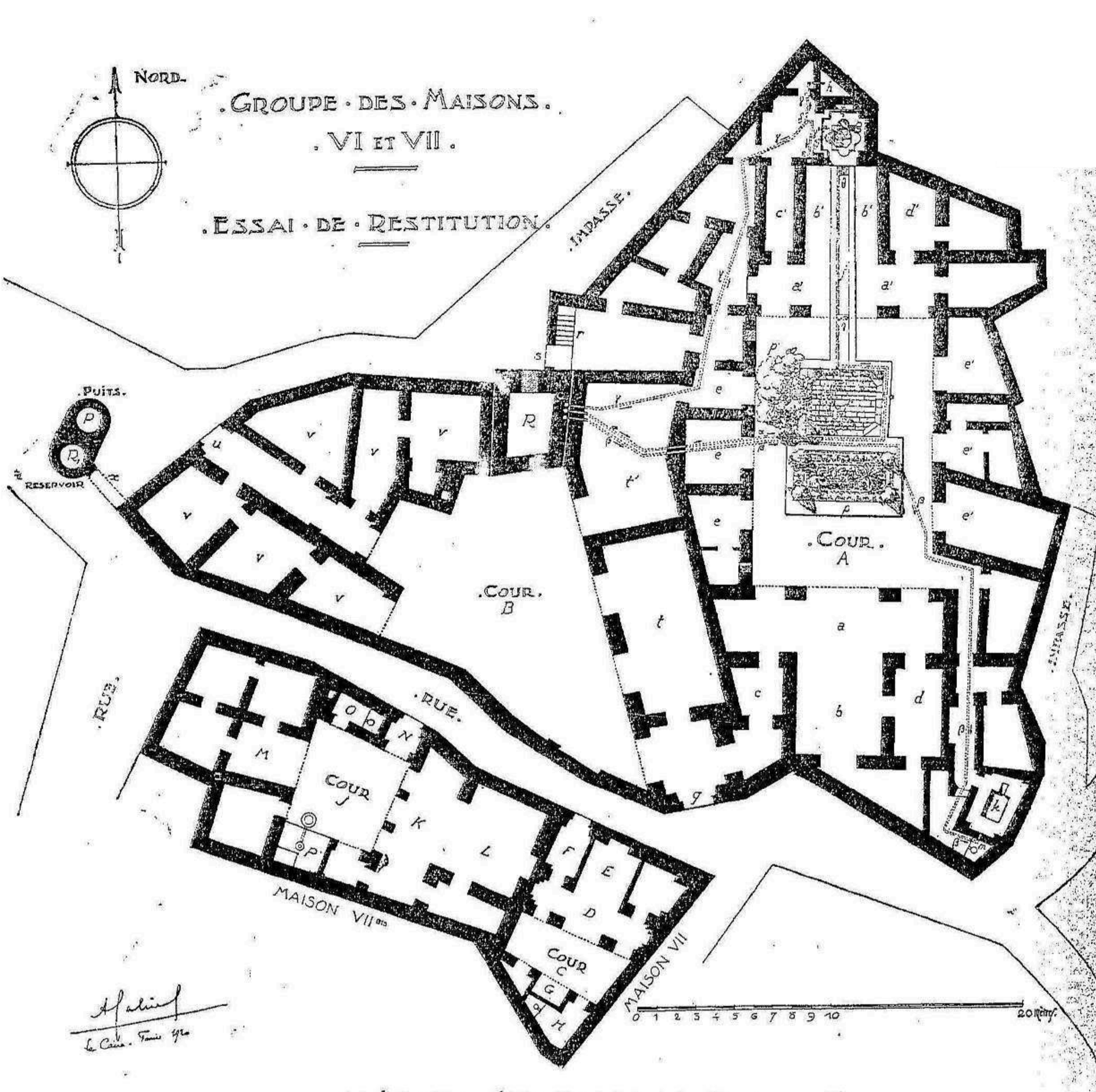
مجموعة الدور السادسة والسابعة

(الشكلان ٢١ و ٢٢)

هذه الدور، واقعة فى الجهة القبلية الشرقية من المنطقة التى أزيلت عنها الأتربة (راجع الشكل ٣) . وبالنظر الى مساقطها الأفقية المبينة بشكلها الحالى والى القطاع (ش ٢١ و ٢٥) والصورة الفتوغرافية (لوحة ١٢) ، يتبين أنه لم يعثر فى هذه المنطقة على غير أسس الجدران . وأول ما يظهر، استحالة تعيين عدد الدور التى تتكون منها الأبنية المختلطة بعضها ببعض ، اذ لا يوجد هناك غير فستية كبيرة وبعض أجزاء البناية . ويزيد الأمر التباسا ، أثر تجديدات وأبنية سابقة . والرسم الذى وضعناه للمكان بشكله الحالى يغنينا عن وصف هذه البقايا وصفا مفصلا . ومن مجرد النظر اليه يفهم ، أن مجموع هذه الأبنية يتكون من قسمين ، كل منهما قائم بذاته . والفاصل بينهما زقاق . والى الجنوب من هذا الزقاق ، داران صغيرتان نذكرهما تحت رقمى ٧ و ٧ « مكرر » .



شــكل ٢١ — مجموعة الدور السادسة والسابعة (المسقط الأفقي كما هو الآن)



شكل ٢٢ — مجموعة الدور السادسة والسابعة (المسقط الأفقى بعد إعادته الى أصله)

الدار السادســـة

(اللوحة الثانية عشر والأشكال ٢٣ و ٢٤ و ٢٥)

يظهر أن الباقى من الأسس فى هـذه الدار، كان فى الأصـل تابعا لدار واحدة : يدل على ذلك نظام توزيع المـاء فيه .

توزيع الميـاه — يوجد ثلاث قنوات رأسية من الفخار α, β, γ لا تزال بمكانها من الجدار الشرقى من غرفة صغيرة مستطيلة الشكل R ، معقود عليها قبو من الآجر لم يبق منه إلا بعضه .

ومن المحتمل، أن هذا القبو كان فوقه خزان، تأخذ منه القنوات الثلاث المياه . وكانت البئر القريبة P (ش ٢١ و ٢٢) ، منعزلة فى وسط الطريق العمومىّ . واذا فرضنا أن هذه البئر كانت تؤخذ منها المياه لملء الخزان R ، يتعين أن المـاء كان ينقل من هذه البئر الى الخزان المجاور لها المرموز له بحرف R_1 ، على ارتفاع مناسب . ومنه ينقل المـاء الى قناطر تخترق الطريق فى x (ش ٢٢) . وهى قناطر تحاذى السور الخارجى للدار من الشمال ، الى أن تصب فى الخزان R .

نقول ذلك ، باعتبار أنه من الافتراضات المقبولة ، لأن الخزان R ، كان ممكنا ملؤه بطريقـة أخرى . وكانت القنوات الثلاث α, β, γ الخارجة من هـذا الخزان تصب قناتها الأولى α, α, α فى الفسقية f الواقعة فى وسط الدار . أما القناة الثانية β, β, β الغير الكاملة من طرفها القبلى ، فكانت تؤدى المياه الى الحوض المستطيل K ، الكائن بالزاوية القبلية من الدار، ولا يزال جانب من بلاطه باقيا على أصله . والقناة الثالثـة γ, γ, γ ... ، متجهة الى الشمال ، وتتفرع فى δ ، الى فرعين : الأول γ' يملأ منه الخزان h ، فتنحدر مياهه فى شاذروان، ومنه الى الفسقية . ويجوز أن المياه كانت تؤخذ للفسقية من الفرع الثانى γ'' ، من القناة . و بواسطة المحبس المتخذ فى ε ، كان يمكن حبس المياه .

ويستدل من توزيع المياه على هذا النظام، أن القنوات كلها تابعة لدار واحدة . وهو استنتاج يؤيده تخطيط المجارير . وكانت المياه فى هذه المنطقة تصرف، بعد الاستعمال، فى البيارة الكبيرة μ ، فكان مسلطا عليها من الجهتين الشرقية والشمالية، المجروران ρ ، المتخذان للبيارتين المساعدتين λ λ ،

والمجرور φ، الذى كانت تنصرف اليه مياه الجانب الغربى . ويلاحظ هناك أيضا، بيارة مستقلة ω ، ومجرور ψ فى الجهة الغربية .

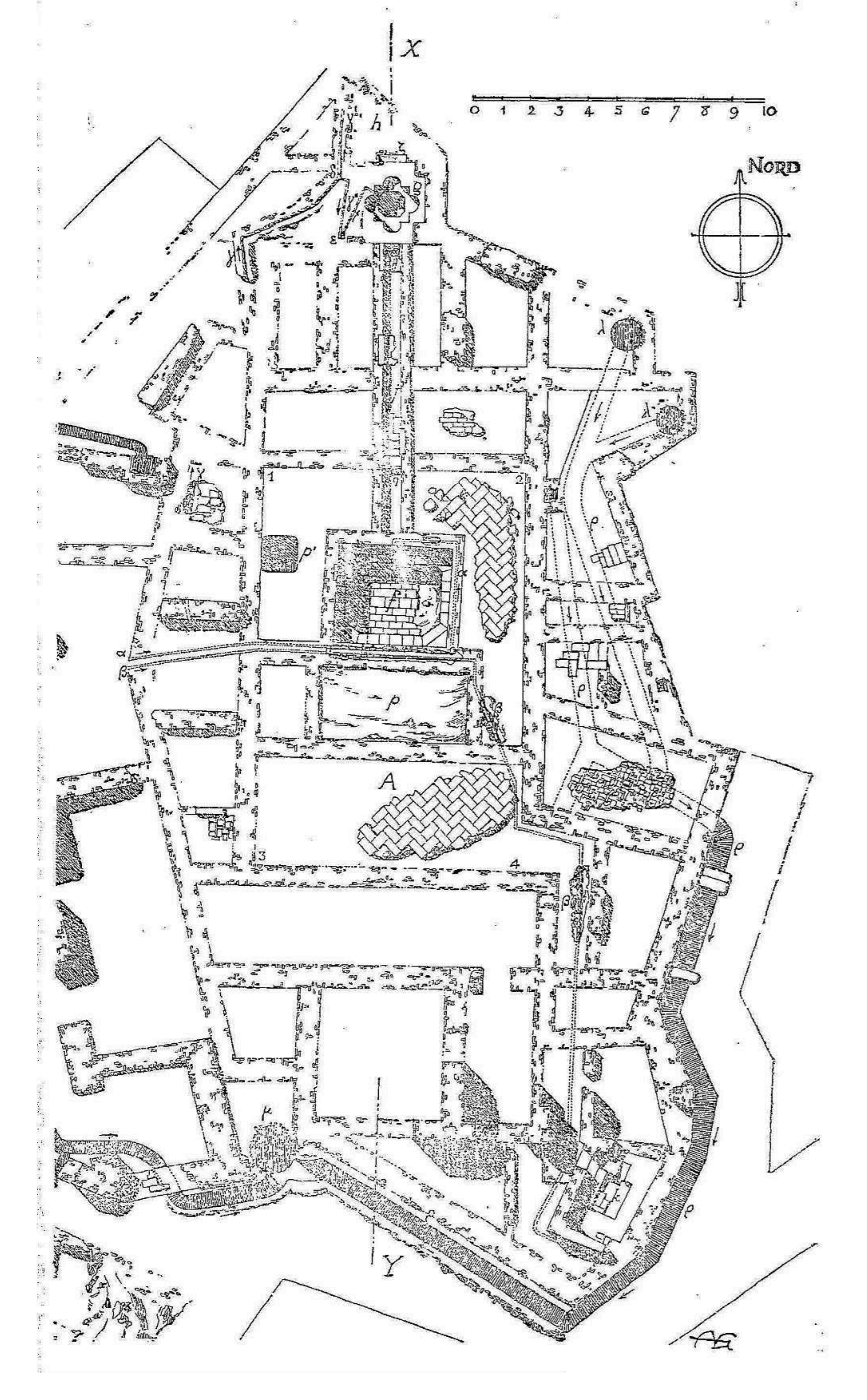
والآن ، نبحث عن توزيع الغرف فى هذه الدار الكبيرة . أما الفسقية الوسطى f فكانت فى حوش يمكن تطبيقه على الشكل المستطيل المرموز لزواياه بالأرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ (شكل ٢٤) . ونسبة العرض الى الطول فى هذا الشكل كنسبة ٢ الى ٣ . ولا يبعد، أن تكون الجدران التى فى الجهة القبلية من الفسقية مخلفة من أبنية سابقة ، لأنها منخفضة عن بقايا البلاط التى لا تزال بمكانها . وتحيط الجدران المذكورة بحفرة P ، وجدت وقت الحفر مملوءة بالطمى . وهذا، يحمل على الظن أنها معدّة لغرس بعض الشجيرات والأزهار ، كما يجوز أن الحفرة P' المنقورة فى الصخر، كانت معدّة لشجرة فى الحوش .

وكانت مياه الفسقية g ، تنحدر فى الجهة القبلية من شاذروان θ ، الى قناة مكشوفة i ، مبلطة الجوف، تنتهى الى الفسقية الوسطى f . ولا تزال هناك بلاطة رأسية η ، بها ثقب تنحدر منه المياه الى الفسقية الوسطى .

وبالجهة الغربية ، قطعة فضاء كبيرة خالية من أسس المبانى . ولذلك رسمناها على شكل حوش غير منتظم B ، يحدّه من الجنوب جدار يفصله عن الشارع ، وتحدّه من الجهات الثلاث الأخرى أبنية مختلفة . والظاهر أن هذه الأبنية لم يراع فى توزيعها نظام التماثل .

ولم يثبت فى الرسم من التفاصيل إلا القليل الذى يساعد على فهمه ، على أن هذه التفاصيل فى الغالب خيالية ، كما يتبين من مقابلة الرسم الذى تخيلناه لهذه الدار بالحالة التى وجدت عليها . ومن بين هذه التفاصيل التى تخيلناها، المدخل المرموز له بحرف u . وفى v, v, v أماكن مختلفة تخيلنا لها أبوابا .

وفى t و t' مناطق مستطيلة ، محدودة بجدران لها فتحات كبيرة على الحوش . وربما كانت اصطبلات ومخازن ، ونحو ذلك ، اذا قلنا بوجود مرافق الدار فى هذه الجهة . ولكن الظاهر


X
0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
NORD
A
Y

شـكل ٢٤ — الدار السادسة (المسقط الأفقي بعد إعادته الى أصله)

يخالف ذلك . ومن الجائز أن يكون بين هـذه الأماكن القسم المخصص للحريم أيضا ، يقابل غرف الاستقبال المحيطة بالصحن المستطيل A . ولا داعى لأن نقول، إننا لم نجد أثرا يدعم هذه الفروض . ومما ينبغى التنبيه اليه، اننا لما عينا فى الدور السابقة محل الحريم ومحل الرجال (السلاملك)، كان المحلان على اختلاف وظيفتيهما ، يحتويان على أبنيـة ، إن لم تكن فى أوضاعها تماثل بعضها بعضا ، فعلى الأقل تتقارب فى الشبه .

أما فى هذه الدار، فان احاطة الحوش B ، بأبنية غير منتظمة ومتباينة الشكل، يحمل على الظن بأنه كان للمرافق لا للسكن .

مما تقدم يؤخذ ، أن الدار السادسـة كانت مستعملة على قسمين مختلفين يقابلان الحوشين B, A . ولنترك الآن القسم الغربى ، لأنه من الوجهة الفنية عديم الفائدة . ونجتهد أن نبين كيف كان نظام الأبنية حول الحوش A ، من واقع بعض الأوضاع المتماثلة من أسس الجدران . ولسنا نخفى أننا عند تخطيط الرسم (شكل ٢٤) ، كنا نرجع فى ذلك الى الاستقراء . وسيتضح أن هذا الرسم ينطبق على المعالم التى أظهرها الحفر (شكل ٢٣) ، وأن استنتاجنا إن لم يكن أقرب الى الحقيقة فى التفاصيل، فانه كذلك من جهـة الأوضاع العامة ، لأن تخطيطه من واقع الأسس جاء ببعض الميزات المعروفة فى دور الفسطاط .

ففى A ، الحوش المتوسط وفسقيته f ، يحدّدها من الجنوب حوض للزهور والأشجار P ، وتظللها من جهة الغرب شجرة P' .

وفى الجنوب، رواق ذو ثلاث فتحات a ، يسلك منه الى قاعة b ، تكتنفها من طرفيها غرفتان صغيرتان d, c . وفى الشمال ما يماثل

شكل ٢٥ — الدار السادسة (قطاع حسب $x\ y$ من الشكل ٢٣)

ذلك : رواق a' ، وقاعة b' ، وغرفتان d', e' . وكانت الفسقية g ، تزين داخل القاعة b' ، التى تخترقها القناة z .

ومن ثم نلاحظ فرقا كبيرا بين هذه الدار وبين الدور التى سبق الكلام عليها، التى لا يوجد بها غير رواق واحد ذى ثلاث فتحات ، فى جانب واحد من الحوش . أما فى هذه الدار ، فالظاهر أنه كان بها رواقان متماثلان بالجانبين البحرى والقبلى، على عكس الجانبين الطويلين الشرقى والغربى، فإنه لم تكن بهما أروقة ، إذ لا يوجد ما يدل على ذلك ، وانما كانت فيهما غرف تختلف فى المقاس e, e, e ... $\acute{e}, \acute{e}, \acute{e}$ ...

وليس فى وسعنا أن نؤكد اذا كان الرسم فيما يتعلق بذلك يقرب من الحقيقة أم لا . على أن وضع الجدران الوسطى (القواطيع) يفهم منه، أن التماثل وان لم يكن موجودا فى الجهتين الشرقية والغربية ، فان الفتحات على الأقل كانت موزعة فيهما توزيعا منتظما . وقد حاولنا توضيح ذلك فى الرسم بكيفية معقولة .

على أن عنايتنا بالتفاصيل ، كانت أقل من اهتمامنا بالشكل العام فى هذه الدار . وهو شكل يغاير فى نقط عديدة ماشاهدناه فى الدور التى سبق وصفها . فليس الأمر قاصرا على أن مقياس الحوش ونسبته مخالفين للمعتاد ، بل أن واجهاته على خلاف القاعدة العامة، تقابل الجهات الأربع الأصلية .

واذا راعينا تعدد الأروقة والقيعان بجانبى الحوش البحرى والجنوبى وانعدام الأواوين الجانبية، ذكرتنا هذه الدار بنظائرها من الدور العراقيــة فى سر من رأى (سامرا) والأخيضر . ولكنا لا نميل للخوض فى هذا الموضوع الآن، وسنعود اليه بعد الفراغ من الكلام على ما اكتشفناه من الدور .

وقد تعذر علينا التوسع فى رسم البناء الأصلى، وتعيين نظام واجهات الحوش، ولو برسمها رسما اجماليا، كما أنه يتعذر علينا أن نقول، اذا كانت هذه الدار مكونة من طبقة واحدة «أرضية»، أو من

عدّة طبقات . وليست الدرجات الموجودة من السلم المجرىّ فى r ، من الأدلة على وجود دور علوى ، لأن السلم قد يكون لصعود السطوح أو للوصول الى الخزان R ، المجاور له .

ولنذكر هنا بعض التفاصيل التى تخيلناها وهى : مدخلان q ، s ، ومواقع أكثر الفتحات والأبواب . وربما كان هناك حمام محل الحوض k ، الواصلة اليه المياه من المجرى β . ونظن أن المكان المجاور للحمام المرموز له بحرف m ، كانت به المراحيض، وإن لم يبق أثر لذلك . وتدل المصارف العديدة المرتبطة بالمجارير المساعدة، على وجود مراحيض أخرى من هذا القبيل، كما هو مبين على الرسم الأفقى .

وقد عثر فى هذه الدار، وهى السادسة، على قطع كبيرة من الزخارف لها شكل خاص، ومصنوعة على نمط واحد، على طريقة الزخارف التى عثر عليها فى الدار الخامسة . وقد أجلنا وصفها والكلام عليها، الى الباب السابع .

وبين القطع المذكورة، قطعة من طراز مكتوب عليها بالكوفى "قصورا" تتكون حروفها من قطع من الطوب، مثبتة فى كتلة من الجبس (اللوحة العشرون ٢٠ — ٢) . والظاهر، أنها بقية من كتابة قرآنية، قد يكون قوله تعالى: (تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا)[1] .

وقد جرت العادة، أن يختار من الآيات القرآنيـة ما يكون مناسبا للمكان المراد كتابتها عليه . ويستنتج من ذلك، أن هذه الدار كانت قصرا يمتاز بكثرة زخارفه واتساعه عن الدور التى كانت تبنى فى المدينة، ولكنه يعدّ وسط بينها وبين قصور الأمراء .

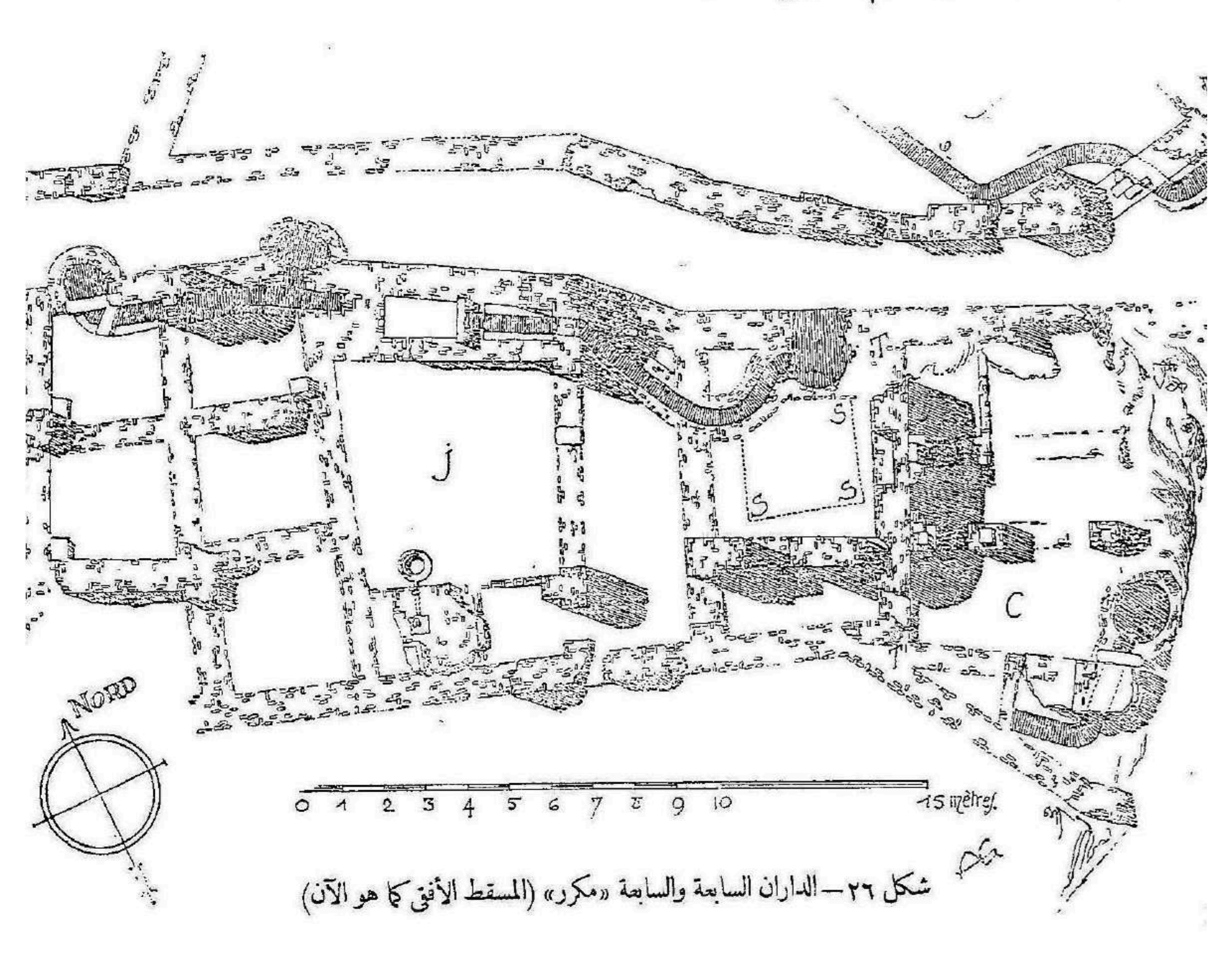
الداران السابعة والسابعة «مكرر»

(الشكلان ٢٦ و ٢٧)

هذه المبانى التى درجناها باسم الدار السابعة، والسابعة «مكرر» ، يفصلها عن الدار السابقة زقاق ضيق، متوسط عرضه متران . وهى باقية بحالة جيـدة ، خصوصا فى الجهة الشرقية حيث يبدو للناظر انعدام الفتحات فى الجدار TT . ويتبين من ذلك، أننا أمام دارين منفصلتين :

(١) القرآن الشريف، س ٢٥ آية ١١ وفى الآية ٧٢، من السورة السابعة لفظ «قصورا» .

منهما الدار السابعة يسهل الاستدلال فيها على موقع الحوش الضيق C (شكل ٢٧) ، والرواق ذى الفتحات الثلاث D ، والقاعة E . ومن المحتمل ، أن يكون المدخل عند F . وفى G ، بقايا إيوان . وفى H ، موضع المراحيض ، كما تدل عليه القناة والبيارة المتصلتان بهذا المكان . وهذه التفاصيل يمكن التثبت منها ، بمراجعة الرسم الممثل لهذه الدار ، بالحالة التى هى عليها . ومع أن هذه الدار زالت حتى الصخرة فى نهايتها الشرقية فانه لايزال باقيا من معالمها مايساعد على تكميل الرسم الأفقى بالقياس والمضاهاة .

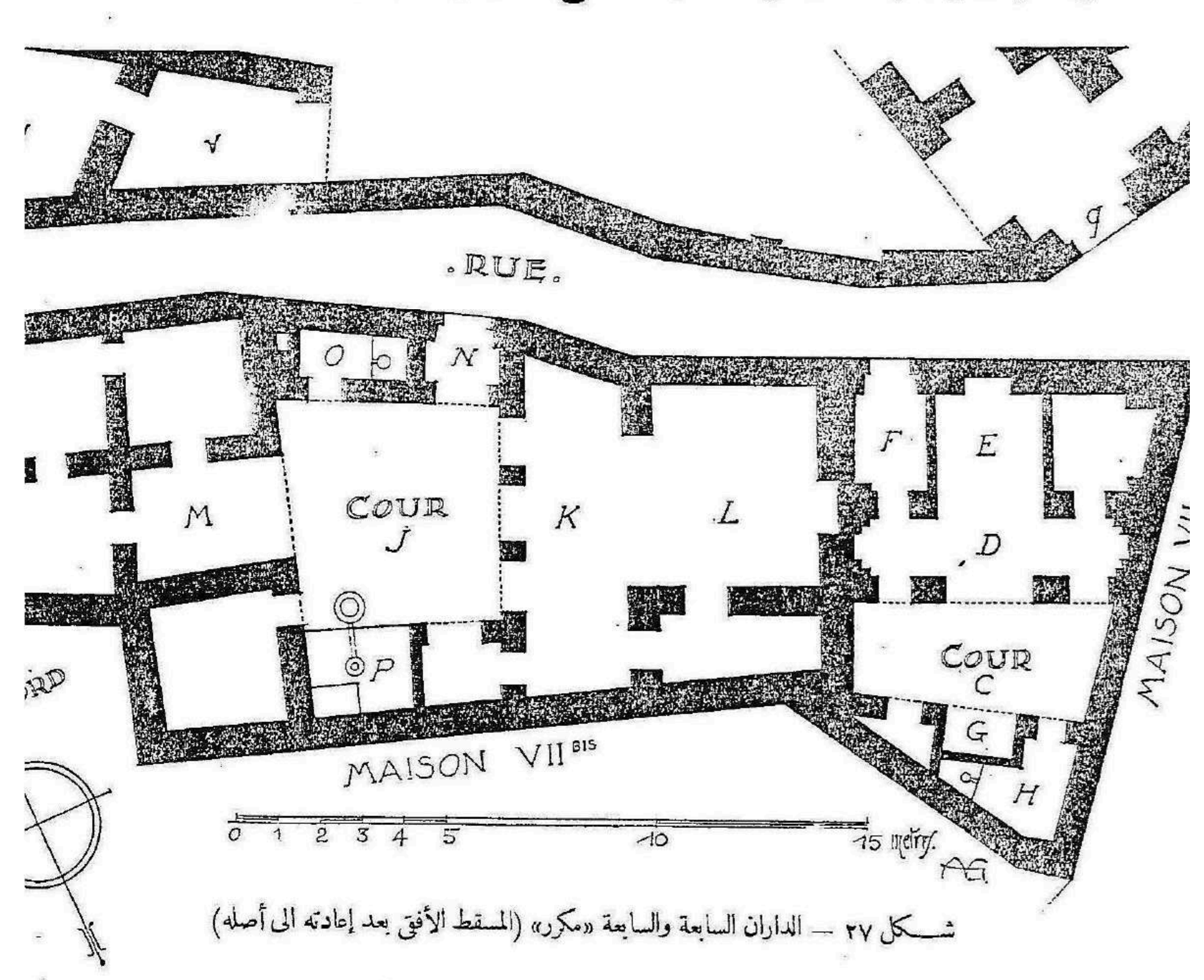


شكل ٢٦ — الداران السابعة والسابعة «مكرر» (المسقط الأفقى كما هو الآن)

وليس الحال كذلك فى الدار السابعة «مكرر» ، فانها أوسع ، ولكن بقاياها أقل وضوحا . ولذلك كان الرسم الذى وضعناه لها أكثره تخيليا . فتصورناها دارا تشتمل على حوش J ،

ورواق K ، وقاعة كبيرة L . وقد يكون بالجهة المقابلة إيوان M . وفى P ، بقايا حوض ماء وزلعة فخار تملأ بالمياه .

ولم تجر العادة بوجود خمسة محال كهذه، متساوية تحدق بالايوان M . والظاهر أن الدارين ولا سيما الدار السابعة كانت الواحدة منهما لا تسع أكثر من أسرة واحدة .



شـكل ٢٧ — الداران السابعة والسابعة «مكرر» (المسقط الأفقى بعد إعادته الى أصله)

وقد خلت الدار من الفساقى والآبار، وهو أمر لا يعد من الشواذ . ولكن يلاحظ أن المواد المستعملة فى البناء هى من نوع ما فى الدار السابقة . ولذلك يرجح أن الدارين المذكورتين من ملحقات الدار الكبيرة، وأنهما كانتا متخذتين للضيافة . والعادة أن الأغنياء من

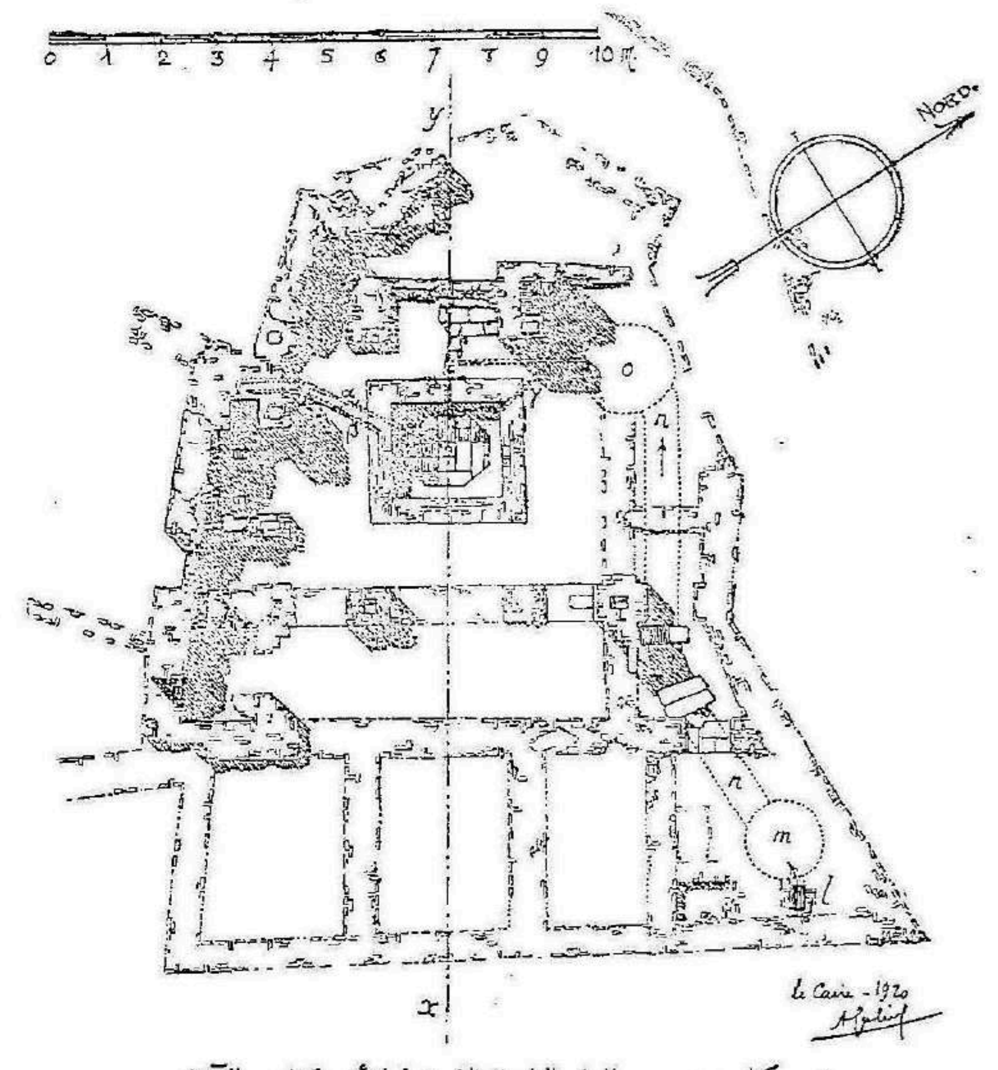
ذوى الأملاك يتخذون دورا يخصصونها لنزول الضيوف، ويجعلونها بمعزل عن البيوت التى يسكنونها . ومن قبيل ذلك، دار الضيافة التى بناها عبد العزيز بن مروان بالخشابين[(١)] .

ومهما كان الغرض من الدارين، فان الصغرى منهما (نمرة ٧)، وهى التى تشغل من المساحة نحو ٧٠ مترا مربعا، كانت تحتوى على مشتملات ومميزات الدور الكبيرة الواسعة الأرجاء .

الدار الثامنة

(الأشكال ٢٨ و ٢٩ و ٣٠)

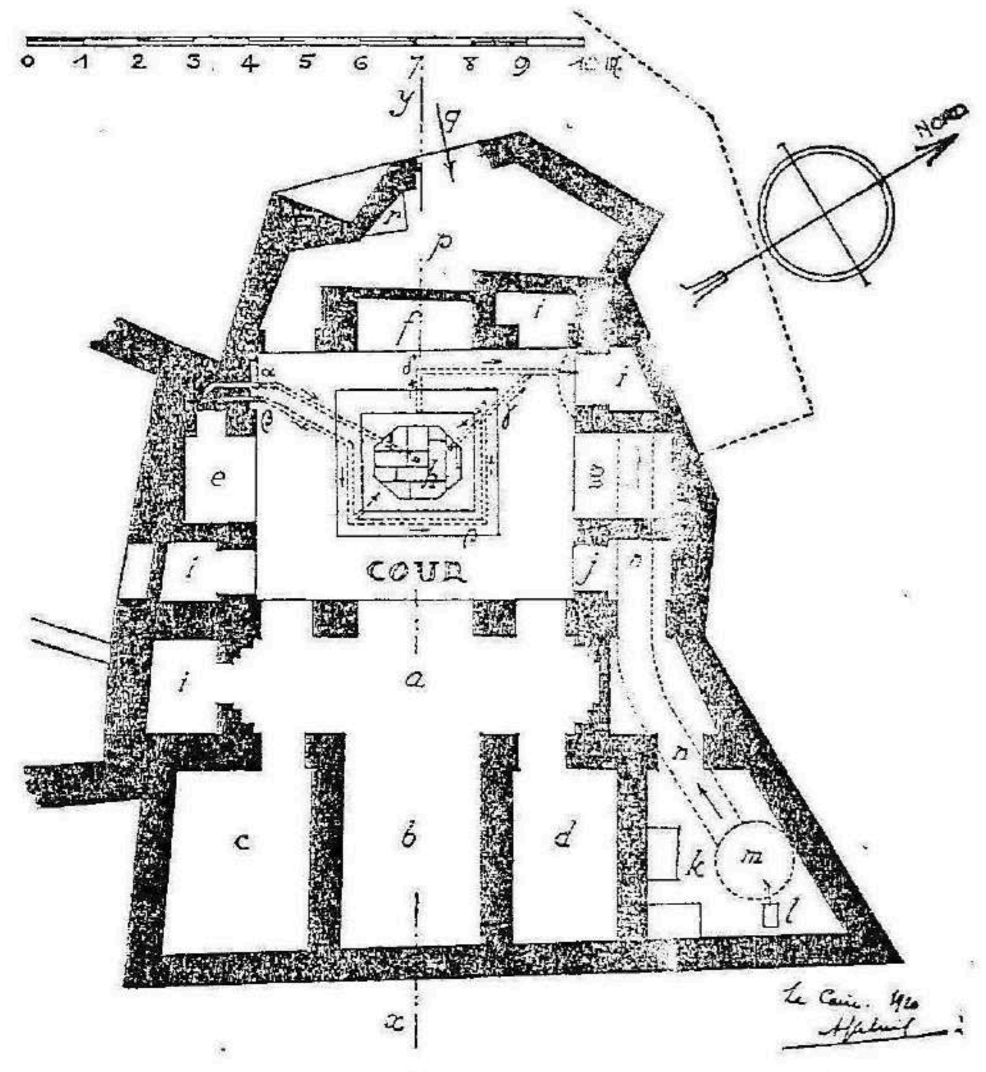
هذه الدار قائمة على أرض غير منتظمة كما فى الدارين الثالثة والرابعة . ولكن بانيها تمكن من أن يجمع كل ما يلزم للسكنى فى جناحين متماثلين، فيشاهد فى الرسم الممثل لحالتها الحاضرة (شكل ٢٨)، محتويات الدور المعتادة كما بيناه فى الرسم (شكل ٢٩)، فهى تشتمل على الحوش A،



شكل ٢٨ — الدار الثامنة (المسقط الأفقى كما هو الآن)

(١) ابن دقاق، رابع ص ١١

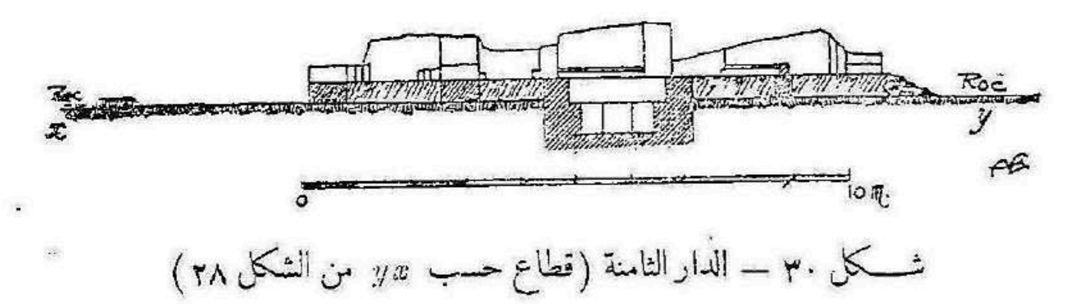
وفسقيته h ، والرواق ذى الفتحات الثلاث a . والقاعة الكبرى b ، والغرفتين d,c ، والاواوين الثلاثة g,f,e .



شكل ٢٩ — الدار الثامنة (المسقط الأفقى بعد ارجاعه الى أصله)

وفى الزاوية القبلية الشرقية، بالمكان المرموز له بحرف K ، بيارة مستديرة m ، بها بربخ l . وقد يكون هذا المكان معدًا لمراحيض . وبجوار ذلك بعض كتل مبنية بالآجر، ربما كانت أسس بعض الأحواض، لأنها متصلة بالمجرور n بواسطة أقنية صرف تمتد من البيارة m وتنتهى ببيارة أخرى o . وكان موجودا بزوايا الحوش، الخلاوى الصغيرة i,i,i... . وتنحصر المجارى فى قناتين من الفخار β,α صاعدتين رأسيا فى صلب الجدار فكانت المياه تنزل من حوض مرتفع . وليس فى وسعنا أن نقول كيف كان يملأ، لأن البئر القريبة منه واقعة على بعد خمسة عشر مترا، وهى بالمنزل الذى يليه فى الجهة القبلية الغربية .

وهناك قناة α ، غائرة فى الأرض ، تؤدى الى وسط الحوض ، وفى نهايتها فوهة من نحاس وجدت بمكانها الأصلى .



شـكل ٣٠ — الدار الثامنة (قطاع حسب yx من الشكل ٢٨)

وتدور حول الفسقية ، قناة رمزنا لهـا بحرف β فى الزاويتين البحرية والقبلية . ويلاحظ هنا ، وجود قناتين اختصت بهما هـذه الفسقية لصرف الميـاه . احداهما γ تخرج من بطن الحوض ، وهى تستعمل اذا أريد تصفيته من كل مياهه . والأخرى δ ، فتحتها باستواء سطح المـاء ، وتستعمل مع القناة الأولى لصرف ما يفيض من مياه الفسقية الى البيارة O .

ولم نعثر على ما يدل على باب الدخول . وقد يكون فى q ، بالقرب من البناء الذى على شكل مصطبة مثلثة المرموز له بحـرف r ، ولا يزال على حاله الى الآن . واذا تحقق ذلك يكون المدخل فى الدركاة P ، منعطفا على شكل كوع ، وهو من الأوضاع المألوفة فى الآثار العربية . وليس هناك أثر لسلم يستدل منه على أن الدار كان بها دور أول .

الباب الخامس

مميزات الدار التي بوسطها حوش

اذا صرفنا النظر عن بعض الشواذ ، يستنتج من الأوصاف التى أتينا عليها فى الكلام على الدور، أن الغرف كانت تحيط الحوش بنظام متماثل ، فى كل دار . اللهم، إلا فى بعض الأحوال ، فاذا استثنينا الدار السادسة التى تمتاز من بعض الوجوه بشكلها الخاص[1]، يمكن حصر الدور التى تكلمنا عليها فى أشكال بسيطة متحدة فى الشبه اتحادا تاما .

ويتجلى ذلك من رسم هـذه الأشكال بجانب بعضها ، وبمقياس واحد ، على لوحة واحدة (شـكل ٣١) . فيرى فى جميع هذه الدور، انها تتكون من نظام هندسى قائم على محورين متعامدين ، يلتقيان فى وسط حوش تختلف الغرف المحيطة به فى المقاس والنسب . وفى كل جنب من جوانب الحوش رواق ذو ثلاث فتحات ، تختلف فى الضيق والسعة . منها الفتحة الوسطى أوسع من الفتحتين الجانبيتين ، ويفصلها عنهما كتفان مبنيان بالآجر . وفى سمت الرواق ، القاعة . وهى قاعة كبيرة يزيد طولها عن عرضها . وتكتنفها من جانبيها حجرتان صغيرتان ، منعزلتان عنها .

وفى الجوانب الثلاثة الأخرى من الحوش فى محور كل جانب ، أواوين تختلف فى الامتداد الى الداخل ، فتتكون منها تارة قاعات (٦ من الشكل ٣١ الدار الثالثة) وطورا وهو الأغلب ، أواوين صغيرة أو صفف .

---

(١) يراجع فى الفصل الرابع ، وصف هذه الدار مع الأشكال ٢١ الى ٢٥ وسنبين فيا بعد ، الى أى درجة ، تختلف هذه الأبنية عن القواعد المعمول بها .

١ – النسب

لم نقف على الطريقة التى كانت متبعة فى تخطيط الرسم الأفقى للدور . هل كانت بالطرق الهندسية أو الحسابية ؟ كما أننا لا نعلم ما هى الوسائل التى كان يستعملها البناءون فى ذلك . ولقد جاء فى الرواية المتواترة عن بناء الجامع الطولونى، أن مهندسه القبطى صوره على الجلد[(١)] .

ولا يبعد، أن البنائين كانوا قبل وضع أسس الدور يرسمون البناء رسما مختصرا على الجلود، أو على ألواح من الخشب . وكانوا يخصصون للدار مساحة محدودة . ويضطرون فى تقسيم البناء الى الجرى على مقتضى الضرورة، مراعين فى ذلك حالة الطرق والجوار وغيره . ويعالجون ذلك بالاستقراء والتصرف فى ترتيب الرسم الأفقى، بالزيادة والنقصان . حتى يتوفقوا الى تركيب منظم . وهذا سبب الاختلاف فى عدم النسب الذى ما كان يتأتى لو طبقت القواعد الهندسية[(٢)] .

وكانت الأبعاد الأصلية للحوش والأروقة والقاعات تحسب فى الغالب بواسطة المضاعف البسيط لوحدة الطول وكسورها . على أن البحث فى ذلك بسبب عدم انتظام البناء لا يؤدى الى نتائج حقيقية واضحة[(٣)] . ولا بأس، أن نأتى هنا ببيان بعض الأبعاد التى استخرجناها من الدار الثامنة، حيث يظهر لنا استعمال وحدة تقرب من ٠٫٦٤[(٤)] .

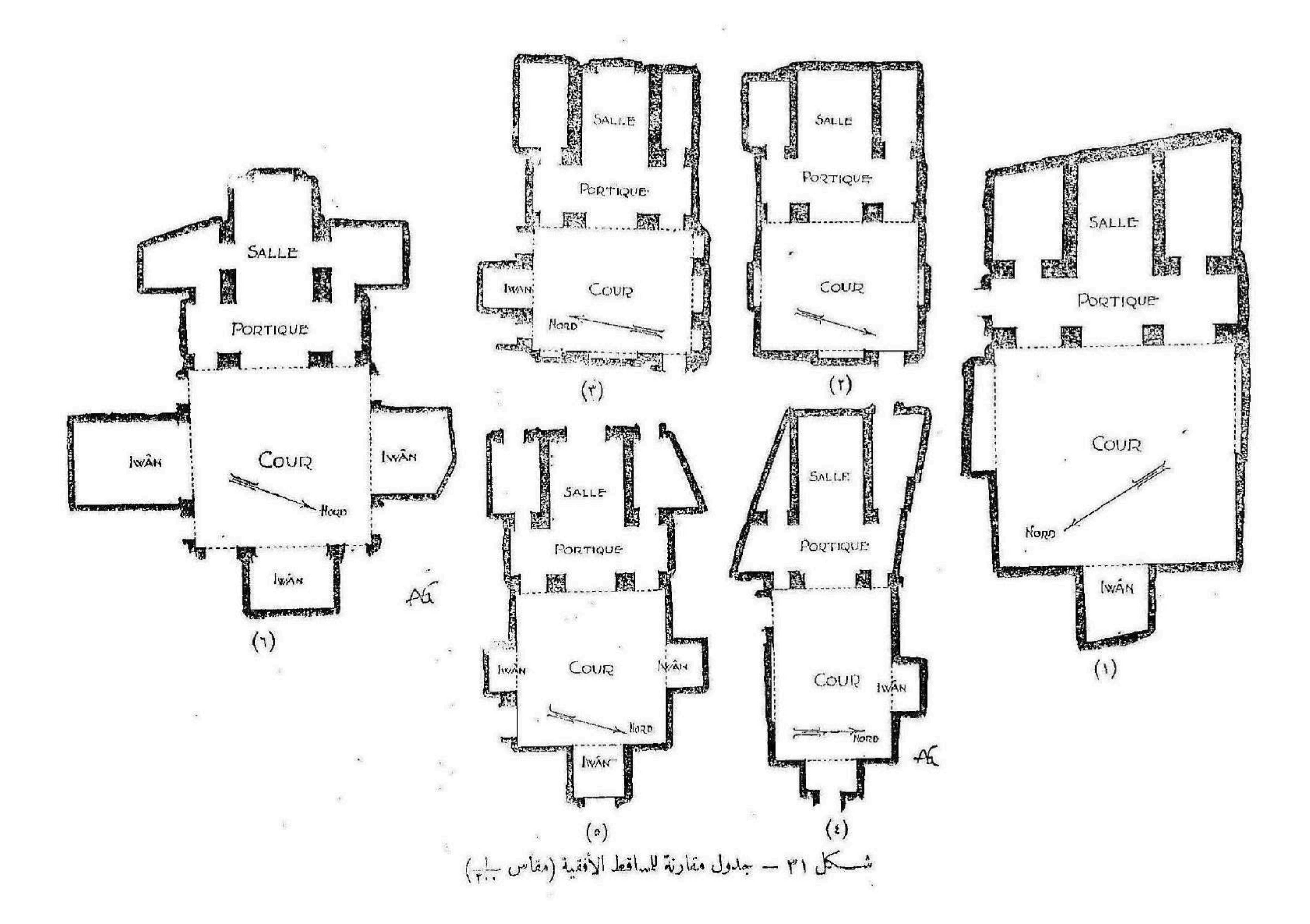
---

(١) أحضر أحمد بن طولون، النصرانى الذى تولى له بناء العين، واستشاره فى بناء الجامع . فقال : "أنا أصوره للأمير حتى يراه عيانا بلا عمد إلا عمودى القبلة، فأمر بأن تحضر له الجلود، فأحضرت . وصوره له . فأعجبه، واستحسنه، وأطلقه، وخلع عليه ..." المقريزى ج ٢ ص ٢٦٥ ، وفى القرن الرابع الهجرى، رغب محمد بن طغج، أن ينشئ بستانا ودارا بجزيرة الروضة، فطلب تخطيطهما وتقدير النفقة عليهما فصوروهما ووضعوا التقدير . المقريزى ج ٢ ص ١٨١ .

(٢) يلاحظ أن ابعاد بعض الحيشان بنسبة ٤ الى ٥ . ويظهر من ذلك، أنهم كانوا يستعملون فى التخطيط المثلث المصرى الذى يساوى ضلعا زاويته القائمة ٣ و ٤ والوتر ٥ ؛ ولكن العمل بالطرق الهندسية غير متحقق تماما، لأنهم ولو تتبعوا مثالا خاصا فى تعيين الأقسام الكبيرة من الدار فقد كانوا يوفقونه حسب الظروف . راجع عن التخطيطات الهندسية ما كتبه فيتروف Vitruve (طبع شواذى)، وملاحظات مسيو دى فوجويه فى «سورية الوسطى» .

(٣) متى كانت الوحدات المستعملة منها ما لا يبلغ مقاسه غير بعض سنتمترات تعذر الوصول من المقاسات الموجودة الى أى استنتاج ، لأن الأغلاط التى يقع فيها البناء، تزيد فى الواقع عن مقدار هذه الوحدات .

(٤) اختلف مقدار الذراع بمرور الزمن فى كل جهة . وكانت تستعمل عدة أذرع تتفاوت فى المقدار فى الوقت الواحد مثاله ذراع الآدمى وهو ذراع إلا ثمن من الذراع الحديد المستعمل بمصر وبمكة . وكان ذراع الحديد أصغر من ذراع العمل وهو ذراع وثلث بالذراع المذكور أى ذراع الحديد المستعمل بمصر (راجع «نزهة الناظرين» للبرزنجى ص ٤١) . وقد لاحظ مستر هرزفلد فى سامرا استعمال ذراع مقاسه ٠٫٥١٨ ر . (راجع "نظرة بسيطة فى بلكوارا" *Erster vorläufiger* Bericht. Balkuwara) تأليف E. Herzfeld وقد حقق ذلك : بمقارنة عدة أقيسة دقيقة فى ابنية كثيرة من الدور الفسيحة يتعذر فى الفسطاط الوصول الى مثلها من حيث الضبط . وقد أوردنا هذه الملاحظة، ولا نقصد بها إلا الترغيب فى عمل مباحث من هذا القبيل اذا سمحت الظروف .



شـكل ٣١ — جدول مقارنة للساقط الأفقية (مقاس ١/٢٠٠)

طـــول الحــــوش ... ... ٦٫٤٠ م = ٠٫٦٤ × ١٠

عرض « ... ... ٥٫١٠ م = ٠٫٦٤ × ٨ — ٠٫٠٢

« الرواق ذى الفتحات الثلاث ... ... ١٫٩٢ م = ٠٫٦٤ × ٣

امتداد الإيوان للداخل ... ... ١٫٩٥ م = ٠٫٦٤ × ٣ + ٠٫٠٣

عرض القاعة الجانبية (البحرية) ... ... ١٫٩٥ م = ٠٫٦٤ × ٣ + ٠٫٠٣

العرض الكلى لحوض الفسقية (السطح) ... ... ١٫٢٨ م = ٠٫٦٤ × ٢

عرض الأكتاف بالحوش (الواجهتان الشرقية والغربية) ... ... ٠٫٩٨ م = ٠٫٦٤ + $\frac{٠٫٦٤}{٢}$ + ٠٫٠٢

« « « (« البحرية والقبلية) ... ... ٠٫٦٤ م = ٠٫٦٤ × ١

٢ — الاتجـــــاه

الرواق ذو الفتحات الثلاث الذى يمر منه الداخل الى الغرف المهمة من السكن يستقبل المشرق على وجه العموم، وقد يستقبل المغرب . وكانوا يتجنبون الجنوب، كما يتجنبون الشمال .

والظاهر، أنهم كانوا يحاولون أن يكون الاتجاه قريبا من الشمال الشرقى، كلما كان ذلك فى الامكان[1] . على أن هذا القصد (راجع الجدول شكل رقم ٣١)، لم يكن من المتيسر تحقيقه فى كل مرة، لأن شكل الأرض، وموقع المدخل، كانا يضطران البانى الى الخروج عن هذه القاعدة التى كانت غالبة الاستعمال[2] .

٣ — مشـــتملات الدار

(ا) الحوش . ما ورد فى كلامنا عنه الى الآن، يقصد به الحوش الوسطانى، أى الفضاء السماوى لا القاعة ذات الشخشيخة التى تشاهد فى بيوت القاهرة، وقد توجد حيشان صغيرة المقاس (٤ — ٥ أمتار) يمكن تسقيفها بمربوعات من الخشب . ولكن اذا بلغت

(١) جاء فى ابن دقماق، ما يدل على الميل الى تلطيف هواء المنازل . وقوله فى ذلك، هو عن دور القاهرة فى آخر القرن الرابع عشر الميلادى . ولا شك أن البنائين كانوا يهتمون بذلك فى الفسطاط . وهذا نص ما قاله ابن دقماق : ولترجح الحرارة على الرطوبة فى هذه الأماكن (مصر) كان اعتنائهم فى الماكن التى يتخذونها بالصيف وما يخف به من طرفيه المشابهين له وبعده أضعاف اعتنائهم بالشتاء وما يخف طرفيه من الوقتين المشابهين له » ج ٤ ص ١١٨ .

(٢) مثال ذلك، فيتروف، فانه وضع قواعد للاتجاه (فيتروف طبع شوازى ج ٤ لوحة ٥٦ والمتن ج ٦ ص ٩)، ولكنها لا تنطبق فى الحقيقة إلا على أحسن الأحوال فى بعض المناطق المعينة، و يتعذر تحقيقها بالدقة الا اذا كانت الأرض واسعة . أما فيما عدا ذلك، فقد كان يراعى تطبيق هذه القواعد على قدر الامكان .

فى الطول ٧ أمتار الى ١٠ تحتاج الى دعائم متوسطة . وهو ما لم نعثر له على أثر فى الحيشان التى تكلمنا عليها .

فضلا عن ذلك ، فان الرواق ذا الفتحات الثلاث لم يكن ممكنا فتحه إلا على فضاء طلق الهواء ، حتى يتوفر للقاعة الكبيرة الظل والطراوة . أما اذا كان الحوش مسقوفا ، فلا تكون لهذا الرواق فائدة . وكذلك أحواض الزهور التى حول الفسقية، فانها تتطلب وصول النور اليها مباشرة . ويجوز أنهم كانوا يتخذون الخيم أو المظلات لتغطية جوانب الحوش، فيصبح الحوش والفسقية فى وسطه على هيئة الايمپلوڤيوم Impluvium فى البيت الرومانى[(١)] .

ـ ولأجل أن نوفى الكلام حقه من التفصيل فى هذا الباب، تنقصنا معالم من البناء لم نعثر على شىء منها بعد .

(ب) الرواق والقاعة . هما المحلان المهمان من البيت . وقد يلاحظ أنه لم يعثر فى نقطة اتصال القاعة بالرواق على عماد، ولا أكتاف ، بمعنى أنه اذا قصر النظر على المسقط الأفقى ، رئى فضاء على شكل L تحده الجدران . وقد عثر مسيو هرزفلد فى سر من رأى على مثل هذا الوضع فسماه L förmiger Saal[(٢)] .

والحقيقة أنه لم يبق، فى سر من رأى ولا فى الفسطاط من الجدران إلا ارتفاع قليل ، لا يسمح بمحاولة وضع قطاعات واضحة للدار، تبين ما كانت عليه فى الأصل . والأصوب عندنا أن يقال عنها إنها مجموعة مكونة من رواق داخله قاعة، جعل مدخلها فى كامل عرضها . وليس فيما اصطلح عليه ما ينقض أن الدار كانت تتألف من مجموعة تكون قطعة واحدة . ولكن رأينا يرجح بوجود الشبه بين الرواق والپروستاس προστάς (الصدر من قسم الحريم)

---

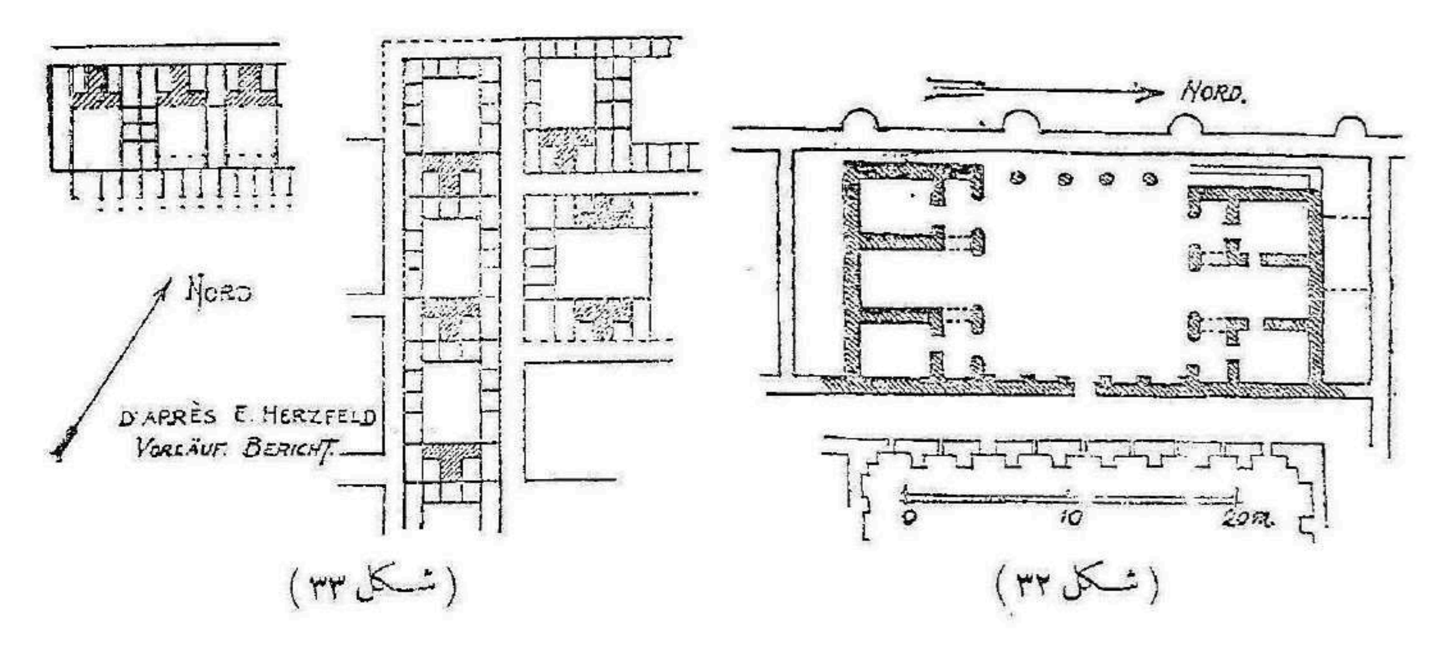
(١) فى حالة ما يكون الايمپلوڤيوم ليس لهيكله نقط ارتكاز متوسطة كما فى الحوش المسقوف التوسكانى أو الذى تنصرف مياه الأمطار خارجه ولا تنحدر اليه *Cava ædium tuscanica,* ou *cava ædium displuviata.* (Vitruve éd. Choisy t. IV, PL. 60 et texte, liv. VI, chap. III, 2, 11.)

والايمپلوڤيوم عند الرومان فسقية مربعة فى وسط حوش مسقوف تسقط فيه الأمطار من فتحة فى وسط السقف كانت تسمى كومپلوڤيوم . (عكوش)

(٢) أى قاعة على شكل حرف تاء مقلوبة L . راجع E. Herzfeld, *Erster vorlaufiger, Bericht,* ص ١٧ و ٤٧

فى البيوت الهللينستية، من جهة · وبين القاعة والاويكوس οἶκος (غرفة الاستقبال) من جهة أخرى ·

ـــ وهـــذا الشبه متوفر أيضا فى الحجرتين فانهما شبيهتان بالثلمـوث θάλαμος ، والانتيثلمـوث ἀμφιθάλαμος [٢] ، وهما حجرتان للنوم ·



(شكل ٣٢) (شكل ٣٣)

ويلاحظ، أن هذا النظام المتخذ فى الدور لا يزال الى الآن مستعملا فى عدة جهات من العالم الإسلامى · وقد وجد منذ بدأ الفن الإسلامى فى الأخيضر (شكل ٣٢ [٣]) وفى سامرا،

(١) راجع ما كتبه فيتروف عن البروستاس والاويكوس طبع شوازى أيضا ك ٦ باب ٩ ص ١٠ و ١١ ، وما كتبه فيجاند Wiegand وشرادر Schrader عن بريين شكل ٣٠١ وما يليه · وليس من المستلزمات المحتمة فى البيت الهللينستى وجود الأروقة الداخلية المتواصلة بجوانب الحوش الأربعة péristyle ففى بريين على الخصوص، بعض بيوت يقتصر وجود الأروقة فيها على ثلاثة جوانب، أو جانبين أو جانب واحد · (بريين ص ٢٨٥ شكل ٢٩٨ وما يليه) وزيادة على ذلك فى الأحوال التى تكون فيها الأروقة مطردة على هيئة ممشى، ليس من الضرورى قيام التماثل فى الجهات الأربع · وهناك نظام غريب أورده فيتروف فى الطبعة الرابعة ك ٦ باب ٩ وهو الرواق الرودسى المسمى *peristylum rhodiacum*، ومنه أمثلة فى بريين Priène, p. 297, fig. 316 وفى بيت تريدان بدبلوس نموذج خاص (راجع art. Couve B. C. H. 1895, p. 400-516 Pl. IV-V.) وهو يتكون من رواق فى أحد جوانب الحوش مرتفع عما فى الجوانب الأخرى وله واجهة تقابل الجنوب كما ذكره فيتروف ولكن الاتجاه يختلف تبعا للواقع ·

واذا قيل إن بيت الفسطاط متخذ على مثال البيت الهللينستى، أو ان البيتين يرجعان الى أصل واحد، فانه من الممكن تشبيه رواق الفسطاط ذى الفتحات الثلاث، بالرواق السابق (راجع فيتروف الطبعة السابقة، الكتاب السادس، باب ٩ ص ١٨) وقد حلت فى الفسطاط الاواوين محل الأروقة الصغيرة فى البيت اليونانى · وفى تكرار الأكتاف المتخذة من الآجر والصفف المتشابهة، ما يشعر بوجود نظام مطرد ·

(٢) راجع فيتروف، طبع شوازى، الكتاب الحادى عشر الباب التاسع ص ١٢

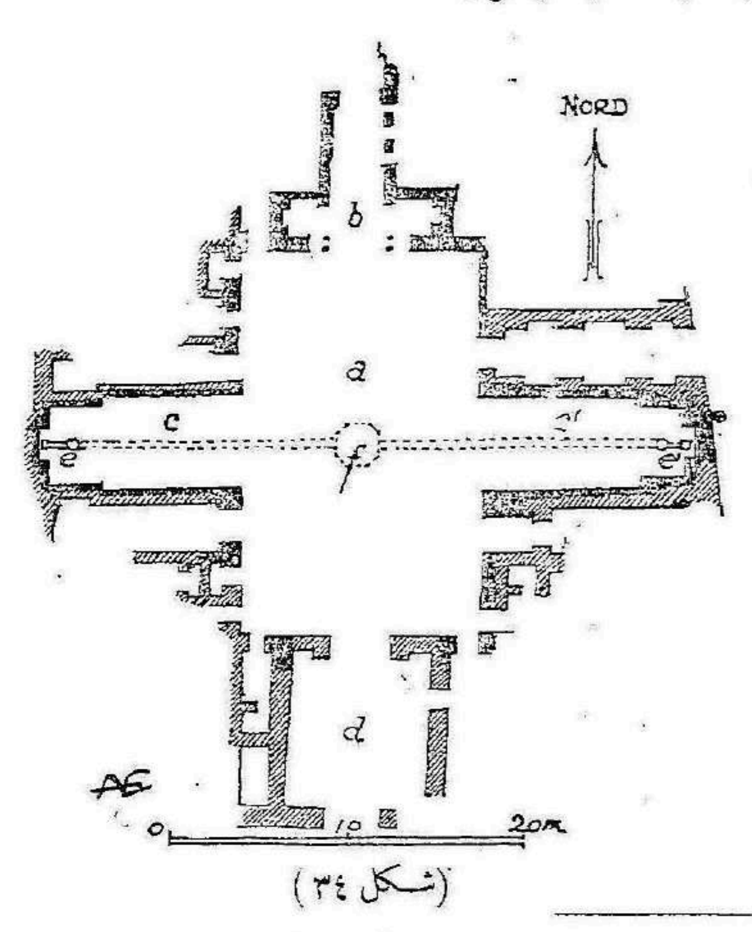
(٣) راجع القصر والجامع بالأخيضر لمس ج · ل · بل (الرسم الأفقى لوحة ١) ·

(شكل ٣٣)[١] وفى القاهرة فى قصر ست الملك، لما كان على أصله، قبل أن يضم الى مارستان قلاون . وقد تمكن هرتس بمباحثه من رسمه على حسب أوضاعه الأصلية (شكل ٣٤)[٢] .

ويوجد أيضا بتونس فى بعض الدور المخلفة من القرن الثامن عشر[٣] . وفى بعض الدور الحديثة العهد بالعراق[٤] .

على أن هذه البيانات لا تفتح الطريق أمامنا اذا أردنا الاستدلال على المصادر البعيدة العهد التى أخذ منها هذا النظام الغريب . وترى من العبث، محاولة البحث عن الأصل الذى اقتبست منه الأمثلة القليلة التى ذكرناها بين المدنيات القديمة فى الشرق .

وهلا يكون الأصل الذى بنيت على مثاله الدور فى العراق وايران واليونان وروما مأخوذا عن الخيلانيين والحيتيين ؟ ولكن كيف كان التطور



(شكل ٣٤)

(١) يحتوى هذا الشكل على قسم من تخطيط بلكوارا كما رسمه مسيو هرزفلد فى (*Erster vorläufiger Bericht*) .

ويشاهد هذا الوضع نفسه، فى البيوت التى كشفت فى سامرا وقد نشر مسيو هرزفلد رسمه بمقاس صغير جدا لا يمكن استنتاج شىء منه . راجع «البعثة الثانية بسامرا» E. Herzfeld, *Mitteilung über die Arbeiten der zweiten Kampagne von Samarra*، فى مجلة «الاسلام» der Islam سنة ١٩١٤ ص ١٩٦ — ٢٠٤، الشكل، ص ٢٠٣

وقد جاء فى الوصف الموجز الذى أورده مسيو هرزفلد، أن الأجزاء التى رسمها بنيت على تصميم ثابت (مؤلف من حوش فى الوسط بصورة قاعة على شكل L بكل من جانبيها حجرة صغيرة، (E. Herzfeld, Erst. vorläuf. Bericht, p. 14 et suiv.) ص ١٤ وما بعدها .

(٢) هرتس باشا فى «مبانى السلطان قلاون بالقاهرة» *Die Baugruppe des Sultans Qalâun in Kairo* لوحة ٣٣ وشكل ٤٣ فى (*Abhandlungen des Hamburgischen Kolonialinstituts*, t. **XLII**. Hambourg, 1919)

(٣) راجع «بحث فى العمارة العربية والمغربية بالأندلس» تأليف جيرولت دى برنجى، (Girault de Prangey, *Essai sur l'architecture des arabes et des Mores en Espagne*) باريس سنة ١٨٤١ لوحة ٢٥ — ٢

(٤) نقل مسيو روتر عن بغداد وضواحيها رسم كثير من البيوت الحديثة العهد، فيها المبانى تحيط بحوش مربع، والطبقة الأرضية مسقوفة بعقد، وفوقها الطبقة الرئيسية من البيت بها فتحات وافرة الاتساع مشرفة على الحوش . والمكان المعروف بطارمه ليوان يقابل عندنا الايوان والقاعة (راجع الدار ببغداد وغيرها من مدن العراق» O. Reuther, *Das Wohnhaus in Bagdad und anderen Städten des Irak* . وعلى الخصوص راجع شكل ٥٩ ص ٢٧)

فى هذه البلدان[١] ؟ والباقى من مبانيهم نادر . ولا يوجد بمصر شىء من البيوت الهللينستية والقبطية. ولا نعرف عن بيوت فارس الساسانية[٢] ، إلا بعض بيانات تافهة . ومن ثم نعدل الآن بحكم الضرورة، عن البحث فى الأصول التى استمدت منها أبنية الفسطاط، من مدنيات الشرق القديم.

(ج) الأواوين . هى من المرافق التى تلازم الحوش وتعد فى طليعة الغرف، حيث يسهل التنقل فيها من محل الى آخر، على حسب الفصول وساعات النهار . وهى فى الحقيقة توافق الطقس مهما كان متقلبا . ولا تخلو من علاقة بالأليه alae ، محل الانتظار فى الايمبلوفيوم الرومانى ، والتريكلينيا triclinia ، قاعة الأكل ، والاكزيدره exhedrae قاعة الجلوس فى البيت اليونانى، الأندرونيتس ανδρωνῖτις الذى وصفه فيتروف[٣] .

ومن رأينا، أنه لا يوجد ما يثبت وجود الشبه، بين هذه الأماكن التى تحيط بالحوش المكشوف، وبين الوضع الأفقى الصليبى، المشاهد فى الكنائس اليونانية والسورية، ذات القباب الدائرية[٤] . ولا يفوتنا، أن شكل الأفقى فى الكنائس، التى على شكل الصليب اليونانى، والأبنية المماثلة لها، كان الباعث على اتخاذه، ضرورات التوازن . لأن البناء بهذا الشكل أوجد حلا لطيفا لاحدى النظريات الميكانيكية، اذ به تلاشى تأثير ضغط القبة المتوسطة بلا حاجة الى اقامة دعائم . أما فى دور الفسطاط فان الأمر يختلف عن ذلك اختلافا جوهريا . لأننا اذا تركنا جانبا النسب والقياس، نرى أن الأواوين

---

(١) لمس بل عن " الأخيضر " بحث عن أصول القصور الأولى فى العهد الاسلامى . وقد اعتبرت المحال المعروفة بليوان الطارمة ، من تطورات الخيلانى . ولكنها حطت من قيمة هذا الرأى بقولها : ان البيت الهللينستى صدرت عنه الفكرة التى أدت لان تزاد الطارمة على الليوان . (راجع القصر والجامع بالاخيضر، لمس بل ص ٨٧) و يلاحظ ، أن الرواق الحيتى ذى الفتحات الثلاث ، يتصدر قاعة تكون غالبا على نفس اتجاهه يسلك اليها من باب . واذا يكون النظام الذى على شكل ⊥ ، زيدت فيه زيادة لم يعلم مصدرها بعد (راجع عن هذا الموضوع مباحث كولديوى Koldewey عن مبانى الخيلانيين فى سوريا وبلاد أشور وفارس راجع « حفريات زندجرلى» *Ausgrabungen in Sendschirli.* ، تأليف C. Humann et R. Koldewey, طبع برلين سنة ١٨٩٨ ج ٢ ص ١٨٣ وما يليها شكل ٨٣ و ٨٤ لوحة ٢٢ و ٢٦ و ٢٧) .

(٢) لا يمكن أن نعتبر من التخطيطات الأصلية المثال الذى نشره مسيو دى مورجان فى «بعثة علمية بفارس» *Mission scientifique en Perse* رابع ٢ ، ٢٤٦ و ٢٤٧ ، لأنه لا ينم عن مبدأ عام سابق على تنظيم محال السكن ، وغاية ما يستنتج منه أن المنازل التى من هذا القبيل ، كانت تشتمل على طبقة «أرضية» ، معقود فوقها دور أول مبنى بناء خفيفا .

(٣) فيتروف طبع شواذى الكتاب السادس الباب التاسع ٢١ — ٢٤

(٤) وممن قال بوجود هذه المشابهة ، مسيو فان برشم فى كلامه عن أواوين المدرسة . راجع مقالة مكس فان برشم عن « النماذج الأصلية للمبانى الدينية الشهيرة فى العمارة الاسلامية فى سورية ومصر» فى دائرة المعارف الاسلامية لهوتسما، طبع ليدن باريس سنة ١٩٠٨ ص ٤٢٨ — ٤٣١

ليست بعيدة فى الشبه عن الصفف الكبيرة بقصر عمان[١]، وايوان كسرى بالمدائن . وفى قصر ست الملك، أواوين واسعة عن أواوين الفسطاط[٢] . ولكنها موضوعة مثلها فى اتجاه المحاور . وهذا يسمح لنا بالاشتراك مع هرتس بك فى قوله : إن هـذا الأفقى يعين دورا من أدوار التطور لطرز مخصوص، تحول فى القرن الثالث عشر الى الشكل المبنى عليه جامع السلطان حسن[٣] .

باب الدار — فى الدور التى وصفناها لم تكن الابواب موجودة . وقد رسمناها على أصلها ولا نشك فى أكثر المواقع التى عيناها لها . والمفهوم من رسم الدور التى لم تزل بها بقية كافية من معالمها ، أن الدخول من الطريق الى الحوش ، لم يكن على اتجاه محور من المحاور، بل من احدى الفتحات، بجوانب الأواوين . ويظهر أن الدركاة أو الدهليز الذى يؤدى الى البـاب ، كانت على شكل كوع . ولم نعثر على هذا الشكل واضحا فى الحفر . وانما هو من القواعد العامة التى كانت متبعة فى المبانى الاسلامية فى كل العصور . والغرض منه ، حجب مايجرى فى الحوش أو القاعة عن نظر من بالخارج .

٤ ـ الطبقـات

ذكر ناصر خسرو، أن بعض دور الفسطاط كان مكونا من أربع عشرة طبقة . فلو فرضنا أن هذه الطباق كانت على أقل مايمكن من الارتفاع، لوصل علو البيت الى خمسة وثلاثين مترا

---

(١) أورد ت . ويجاند Th. Wiegand فى بعض المؤلفات الحديثة «منشورات الادارة التركية والألمانية لحماية الآثار» *Wissenschaftliche Veröffentlichungen des Deutsch-Türkischen Denkmalschutz,-Kommandos* طبع برلين وليبزج سنة ١٩٢١ (I, Heft I) أفقيات بعض منازل سيتا تكميلا لما دونه A. Musil فى «الحجاز» (Arabia Petrea) وبين هذه المنازل البعض يتكون من غرفة حول حوش فى الوسط (شكل ٦٠ ص ٦٩) . وأحيانا توجد فيها كما فى الفسطاط ، الأواوين مفتوحة على الحوش فى كامل عرضها ، غير أن هذا النظام ، لا يرجع الى وضع مرعى .

وهى مع ذلك بيوت مبنية كلها بالحجر وكانت سقوفها مرفوعة على عقود (شكل ٦٥ و ٦٦) بالطريقة المعروفة فى البيوت السورية التى ترجع الى القرون الأول من التاريخ المسيحى («راجع سورية الوسطى» *Syrie Centrale* تأليف د . فوجويه) .

(٢) راجع *Dier Baugruppe des Sultans Qalâun in Kairo* تأليف هرتس باشا (لوحة ٣٣ وشكل ٤٣) .

(٣) مما يؤسف له أن عمارات الايوبيين لم تخلف بينها أمثلة من بيوتهم . ولا يحتوى كتاب وصف مصر ، إلا على جزء من واجهة القصر الذى أقامه نجم الدين فى جزيرة الروضة ، وكان بعضه لا يزال موجودا فى القرن الماضى . (كتاب « وصف مصر » ، *Description de l'Egypte* ، ج أول لوحة ٥٣ ، وثان ، القسم الثانى ص ١٥٩ وما يليها) .

(٤) ناصر خسرو ، «سفر نامه» (طبع شيفر ، ص ٤١٦) .

على أقل تقدير . ولذلك نقابل هذه الرواية بشيء من التحفظ . على أنها قد تكون دليلا على أن بيوت المدينة كانت طبقات . وقد وصل الينا أن بعض المنازل كانت لها سطوح واطئة جدا[١] . ومن البديهى أن المدينة لا تكون أبنيتها كلها على طراز واحد ، فتكون فيها الفنادق والرباع . وكانوا يبنونها فى الجهات المزدحمة بالمتاجر على ضفاف النيل ، وبجانبها الدور ، ومن بينها ما يكون مخصصا لأسرة واحدة . ولا شك ، أن ما وصفناه من الدور هو من هذا القبيل[٢] .

أما تعدد الطبقات لدرجة كبيرة فتعترضه ثخانة الجدران ، ونظام الـ.ـم . على أننا لا نجزم بوجود طبقة عليا فوق الدور الأرضى . وهى مسألة بحثنا فيها لما تكلمنا على الدار الأولى ، ولا يزال حلها أمرا مستعصيا .

وقد عرضت هذه المسألة نفسها للبيوت المبنية على الطراز الهللينستى، فى ديلوس مثلا . ولكن كان هناك بين الأنقاض بعض أجزاء من أكتاف وتيجان، مما لا يوجد عادة إلا فى الأروقة القائمة فى الطبقة الأولى ، بخلاف الفسطاط ، فاننا لم نجد فيه شيئا من هذا القبيل . ولا تكفى الشنايش الظاهرة فى محل المربوعات بقمة بعض الجدران ، لاثبات وجود الطبقة الأولى ، على أن الشنايش التى وجدت من هذا القبيل قليلة العدد . ومن وجود لأقنية المستطيلة الرأسية (قصبات المراحيض) فى الجدران ، يستدل على أن مراحيض الدار كانت بمحل عال . ولا يمكن

---

(١) وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف ، قريبة ممن يسعى فى الطرقات ويطوف ، وقد أعدوا سلبا وخطاطيف فاذا مر بهم أحد شالوه فى أقرب وقت ثم ضربوه بالأخشاب وشرحوا لحمه وأكلوه (المقريزى ج ١ ص ٣٣٧) .

(٢) قال ابن خلدون... كان الدين أول الأمر مانعا من المغالاة فى البنيان والاسراف فيه فى غير القصد ، كما عهد لهم عمر حين استأذنوه فى بناء الكوفة بالحجارة ، وقد وقع الحريق فى القصب الذى كانوا بنوا به من قبل ، فقال : افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاث أبيات ، ولا تطاولوا فى البنيان ، والزموا السنة تلزمكم الدولة . (مقدمة ص ١٧٥) .

وفى الفسطاط ، لم تكن منازل العرب ، فى الأول ، تحتوى إلا على طبقة واحدة أرضية . "وكان خارجة أول من ابتنى غرفة بالفسطاط ، فكتب بذلك الى عمر ، فكتب اليه عمر ان : أدخل غرفة خارجة ، وانصب فيها سريرا ، وأقم عليه رجلا ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، فان اطلع من كواها ، فاهدمها ففعل ذلك عمرو ، فلم يبلغ الكوى فأقرها" (ابن دقاق ج ٤ ص ٦) .

والظاهر من ذلك ، أن القاعدة العامة كانت : أن تبنى البيوت من طبقة واحدة أرضية . ومما يصح ذكره فى سياق ذلك ، قول المقريزى : وكانت الفرس لا تبيح شريف البنيان ، كما لا تبيح شريف الأسماء إلا لأهل البيوتات ... (المقريزى ج ٢ ص ٥١) . وفى سامرا ، لا تحتوى البيوت إلا على طبقة أرضية . (E. Herzfeld, *Vorläufiger Bericht*, 14)

أن يستنتج شيء من وجود بقايا السلالم ، ومواضع الدرج . وليس السبب فى ذلك صغر مقاساتها . لأن السلالم فى العمارة العربية حتى فى الأبنية الفخمة كانت صغيرة الحجم . ولا يمكننا الجزم بأن السلالم التى وجدنا درجاتها الأولى كانت معدّة لغير السطوح والخزانات أو ما يماثل الصندرة .

وربما كانت هناك طبقة عليا كالتى فى پومپيى وديلوس ، فوق جزء من الطبقة الأرضية . ويجوز أنها غرف مرتفعة مصفوفة الى جانب غرف أصغر منها على مستويين . ولم يكن من الضرورى اذا أن تكون السطوح على استواء واحد، بل كان فى الامكان جعل ارتفاع الغرف تحت السقف مناسبا لاتساعها . وهذه الافتراضات لم يثبتها شيء من المشاهدات الناتجة من الحفر . وكذلك الحال فى الواجهات والقطاعات الأصلية . وهنا نتساءل هل كانت سطوح الدار أو السقوف المتوسطة مرفوعة على مربوعات (جوائز) أو أقبية ؟ أما الظاهر من الأكتاف والجدران، فانه ضعيف جدا عن حمل الأقبية، ومنع تأثير دفعها . ومع ذلك فان العقود المهموزة والحيزومية كانت شائعة، ولا يبعد أن تكون خليطا من العقود المنقولة عن جامع عمرو وجامع ابن طولون . وكانوا يبنون بدل العمد دعائم من الآجر، كما فى جامع ابن طولون، ويرفعون عليها الأقواس بالآجر أيضا، حول الحيشان، على نظام مطرد، ثم توضع عليها المربوعات[1] . وكانوا يجعلون السقف مستويا . وهو من التقاليد التى لم تزل متبعة الى اليوم . ولم نجد أثرا للقرميد بين الانقاض .

٥ – الغرف واستعمالها وتقاسيم الدار

من بين الدور المرسومة فى الفصل السابق ، ثلاث ، لكل منها حوشان منفصلان ، بحيث يمكن اعتبار كل حوش وسط دار قائمة بذاتها . وهو وضع نجد فيه انقسام الدار اليونانية الى

---

(١) هذه الأقواس المتخذة من الآجر، كانت تقوم مقام الجوائز من الخشب الثخين، وفائدتها عظيمة فى البلاد التى يقل الخشب فيها . وفى جامع سامرا، أكتاف من الآجر تربطها قطع من الخشب، موضوعة فوقها الجوائز مباشرة دون العقود الحاملة . (E. Herzfeld, *Vorläufiger Bericht*, 14) ويشاهد مثل هذا النظام فى جامع المنصور بالرقة . وفى الجامع الأموى بحران . أما فى مصر فقد عم استعمال العقود ، والظاهر أنه من الطرق التى جيء بها من سورية . ومن المعقول أن البيوت كانت تبنى بالطرق التى تبنى بها المساجد .

اندرونيتس ἀνδρωνῖτις (السلاملك أو القسم المخصص للاستقبال) وجينا كونيتس، γυναικωνῖτις (محل الحريم)[1] أو الدار اليونانيـة الرومانية الى اتريوم وبريستيليوم (atrium et peristylium)[2] وهما القسمان الخارجى والداخلى . وفى بريين دور من هـذا القبيل، حوشها فى الوسط على هـذا النظام[3] . ومن المحتمل ، أن يكون فى دور الفسطاط أحد الحوشين مخصص للرجال والآخر للحريم .

والغالب فى دور الفسطاط ، وبريين، وديلوس ، أن لا يكون فى الدار غير حوش واحد . ولو ثبت وجود الطبقة الأولى فى الفسطاط، لقلنا أن محـل الحريم كان موجودا فيها، ولكننا لم نتثبت ممـا يدل على ذلك . كما أننا لم نتحقـق على أى حال كان يعيش النساء فى أوائل الفتح الاسلامى ، وفى العهدين العباسى والطولونى[4] . والمعروف، هو أن الغرف لم تكن معـدّة لغرض مخصوص ، كما هو الحال عندنا فى بيوتنا الآن[5] ، فان القاعة الكبيرة ، والرواق ، والأواوين، بل والصحن ، كل ذلك كان يستعمل لاستقبال الزائرين، تبعا لأوقات النهار والفصول . وكانوا يجهزون الطعام على كوانين من الطين يوقدونها فى الحوش أو فى حجرة صغيرة . ولكن لم نقف على شىء من هذا القبيل .

ــ واذا نظرنا الى تقاسيم الدار الأصلية وابعادها وكيفية ترتيبها، نرى الدار فى الفسـطاط كالدار الهلينستية أو الرومانية . إلا أن بعض الأوضاع الخصوصية، تحملنا على محاولة البحث عن أصولها

---

(١) فيتروف ، الطبعة السابق ذكرها ، الكتاب السادس ، الباب التاسع ، ص ١٤ و ٢٦ و ٣٤

(٢) الفرق الذى قال شوازى بوجوده، بين الدار الخاصة *privata ædificia* وبين الدار العامة *communia ædificia* فى طبعة « فيتروف » ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩ ، غير موجود فى المتن اللاتينى .

ولما تكلم فيتروف ، عن تفاصيل المسقط الافقى للبيت اليونانى ، ذكر بعض البيوت الصغيرة *domunculæ* . وقال انها كانت مخصصة للضيوف ومنفصلة عن المسكن بدهاليز *mesaulæ* ، وهو تركيب نجده ينطبق على مجموعة الدار السادسة والسابعة والسابعة «مكرر» (راجـع الملحق ، الباب الرابع) .

(٣) بريين ، تأليف ويجاند وشريدر ص ٢٨٩ وشكل ٣١٣ و ٣١٤

(٤) تعترضنا فيما يتعلق بسكنى النساء ، هذه المسألة فى البيت الهلينستى (*Priene* ، ٢٩١) . والمحتمل ، هو أن وجود الحريم والسلاملك ، وتخصيص مكان لكل منهما ، انفردت به فى جميع العصور ، المساكن الفسيحة المشيدة فى الأراضى المتسعة . وهذا التخصيص ، ظاهر جدا فى بيوت الأمراء والأكابر . ومن هذا القبيل ، اتخاذ أحمد بن طولون دارا خاصة بحريمه ، بجزيرة الروضة (المقريزى ج ٢ ص ١٧٨) . وكان بجوار السوق الكبيرة ، زقاق سده قراقوش الأفرمى ، واضافه الى داره من شرقيه ، وجعل له دربا حازه به الى حريم داره (ابن دقاق ج ٤ ص ١٤) .

(٥) وذكر ابن دقاق ، فى وصفه دور مصر ، أسماء عدة من الغرف والمحال التى يشتمل عليها المسكن ، فاورد المجلس والباذهنج والمستشرف والمودج والطارمة (ابن دقاق ج ٤ ، ص ١١٨) . ولكن كلامه ، لا يعين على تطبيق هذه الأماكن على أجزاء الدور ومنافعها ، لأن مدلولها ينطبق على محال متسعة فخمة ، عما فى الفسطاط .

فى العراق . ويظهر التأثير العراقى جليا فى الدار السادسة . وهى، كما سبق لنا بيانه، مبنية بنظام خاص، يظهر أنه منقول عن أصل عراقى[١] . وسنرى فى الفصول الآتيـة، عند الكلام على صناعة البناء والزخرفة، من الظواهر، ما يدل على هذا التأثير الشرقى[٢] بوضوح .

---

(١) المسقط الأفقى فى الجزء الرئيسى من هذا البيت، يشبه شبها تاما نظيره، من مساكن الأخيضر (راجع الملحق، شكل ٣٢) ؛ وسامرا (راجع الملحق شكل ٣٣) ويمكن تشبيه أيضا ؛ بالمسقط الأفقى للاندرون، أو قسم الحريم، الخاص بالحاكم فى قم من رسم ديولافوى راجع «فارس والأهواز وكلدة» J.Dieulafoy, *La Perse, la* ، تأليف . la Chaldée *Susiane et*

(٢) كانت العلاقات متبادلة كثيرا فى عهد بنى أمية وبنى العباس بين البلاد التى بسط الاسلام عليها ظله . وكان تبادل المهمات والعمال، فى كل شىء، من العوامل على تسهيل انتشار الطرق الصناعية، الخاصة بكل اقليم، (راجع « مصادر الفنون الاسلامية » *Die Ge[illegible] der Islamischen Kunst* لهرزفلد Herzfeld, فى مجلة "الاسلام" سنة ١٩١٠ ص ٦٠ و ٦١

ولما ولى معاوية بن أبى سفيان زيادا أخاه البصرة، غرب جماعة من الأزد الى مصر، وبها مسلمة بن مخلد، فى سنة ثلاث وخمسين هجرية (٦٧٢ م)، فنزل بها منهم نحو من مائة وثلاثين . فقيل لموضعهم من خطة الظاهر، سويقة العراقيين . (خطط المقريزى ج ١ ص ٢٩٨) .

وفى أيام العباسيين كان الولاة من العراق . وعلى عهد ابن طولون لجأ أحد العراقيين الى مصر «فلما دخلها رأى فيها كثيرا من أهل بغداد، فخاف أن يعرف، فنزع الى أربابها » (المكافأة لأحمد بن يوسف الكاتب، ص ٣٦) .

× استـــدراك — وقع خطأ مطبعى فى السطر الثالث من الهامش نمرة (١) وصوابه ما يأتى :

J. Dieulafoy تأليف *La Perse, la Susiane et la Chaldée.*

الباب السادس

صناعة البناء [1]

---

١ – الأسس

كانوا ينزلون بالأسس ، فى كل مكان ، الى الصخر . أما البناء، فلم يكونوا يتخذونه على وتيرة واحدة، ولا يمكن أن نتوصل منه الى أى استدلال تاريخى . لأن الأساس الواحد، كان يبنى بعدة طرق فى وقت واحد .

- (أ) الأسس المبنية بالدبش – فيها يكون الحفير محتويا على بناء بالدبش المنحوت نحتا بسيطا . وكان يؤتى به مما يتخلف من تمهيد الصخور المجاورة، وأحيانا، يلقى فى الحفائر على غير نظام، ويربط بعضه ببعض، بمونة من الطين أو الطين والجير، وأحيانا يرص على هيئة مداميك تختلف درجة انتظامها [2] (لوحة ١٥–١) .

(ب) الأسس المبنية بالآجر (لوحة ١٦ ، ٤ و ٦) – يغلب كثيرا، وعلى الخصوص، اذا كانت الحفائر قليلة العمق، أن تكون الأسس والواجهات من آجر يرص مداميك منظمة ، ويسق بمونة الجير والرمل . وقد يضاف اليه القصرمل أو الحمرة . وكان يبنى كذلك بمداميك من الآجر القائم على سيفه، بالتبادل مع مداميك من الآجر الموضوع على سطحه (لوحة ١٦–٦) [3] .

---

(١) سنذكر فيما يأتى من كلامنا ، فى هذا الباب ، مذيلا بكلمة الحسبة ، بعض فقرات نقلناها من كتاب بخط اليد ، عنوانه "الرتبة فى الحسبة" محفوظ بمكتبة الجامعة الفرنسية ببيروت . وهو يحتوى على ١١٤ فصلا ، تبحث عن الأسواق والقواعد المفروضة على كل طائفة من أرباب الحرف . وقد ورد اسم ابن بسام فى عنوانه ، مع اسم آخر فى مقدمته ، والمرجح عندنا أن مؤلفه غير معروف ، ولا يمكن تعيين الوقت الذى ألف فيه هذا الكتاب على وجه قطعى . وربما يكون قد كتب على عهد الحاكم أو بعض خلفائه ، لورود اسم الخليفة الحاكم فيه مصحوبا بعبارات التبجيل والاحترام ، كما فى العبارة الآتية : "مولانا الحاكم أمر بمنع كذا وكذا" .

ولما كان الحاكم ، قد فقد ذكره كل اعتبار بعد سقوط الدولة الفاطمية ، فيكون تأليف الكتاب لم يتعد أواخر عهد الفاطميين . وعلى كل حال ، فان بعض التفاصيل الواردة فيه تثبت أن طرق البناء لبثت معمولا بها زمنا طويلا ، وانه من جهة أخرى ، كانت توجد تعليمات شديدة تقيد صنع المهمات واستعمالها .

(٢) هذه الطريقة تشاهد فى البناء البيزنطى ، اذ يكون الدبش أحيانا ملقى بدون نظام فى المونة ، وأحيانا يكون موضوعا على هيئة سفاية السمك ، وهو أسلوب غير موجود فى الفسطاط (راجع «فن البناء عند البيزنطيين» *L'Art de bâtir chez les Byzantins* تأليف Choisy شوازى ص ٨) .

(٣) البناء بمداميك من الطوب مائلة ٤٥° ، بالطريقة الشائعة عند البيزنطيين لم تر فى أبنية الفسطاط .

(ج) البناء بالمدر (كتل الطين) واللبن — وجدنا فى محلين فقط (بالدارين الأولى والسادسة)، بعض أجزاء من الأسس، تدخل فى بنائها كتل الطين أو خليط من الرمل والجير . واذا حاول الانسان إخراجها من محلها، تفتتت واستحالت الى تراب . وربما كانت مخلفة من أبنية قديمة العهد. وهى على كل حال من شواذ الأبنية . وكذلك اللبن، فاننا لم نعثر على شىء منه فى منطقة الحفر، وانما وجدنا بعض قطع من جدران مبنية به فوق جبل يشكر[1] .

٣ — البنــاء بالآجــر

(ا) الآجر — الآجر المستعمل فى الفسطاط، أحمر داكن، متجانس، مستوفى الحريق شديد الصلابة، شكله العادى مستطيل[2] . ويختلف فى القياس، وهذا بيان ما عثرنا عليه من أقيسه :

طول	عرض	ثخانة	طول	عرض	ثخانة
٠٫١٥	٠٫٠٦	٠٫٠٦	٠٫٣١	٠٫١٠٥	٠٫٠٥٥
٠٫١٨	٠٫٠٨	٠٫٠٤	٠٫٢١٥	٠٫٠٩٥	٠٫٠٤٥
٠٫١٨	٠٫٠٨٥	٠٫٠٤٥	٠٫٢٢	٠٫١٠	٠٫٠٦٥
٠٫٢٠	٠٫٠٩	٠٫٠٤	٠٫٢٢	٠٫١١	٠٫٠٥
٠٫٢٠	٠٫٠٩	٠٫٠٤٥	٠٫٢٢٥	٠٫١١	٠٫٠٦٥
٠٫٢٠	٠٫٠٩٥	٠٫٠٤٥	٠٫٢٣	٠٫١٠	٠٫٠٥
٠٫٢٠	٠٫٠٩٥	٠٫٠٥	٠٫٢٣٥	٠٫١٠٥	٠٫٠٥٥
٠٫٢١	٠٫٠٩	٠٫٠٥	٠٫٢٤	٠٫١٠٥	٠٫٠٤٥
٠٫٢١	٠٫٠٩٥	٠٫٠٥٥	٠٫٢٦	٠٫١٢	٠٫٠٦٥
٠٫٢١	٠٫٠٩٥	٠٫٠٦	٠٫٢٦	٠٫١٣	٠٫٠٨

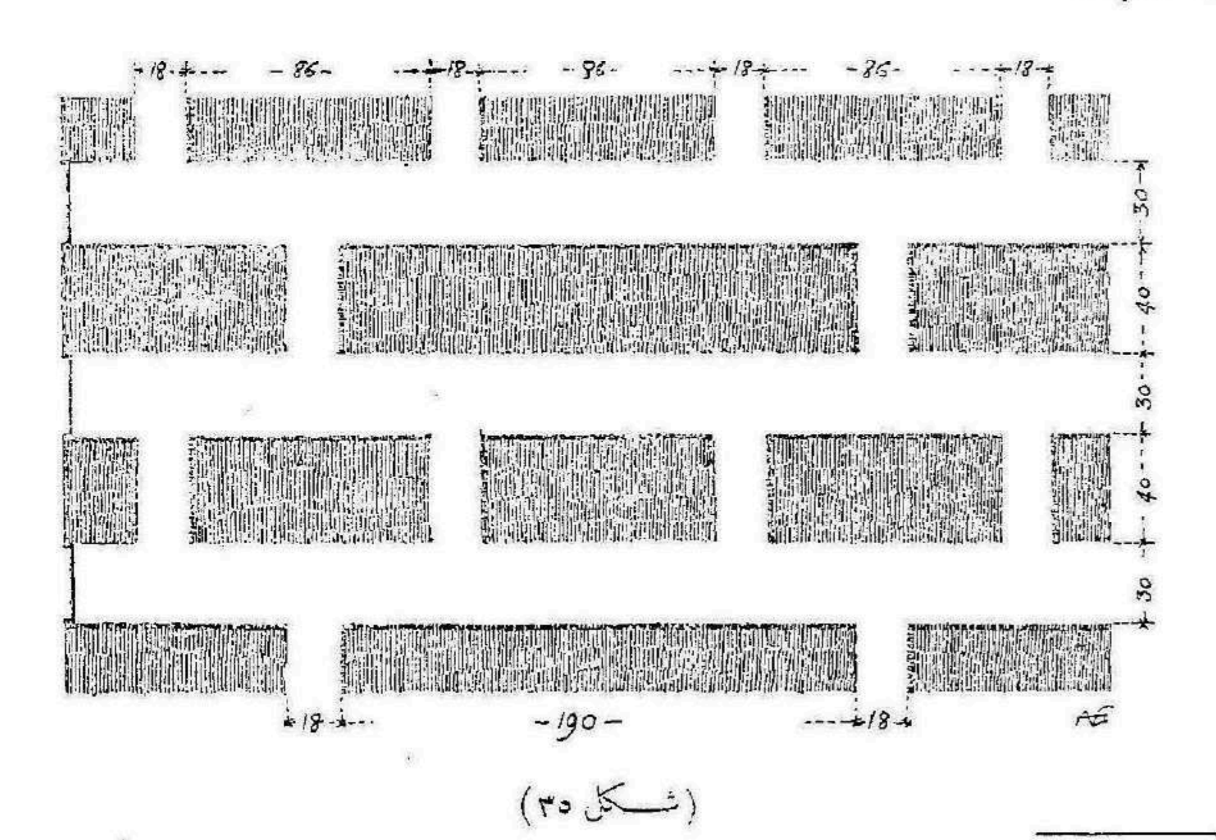
(١) اذا جازلنا أن نفرض أن العرب فى مبانيهم الأولى لم يتخذوا غير اللبن، فان وجوده فى بعض الجهات، لا يؤدى الى أى استدلال تاريخى، ولا يجعلنا نقول عن البناء المشيد به أنه من عهد الفتح . ومن المحقق أن مصر ما زالت الى الآن تشيد فيها أبنية الفقراء بالطوب المجفف فى الشمس .

(٢) لم يكن المصريون فى عهدهم القديم يحرقون الطين، إلا فى أحوال مخصوصة، فى مثل بناء قناطر مدينة آبو وهيكل موت بالكرنك، وسفل الجدار المجاور لبركة ... (راجع — «فن البناء عند المصريين» لشوازى ص ١١) Choisy. *L'Art de bâtir chez les Egyptiens*, p. 11. وعلى العكس من ذلك، كانت الابنية تشيد فى العراق على توالى الأزمان، بالآجر من صنف جيد جدا (راجع Ninive et l'Assyrie I, 226 «نينوى وأشور» تأليف Place پلاس .

وكان الآجر يستعمل فى العراق مربعا . أما فى مصر القديمة فانه كان مستطيلا . ومن أقيستها الشائعة ما هو ٠٫٢٢ × ٠٫١١ × ٠٫١٤ (راجع الاركيولوجيا المصرية، *Archéologie égyptienne* تأليف ماسپرو، ص ١٠) . وهو بذاته القياس المشاهد فى الفسطاط مع تقارب فى الثخانة . وعلى ذلك، يكون الآجر من حيث شكله الحالى والطريقة التى يبنى بها (راجع فيما بعد ب)، من التقاليد المحلية الباقية للآن، وبين المنظر العام لاطلال الفسطاط وأبنية العراق شبه واضح (راجع على الخصوص «بعثة الى بلاد دجلة والفرات» *Reise im Euphrat und Tigris-Gebiet* III & Pl. XVI, XXXI, XXXII, XXXIV, etc.) تأليف Sarre-Herzfeld,

ومن المؤكد أن الأمثلة الموجودة لاتجمع كل هذه الأقيسة : لأن الفروق الظاهرة فيها ناشئة عن ظروف خاصة منشؤها كيفية صنعها . والغـالب فى الآجر أن يكون مقاسه : ٠,٢١٥ × ٠,٠٩٥ × ٠,٠٥٥ ويلاحظ أن ٠,٢١٣ هو ثلث ٠,٦٤ . أعنى طول الذراع الذى كان يستعمله البناءون فى الفسطاط على ما تقدم بيانه[1] .

(ب) نظـام البنـاء — جرت العادة بأن يوضع الآجر مداميك أفقية متبادلة : مدماك بالطول ومدماك بالعرض . وبهذه الكيفية تتقاطع اللحامات على شكل منتظم (شكل ٣٥)[2] . وكذلك الحـال فى صفحتى الجدار ، فكان الجدار يتكون من كل متجانسة شديدة القوة بالرغم من قـلة ثخانتها[3] .



(شـــكل ٣٥)

(١) على أن ملحوظاتنا — ونكرر ذلك — لا تكفى مطلقا لأن تؤكد هذه البيانات .

(٢) يمكن الوقوف ، من واقع المقاس ، على أن كل خمس طوبات ، لو أضيف اليها خمسة لحامات ، تساوى فى المتوسط ٣٥ سنتيمترا ، لأن اللحامات الأفقية قياسها ٣ سنتيمترات ، واللحامات الرأسية ١٨ مليمترا . والطوب ثخانته ٤ سنتيمترات . وفى الجامع الطولونى ، كل خمس طوبات ، اذا ضمت الى خمسة لحامات ، تساوى ٣٦ سنتيمترا ، من الطوب الذى ثخانته فى المتوسط ٤٤ مليمترا . وطريقة البناء فى الحالتين متشابهة . وهى على عكس الطريقة البيزنطية ، لأن اللحام فيها أكثر ثخانة من الطوب .

(٣) وقد أشار القلقشندى الى العناية بأبنية الفسطاط ، فقال : « وكان أكثر بنيانه بالآجر المحكوك والجبس ، من أوثق بناء وأمكنه ، وآثاره الباقية تشهد له بذلك » . (القلقشندى ج ٣ س ٣٣٨) .

(ج) المون — يوجد شيء من التنوع فى تركيب المون، والنماذج التى استخرجناها من الحفر، تنحصر فى التراكيب الآتية [١] :

١ — مونة الطين، ومونة الطين والجير : وتستعملان فى المبانى الحقيرة .

٢ — مونة الجير والرمل بنسبة جزأين من الجير وجزء من الرمل، أو جزأين متساويين من الجير والرمل . وفى الرمل (رمل صوان وحصى رفيع) كمية من جبس بللورى الشكل .

٣ — مونة الجير والقصرمل ، تؤلف من الجير ، والقصرمل، والفحم الناعم ، بنسبة جزأين من الجير وجزء من القصرمل والفحم [٢] .

٤ — الحمرة . وهى تتركب من جزأين متساويين من الجير والآجر المسحوق (الاسطل [٣]) . وتشاهد فى تركيبها قطع من الجير لم تطفأ . وهى دليل ، على أنها لم تغربل . وليس الأسطل من نوع واحد، بل أن بعضه مسحوق خشن جيد الحريق، والبعض الآخر مسحوق ناعم محروق حرقا خفيفا .

٥ — وهناك مون، خلط فيها الجبس بالجير على نسب مختلفة، ومون من الجبس الخالص والجير الخالص .

وهذه المون على اختلاف أنواعها ، لم تستعمل لغرض خاص . أما الجبس فما كان يستعمل فى الأسس، ولا فى المحال المعدّة لجريان المياه التى كانوا يستعملون فيها الحمرة ومونة الجير والقصرمل .

(د) اللحامات والبياض — نرى فى الشكل ٣٥ واللوحة ١٦ — ٧ قطعة من احدى الواجهات، لحاماتها الأفقية أعرض من اللحامات الرأسية . والظاهر أنه عند الانتهاء من البناء

---

(١) نحن مدينون لجناب مسيو ا . لوكاس مدير المعمل الكيماوى بتحليل هذه النماذج المختلفة، فنكرر شكرنا لجنابه .

(٢) والمتوسط أربعة رماد من رماد الاتاتين وما يشا كله رماد واثنين جير مطفى ودونه خمسة رماد واثنين جير (نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لابن بسام) .

(٣) الخلط الجيد الذى يحمد عاقبته خمس عيارات جير مطفى بالماء العذب وعيار واحد منها اسطال مسحوق من الطوب العتيق . (الكتاب السابق — باب ٦٣) وقد كان تركيب هذه المونة المائية معروفا مستعملا فى كل العصور، وقد رآه مسيو مورجان مستعملا كثيرا فى البنايات الساسانية بالعراق (راجع «بعثة علمية ببلاد فارس» *Mission scientifique en Perse*, IV, 340 .)

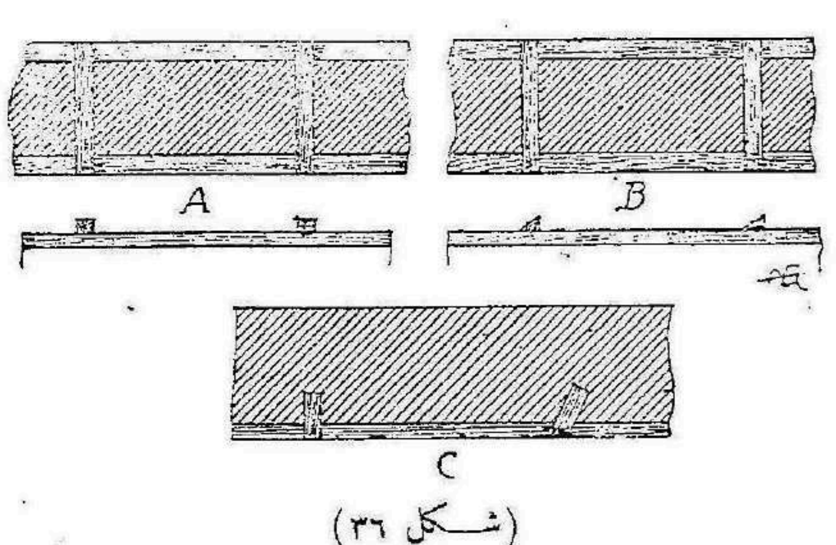
كحلت مواضع اللحام، أفقية ورأسية، بمونة من الجبس . أدخلت فيها كمية كبيرة من الجير . وهذا اللحام بارز ملليمترا أو اثنين عن سطح الآجر، بهيئة خطوط بيضاء على أرض حمراء داكنة[1] .

ويؤخذ من اتقان العمل فى هذه القطعة، أنها نالت عناية خاصة، لأن البقايا التى وجدت منها قليلة . ومن الجائز، أن تكون المونة سقطت من مواضع اللحام فى باقى الواجهة . ويحتمل أنهم كانوا يكتفون فى الأبنية العادية بكحلة الجدار أولا بأول بلحام لم يخدم كلما علت المبانى .

وكانوا دائما يتركون الآجر على الطريق ظاهرا دون أن يكسوه بالبياض[2] .

أما فى داخل الدور، فانهم كانوا يبيضون الجدران بالجير الخالص، والجير المخلوط بالرمل، والجير المخلوط بالجبس . وقد يضيفون اليه التبن . وأما الطين المخلوط بالتبن، فما كان يستعمل إلا فى بيوت الفقراء .

(هـ) القوائم الحجرية — لاحظنا أنهم فى بعض الاحيان كانوا يدخلون فى بناء الأساس مداميك من الآجر القائم على سيفه، لتزيد قوة مقاومته للضغط الواقع عليه . ولمثل هذا الغرض أيضا، كانوا يجعلون داخل البناء الذى يشيدونه بالآجر قوائم من الحجر. وهى تشاهد بصفة خصوصية فى بناء الأكتاف لما يكون قطاعها صغيرا ويحتاج لمثل هذه التقوية، فكانوا يضعون القائم وضعا رأسيا فى وسط الكتف ويبنون عليه بالآجر



(شكل ٣٦)

(١) استمر العمل بمثل هذه الطريقة فى العراق، فى الأبنية الحديثة ببغداد وضواحيها راجع «بعثة فى العراق» *Mission en Mésopotamie* تأليف ماسينيون ج ٢ لوحة ٧ وما بعدها و«فن البناء ببغداد» *Die Baukunst in Bagdad* تأليف O. Reuther شكل ٨٥ و ١١٦ و ١١٨ و ١٢٢ الخ والحامات فى بيوت رشيد التى ترجع الى القرن الثامن عشر، ناصعة البياض، وبارزة بروزا خفيفا (راجع تقرير هرتس عن مأموريته فى رشيد، فى مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية، الكراسة الثالثة عشر، سنة ١٨٩٦ ص ٥١ وما بعدها) .

(٢) الظاهر أن القاعدة المعمول بها فى الأصل كانت ترك الآجر عاريا . وروى أن أول تربة وضع عليها البياض تربة ابراهيم بن صالح المتوفى فى سنة ١٦٥ هجرية (٧٨١ ميلادية) .

من جهاته الأربع (راجع، على الخصوص، اللوحة ٩) . وقد اتخذوه فى بناء الأكتاف بفتحات الأواوين، وفى الجدران الممتدة لتقويتها . فكانوا يضعون بين الآجر عدة قوائم من الحجارة، متباعدة عن بعضها البعض (راجع اللوحة ١٥—٢ و ١٦—١ و ٢ و ٣) .

ولم يصادفنا غير مثال واحد من هـذه القوائم الحجرية، موضوعا وضعا أفقيا، كما هو شائع فى جهات أخرى (لوحة ١٦ رقم ٥)[١] .

(و) الأربطة — مما اصطلح عليه منذ القدم ولا زال شائعا فى بلاد الشرق، ربط الجدران التى تشيد بالآجر بأخشاب توضع وضعا أفقيا كما يرى فى الكروكيات (شكل ٣٦) .

والمعتاد فى الحـالة البسيطة (C) أن تكون الأخشاب ذات قطاع مربع وتدمج فى البناء بعلو طوبة واحدة ثم تربط بمسامير من حديد تدق فى خوابير قائمة أو منحرفة تدخل فى جنب الجدار . وقد وجدنا من هذا القبيل أمثلة عديدة أحكم صنعها، إذ جعلت من مدادتين أفقيتين توضعان متقابلتين على صفحتى البناء بارتفاع واحد . ثم يوصل بينهما بعوارض متحدة معهما فى القطاع (A) أو تكون من قطاع مثلث (B) يتخـذ من مربوعة من الخشب مشقوقة على اتجاه وتر قطاعها[٢] . ولم يبق الآن من أثر هذه الأربطة سوى الموضع الذى كانت تشغله فى بعض الأبنية المشيدة بالآجر . وربما تكون نزعت من محلها أو استحالت الى تراب . وفى بعض التجاويف، وجدت قطع من الأخشاب عرف أنها من خشب الصنط (acacia)[٣] . على أن كثرة وجود هـذه الأربطة لا تؤخذ دليلا على تعميمها، إذ وجدنا جدرانا كثيرة خالية منها[٤] .

---

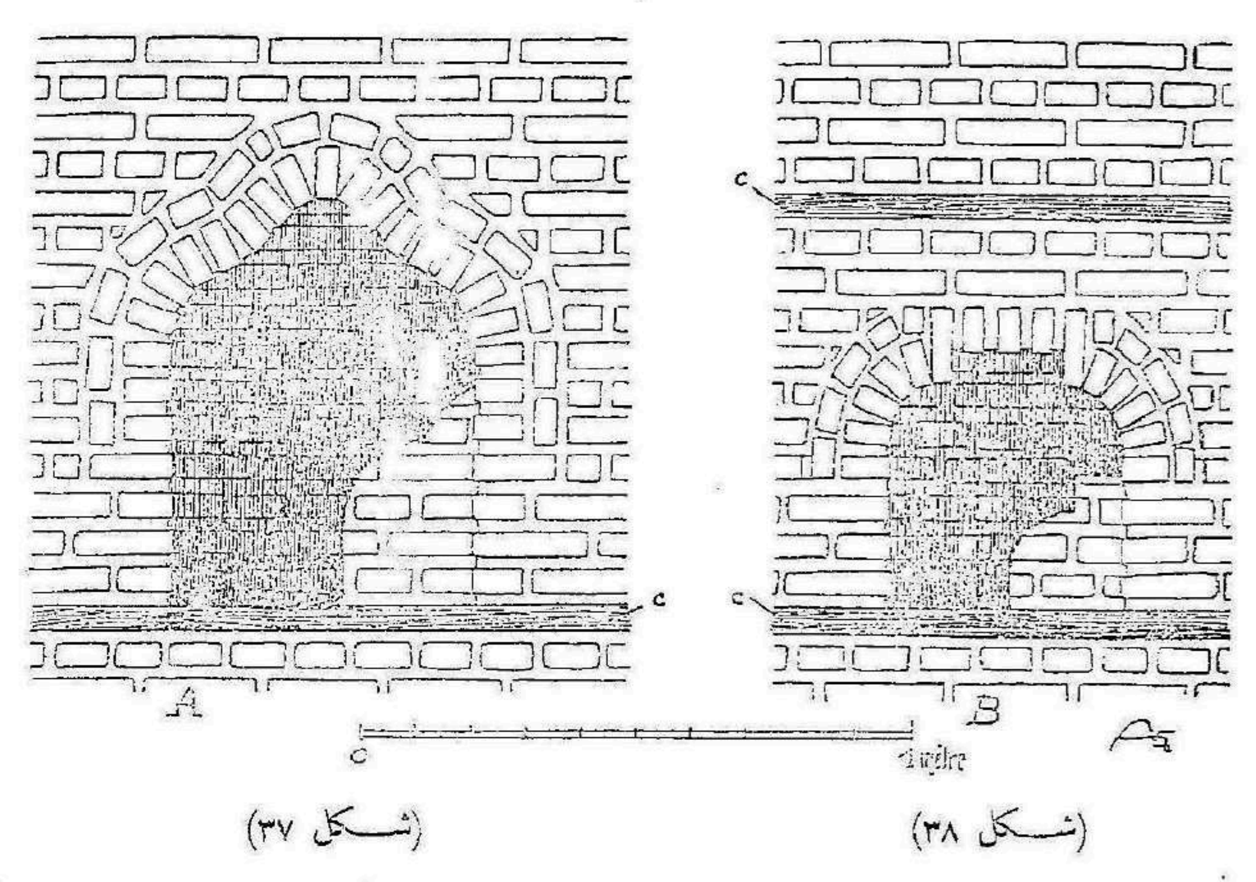
(١) هـذه الطريقة التى جمع فيها بين الحجر والآجر، يظهر أنها وردت على البلاد من الشام (من المشتى مثلا)، وربما كان دخولها فى مصر سابقا على فتوح العرب . راجع (البناء بالدبش أفقيا وبالحجر رأسيا) . « استكشافات فى سقارة » *Explorations at Saqqara*، تأليف Quibell لوحة ٣٠ ومع ذلك فاننا لم نقف على نماذج من الحجر الموضوع وضعا رأسيا، بقواعد الجدران المبنية بالطوب .

(٢) وتشاهد الأربطة الخشبية أيضا فى أبنية تروادة وميسين وفى البيوت الصغيرة أو العشش فى بلاد اليونان ومصر . وفى المبانى العظيمة الساسانية بالعراق، ترى الأربطة مصنوعة بدقة زائدة والأخشاب مجموعة ببعضها جمعا محكما (المدائن) . وكانت الأحزمة الخشبية تتخذ حتى فى الأبنية المشيدة بالحجر . راجع « بعثة العراق » لماسينيون الجزء الأول لوحة ١٨، (Massignon, *Mission en Mésopotamie*)

(٣) كانت الغابات، فى آخر عهد الفاطميين بصعيد مصر، يكثر فيها الصنط، وكانت تخرج ثمرا يسمونه القرظ (راجع رسالة المرحوم على بك بهجت، باللغة الفرنسية، عن الغابات فى مصر وادارتها فى القرون المتوسطة، التى قدمها للمجمع المصرى فى سنة ١٩٠٠)

(٤) لم يعثر فى جامع ابن طولون على أثر أربطة من خشب .

(هـ) العقود والأقبية والصفف — العقود والأقبية التي نقلنا صورها في الأشكال وجدناها في المجارير، والبيارات . وسنتكلم عليها عند ذكر هذه المرافق . ولا بد أن عقود الدور وأقبيتها كانت تبنى على هذا النمط . أما الصفف فانها كانت تتخذ بكثرة في الجدران . وقد رسمنا منها



(شكل ٣٧) (شكل ٣٨)

نموذجين نقلناهما من الدار الثانية (الشكلان ٣٧ و ٣٨) . وفي (الشكل ٣٧) نرى العقد الثلاثي المفصوص بالقسم العلوي واضحا جدا . وكانوا يحدثون مثل هذا الشكل بالجبس والأبنية[1] كما هو مبين في (الشكل ٣٨) .

٣ — التبليط

في المباني المتقنة كانوا يفرشون الحيطان، وبواطن الحيضان، وأرض الغرف، ببلاط من الحجر المستطيل بعرض ٢٠ الى ٣٠ سنتيمترا، وطول ٥٠ الى ٨٠ سنتيمترا، ومتوسط ثخانة من ٥ الى ٦ سنتيمترات . وقد تختلف هذه الأقيسة في الأرضية الواحدة بشكل واضح .

---

(١) هذه الصفف تشابه الصفف التي اكتشفها مسيو هرزفلد في دور سامرا . راجع (E. Herzfeld, *Vorläufiger Bericht*) لوحة ١١ و ١٢

استدراك — في آخر السطر الخامس من هذه الصفحة وقع خطأ مطبعي في كلمة « والأبنية » وصوابه : « في الأبنية » .

والمعتاد أن يكون التبليط بطريقة وضع البلاط متواترا (دالات) . وهى تلائم البلاط الغير المنتظم[١] . وكانوا يبلطون أيضا بترابيع مختلفة الشكل والقياس، مرصوصة على غير نظام، أو على شكل فسيفساء مؤلفة من قطع صغيرة من الحجر الأبيض . والبلاط كله يلصق بمونة الجير والقصرمل أو الحمرة، فيرضع على لياسة من هذه المونة سمكها أربعة أو خمسة سنتيمترات . ولما تكون أرض الدار بها ردم ، كانوا يحتاطون لمنع هبوطها من كبس الأتربة، بأن يضعوا فى الردم قواديس من الفخار الغليظ ، تملأ بالتراب فتتكون منها تحت سطح الأرض عدّة مناطق ثابتة على قدر عدد

0.20

(شكل ٣٩)

القواديس ، لا يمكن أن يطرأ عليها أى تغيير . وقد رسمنا فى الشكل ٣٩ (الدار السادسة)، نوعا من القواديس المخروطية الشكل ، رصت بالتناوب، مرة قائمة على رأسها ، ومرة على قاعدتها . وفى بعض المواضع، استبدلت هذه القواديس بمواسير اسطوانية، متراصة، الواحدة فوق الأخرى .

٢ — المعدّات الصحية

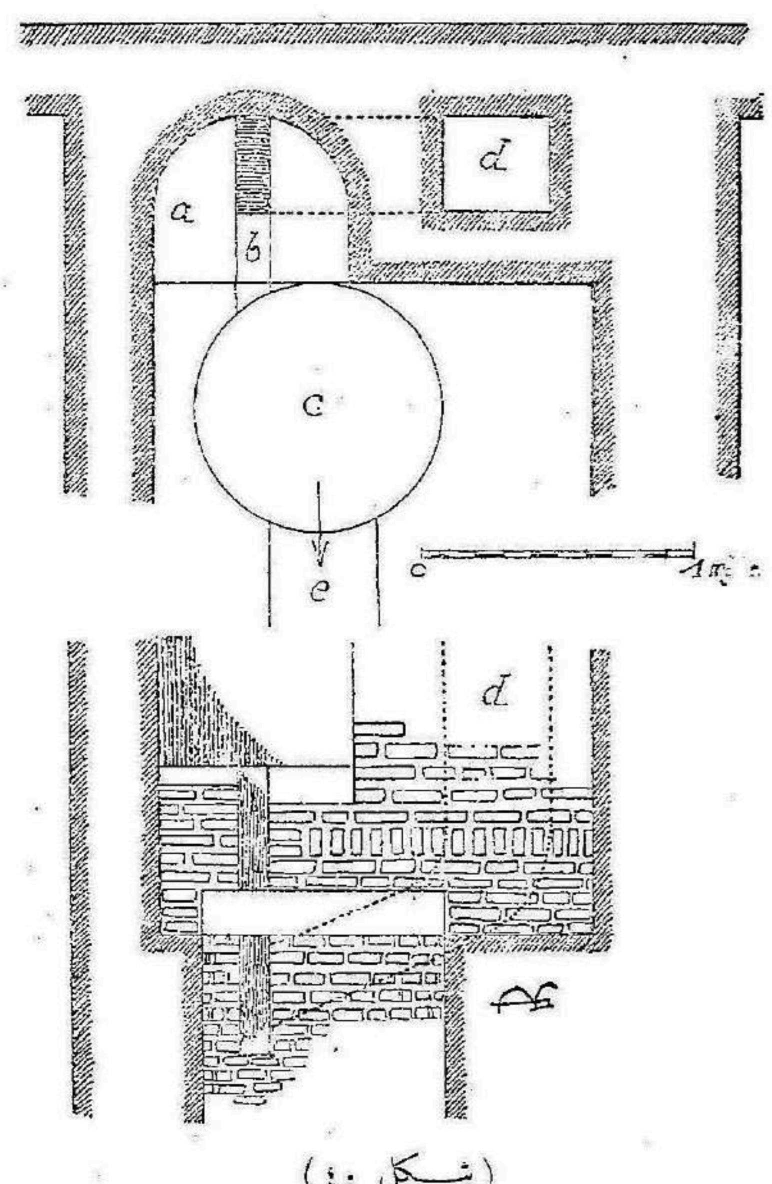
يستدل من كثرة المعدّات الصحية وانتشارها على زيادة العناية بأمور الصحة العمومية[٢] . لأنا لم نر دارا خلت من وجود مجارير للراحيض، متسلطة على بيارة، تنصرف اليها أيضا مياه الدار .

(ا) المراحيض — (لوحة ١٧ رقم ١ و ٢) كانت تتخذ فى محال صغيرة مستطيلة . ويبنى الكرسى بترابيع حجرية، وتجعل له فتحة متصلة بفرع مسلط على المجرور . وفى الشكل ٤٠

(١) وجد فى جامع ابن طولون بلاط مركب بهذه الطريقة ، وفيه عدم الانتظام المشاهد فى تبليط الفسطاط . والبلاط الموجود الآن من الرسم نفسه ولكنه أكثر انتظاما ويرجع عهده الى الاصلاحات الأخيرة .

(٢) لا يجوز لأحد إخراج جدار داره الى الممر المعهود . وكذلك كلما فيه أذية وإضرار على السالكين كمجارى الأوساخ الخارجة من الدار فى زمن الصيف الى وسط الطريق فانه يكلف بسدّه فى الصيف ويحفر له فى داره حفرة يجمع فيها (الحسبة ، الباب الثانى) وقد رأينا هذه القواعد متبعة فى دور الفسطاط .

(لوحة ١٧ رقم ٢)، يرى كرسى المرحاض فى طاقة غير نافذة (دخلة) مرموز لها بحرف a ويصرف مجروره b فى البيارة المساعدة c ومنها تمر المواد من المجرور e الى البيارة العمومية . وفى d قناة رأسية (قصبة) نازلة من الطبقة العلوية من الدار[1] .



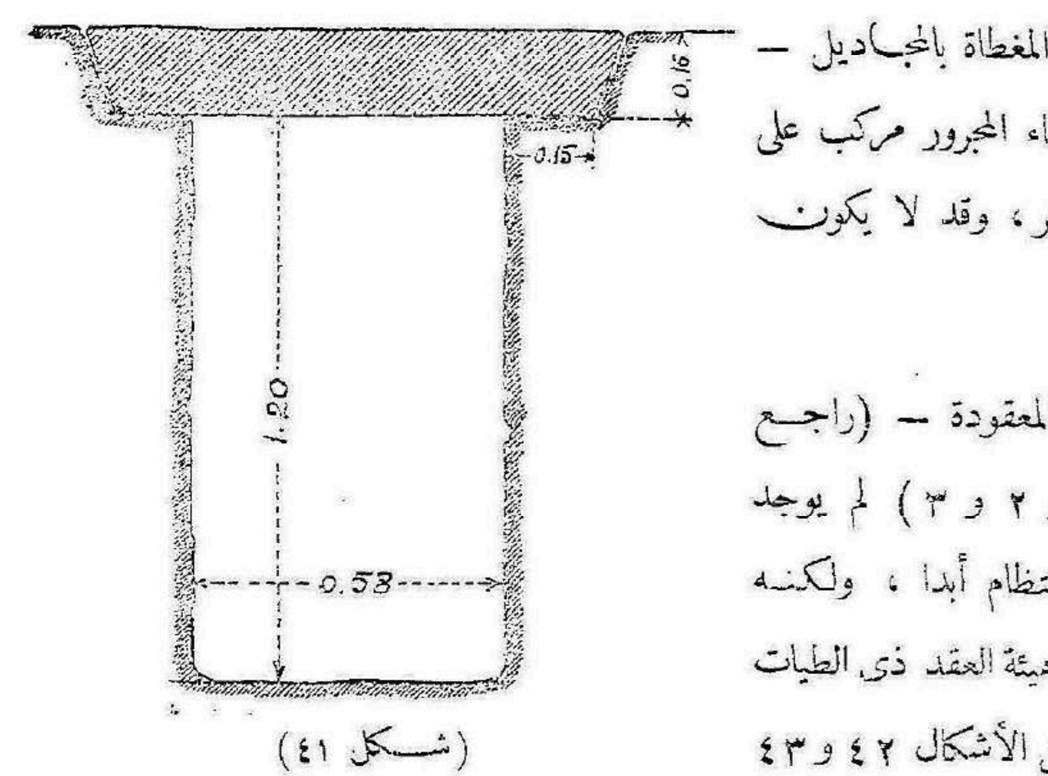
(شكل ٤٠)

(١) قلنا فيما سبق، أن هذه القنوات قطاعها أكبر مما يلزم لتصريف مياه الأمطار وحدها من السطوح . على أنه مهما كان الغرض منها، فان ذلك لا ينفى امكان تصريف المياه التى تجمع من الأمطار فى المجرور . ويظهر أنهم كانوا يتساهلون فى ترك مياه الأمطار تنحدر الى الشارع، كما كان يحصل عندنا فى المدن فى العصور المتوسطة . قال صاحب الحسبة : انه «قد يجعل أرباب العقارات ميازيب يقلبون فيها مايستعملونه من الماء فى طول الزمان ويحفرون تحتها حفيرا تجمع تلك المياه فيه وليس لهم أن يفعلوا ذلك فى طرقات المسلمين الا فى وقت المطر فان الله تعالى قال "فان كان بكم أذى من مطر" فاذا لم يكن مطر فليس لهم أذية للناس فى طريقهم، فان هذه ربما يسقط فيها الضرير والغافل والمعرض والغريب، اذا عبر فى الليل . وفى ذلك إثم كبير ومضرة وربما وقع من هذه المياه على ثياب الناس شىء فينجسها حتى لا يكون منه سبب" نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، لابن بسام الباب ٨٥

ويؤخذ من ذلك، ان مياه الأمطار دون غيرها هى التى كان يباح صرفها فى الشارع" . والغريب، أنهم يستندون فى ذلك على قوله تعالى "ودّ الذين كفروا لو يغفلون عن أسلحتهم وأمتعتهم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم" . «سورة النساء» .

وهذا تصرف جائر فى التأويل، اعتمد فيه على بتر جزء من الآية الشريفة . واذا قورن هذا المثال بغيره من تأويلات الفاطميين عرف الزمن الذى وضع فيه كتاب الحسبة.

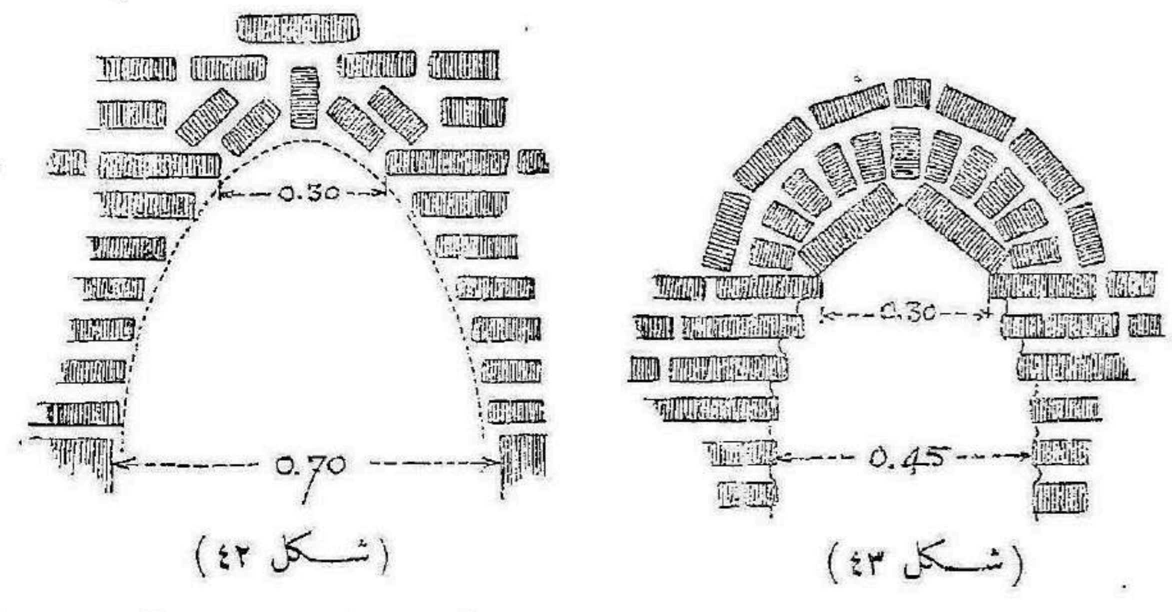
(ب) المجارير — وجدنا بعضها منقورا فى الصخر بارتفاعات مختلفة، ويمكن حصرها فى نوعين : مجارير مغطاة بالمجاديل، ومجارير معقودة بالآجر .



(شكل ٤١)

١ — المجارير المغطاة بالمجاديل — فى (الشكل ٤١) غطاء المجرور مركب على افريز منقور فى الصخر، وقد لا يكون هنالك افريز .

٢ — المجارير المعقودة — (راجع اللوحة ١٨ رقم ١ و ٢ و ٣) لم يوجد قطاع القبو كامل الانتظام أبدا ، ولكنه يقرب على العموم من هيئة العقد ذى الطيات (عقد جنازيز) . ومن الأشكال ٤٢ و٤٣ و ٤٤ تعلم الطرق المتنوعة التى كان يبنى بها . والغرض من ذلك تجنب استعمال العبوات الخشبية . واذا بنيت مداميك منبعثة من المركز فانهم كانوا يتمكنون بالنظر لصغر حجم القبو من وضعه على

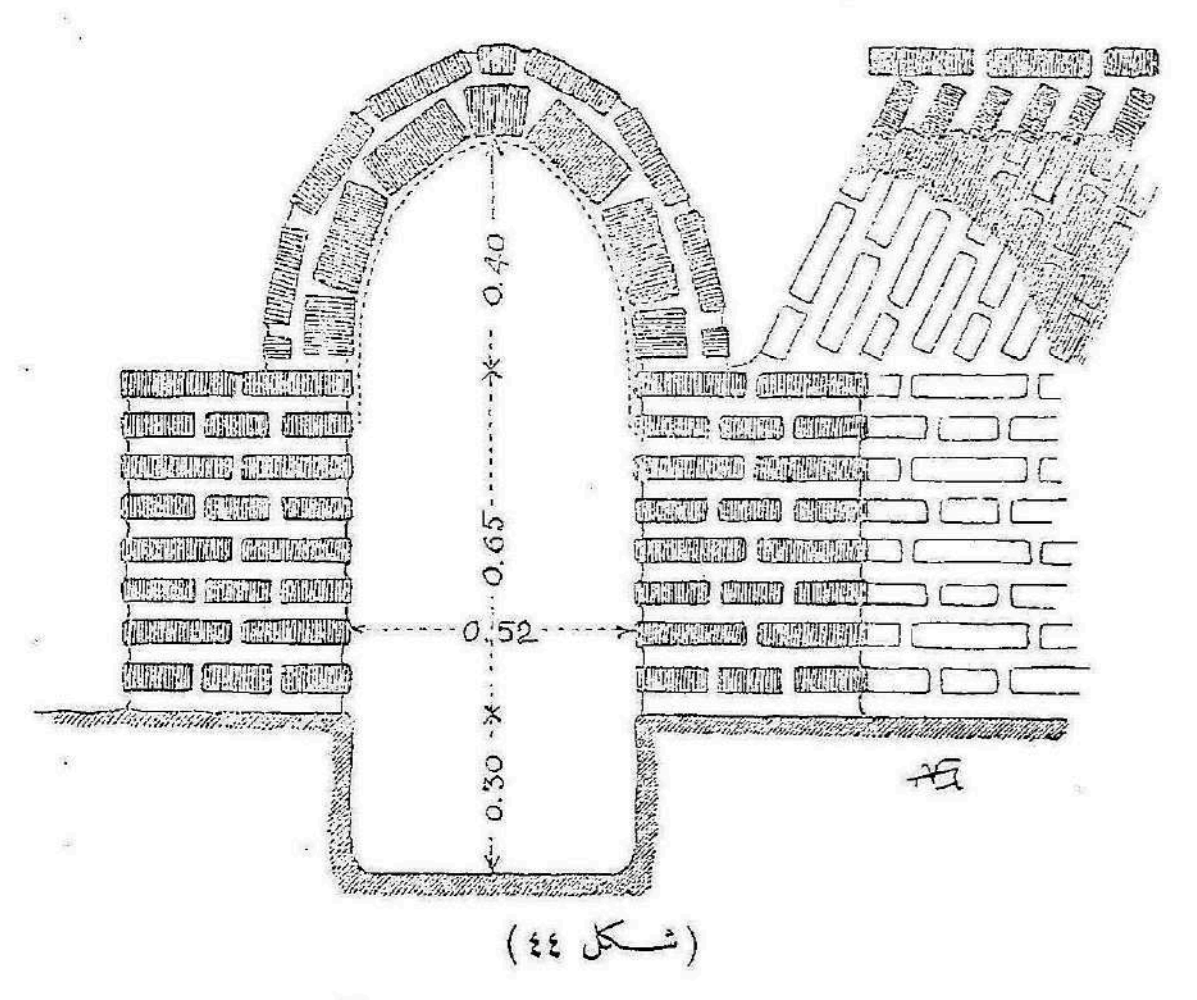


(شكل ٤٢) (شكل ٤٣)

عبوة من الطين، تزال عنه بعد ما يتم بناؤه . وفى (الشكل ٤٢) بنوا جانبى العقد بمداميك أفقية حتى كاد الجنبان يلتقيان عند القمة حيث أبقوا نحو ثلاثين سنتيمترا خاليا . وهو محل

غلق (مفتاح) العقد . وتوصلوا الى ذلك بوضع الآجر مائلا بالموازنة بينه من الجهتين فوق آخر مدماك أفقى .

وقد أحكم العمل بهذه الطريقة فى الشكل رقم ٤٣ ، وفى الشكل ٤٤، ظهرت الطريقة الشائعة وهى بناء العقد بصنج مستقلة مائلة . وكانوا اذا أتموا تركيب مدماك وجه العقد ،



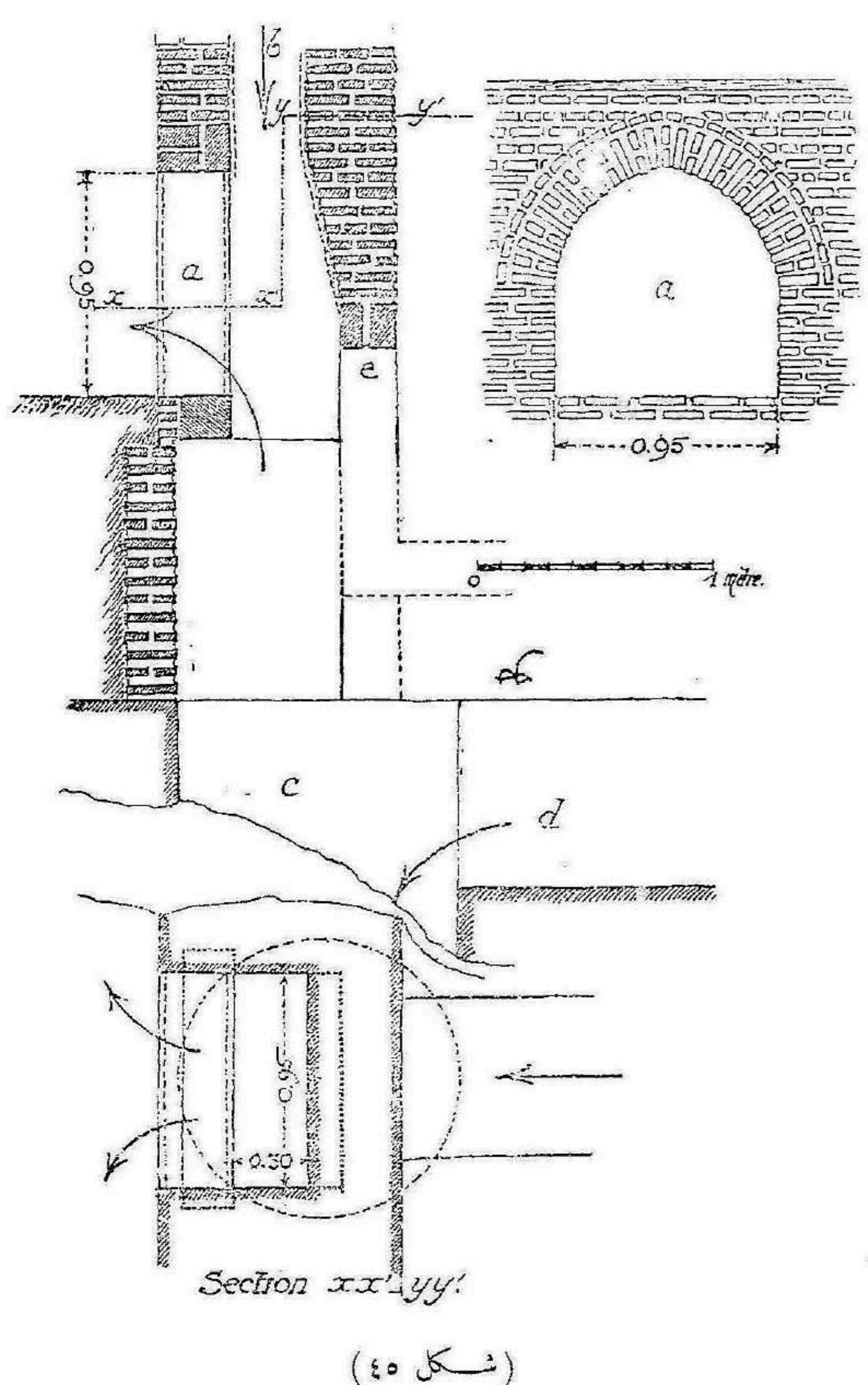
(شكل ٤٤)

وضعوا المداميك الأخرى، ولم يحتاجوا الى ما ترتكز عليه . وكان الآجر يوضع على سطحه ويثبت فى محله باللصق بالمونة . وهذا اللصق كان كافيا لتركيب القبو بوضع الآجر صنجا رأسية[1] .

---

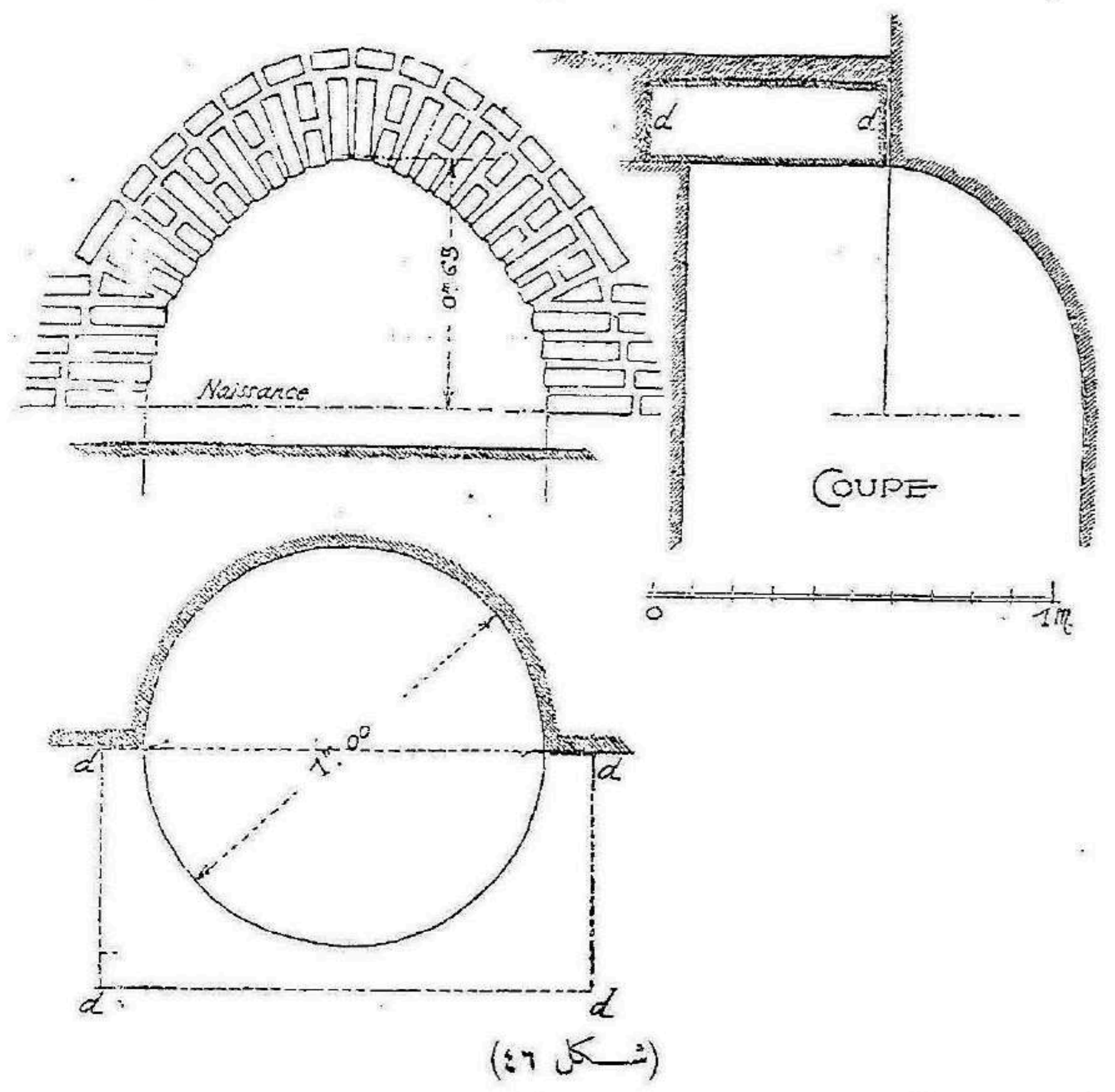
(١) هذه الطرق كانت معروفة فى مصر فى العهد القديم ، ففى كرم أبو مينا حيث اعتادوا البناء بالحجر، وجد الحجر مستعملا أيضا فى بناء قبو، راجع «مدينة بومنا» تأليف كوفمان (M. Kaufmann, *Die Menastadt* 3, 7, 46) وعن بناء الأقبية بصنج مائلة فى الأديرة القبطية راجع «الآثار المسيحية بوادى النيل» ص ٢٤ وما بعدها لسومرس كلارك (Sommers Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*) . أما الأصل الذى قامت عليه هذه الطرق الصناعية فانه بالعراق (خرزباد) حيث كانت رائجة فى العمارة الساسانية . ويلاحظ بجانب الأبنية ذات الصنج المتوازية (المدائن) الأقبية المبنية بمداميك أفقية حتى غلق العقد، راجع «بعثة فى العراق» تأليف ماسينيون (Massignon, *Mission en Mésopotamie* I, Pl. XIII.)، وراجع أيضا «قصر الأخيضر ومسجده» تأليف مس بل (Miss Bell. *Palace and Mosque Ukhaïdir*. Pl. XIV.)

(ج) البيارات — بيارات الدور عموما مستديرة . وقطرها فى المتوسط ١,٥٠ م وتنتهى اليها عدّة قنوات ومجارير . وكذلك القنوات الرأسية (القصبات) المتداخلة فى الجدران (شكل ٤٥). وهذه البيارات تكون دائما على حافة الشارع يمر عليها جدار الواجهة . وكانوا يجعلون فيها لتسهيل



(شــكل ٤٥)

نزحها فتحة بمستوى أرض الطريق أو منخفضة عنها قليلا[1] . وهى فتحة يبلغ عرضها نحو متر تقريبا بنهايتها عقد مبنى بناء محكما، ويجعل عليها لتغطيتها مجدال من الحجر أو بناء بالآجر غير مرتبط بباقى البناء، بحيث يمكن هدمه عند الكسح . وقد نقلنا (الشكل ٤٦) من بيارة مبنية

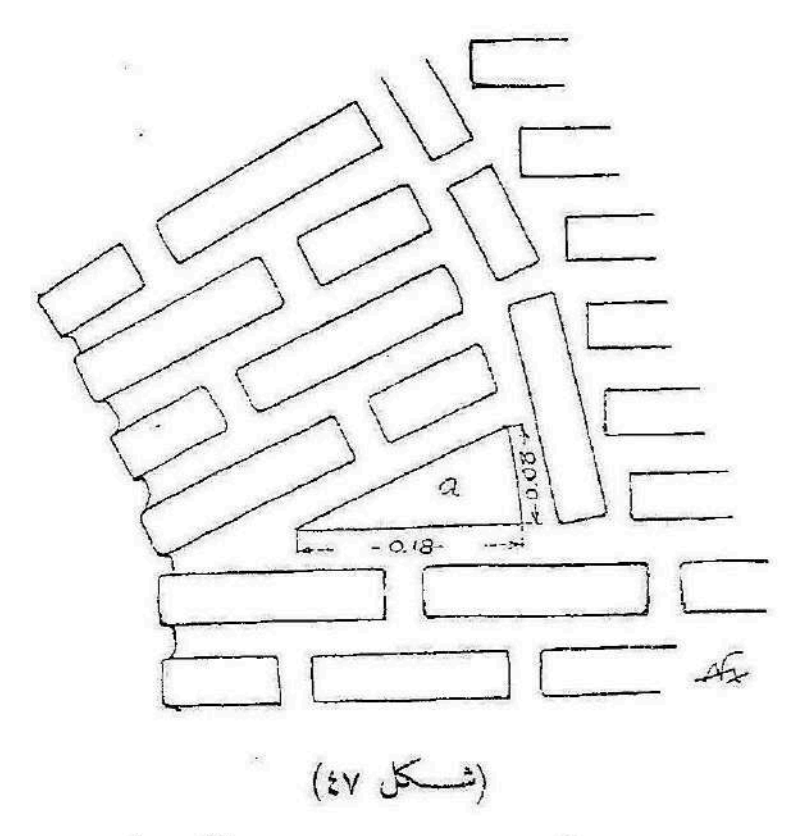


(شكل ٤٦)

بطريقة شاذة، تنتهى بتجويف مسدود بالبلاط . ولم يبق من هذا النوع إلا بعض عقود مبنية بالآجر بفتحات البيارات . وقد بينا فى الأشكال التى أوردناها هنا، بعض تفاصيل بنائها، وقطاعها، اما أن يكون مهموزا (مدببا) أو حيزوميا وسنرى أنهم كانوا فى بعض الأحوال (شكل ٤٦

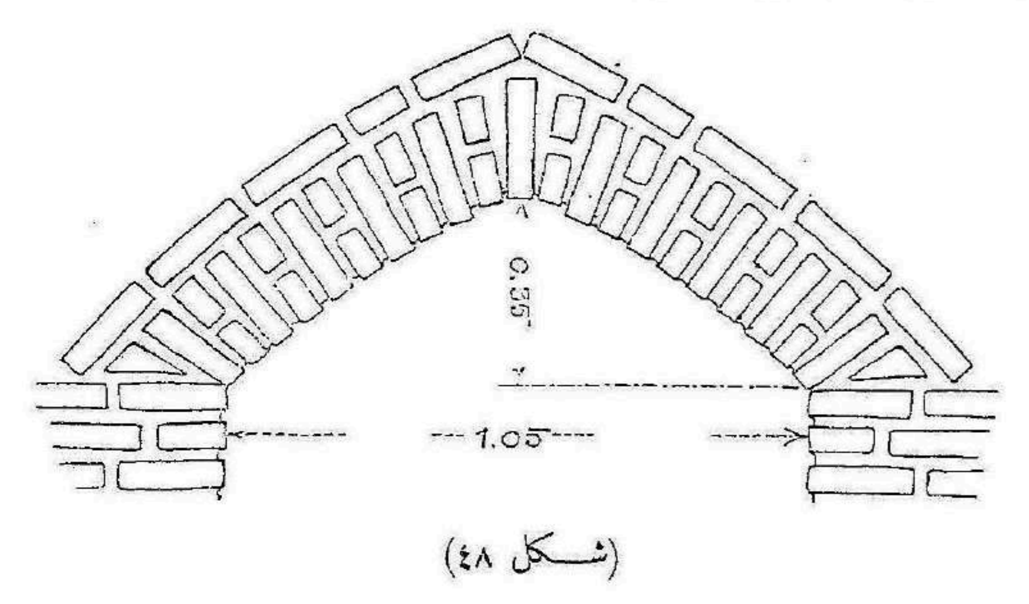
(١) ينبغى «على كساح السماد وحمالته» أن يعرف عليهم عريفا ، ويأمرهم بأنهم اذا نقلوا السماد الى ظاهر البلد أن يحفروا له حفائر ، فاذا نقل اليها يطم عليه حتى تنقطع رائحته فلا يتأذى منه أحد ، ويمنعون من نقل ذلك الى الماء وطرحه فيها أو حوله ، ويمنعون أيضا سرقة الطوب والشقاف فى قفف الرماد اذا جابوه ، ويرمونه فى البئر ويدفونه ، ويقولون لصاحب البيت : هذه الأرض الجلدة قد بلغنا اليها وهم كاذبون ، وفى البئر سماد كثير قد بقى ، فيوقف العريف على نظافة ذلك ، وعلى حقيقته بالبحث والحفر ، ويكون له نصيب من أجرتهم يستعين به على مراعاتهم والطوف عليهم ، ويمنعهم أيضا من نتح آبار الناس قبل الشرط على الأجرة ، لأنهم ربما فتحوا البئر وتغالوا فى الأجرة فان ارتضى صاحب البيت بما يختارونه ، وإلا تركوه مفتوحا وانصرفوا عنه فتؤدى الضرورة صاحبه لدخوله تحت ما يحبون ، فيمنعون من ذلك ومن فعل أدب (الحسبة الباب ٧٨) .

و ٤٧ و ٤٨) يضعون بمبدأ العقد، قطعة من الآجر مثلثة القطاع على هيئة وسادة، الغرض منها أن يحولوا الآجر من اتجاهه العمودى الى منحنى بطن العقد ، وأن يظهروا التوازى بين خطوط



(شـــكل ٤٧)

اللحامات . وهى من الوسائل التى يكثر استعمالها فى البناء بالآجر، كلما لزم الحصول على لحامات منتظمة . وهـذا وحده يفسر لنا السبب فى اتخاذ العقـد الحيزومى الذى استبدل فيـه المنحنى



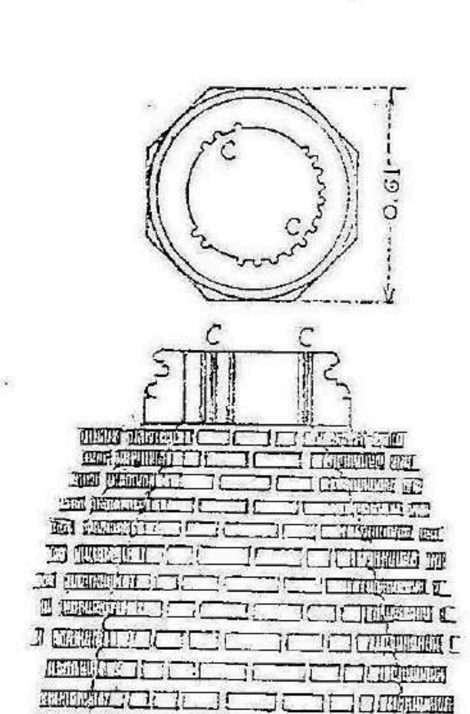
(شـــكل ٤٨)

بخـط يكاد يكون مستقيما، وقد رسمنا فى (الشكل ٤٨)، قطاع قبـو وجدناه تحت فسقية نرى فيه انحناء خفيفا بباطن العقد .

٥ – نظـام توزيع المـاء

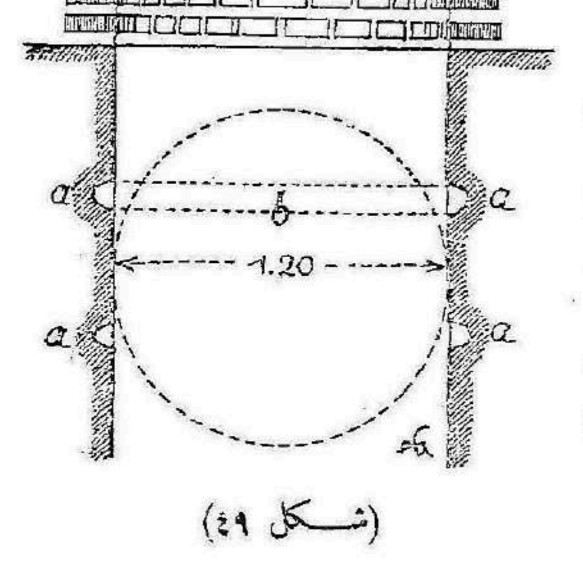
لمـا وصفنا الدور فى الباب الرابع بينا الحدّ الذى وصل اليه توزيع المياه من التعقيد، فلا نعود هنا الى تفصيل ذلك . وانمـا نلق نظرة على مايتألف منه هذا النظام .

(ا) الآبار — الآبار منقورة فى الصخر الى الطبقة المـائية . ولمـا كانت هذه الطبقة ماؤها أجاج، ويكثر فيها الملح كلمـا بعدت عن مجرى النيـل، كانت مياه الشرب يأتى بهـا السقاؤون[1] من النهر بالقـرب وتحفظ فى الآبار .



وكانوا اذا حفروا بئرا يجعلون فى جوانبه نقرا كما فى a (شكل ٤٩)، يدخلون فيها عروقا من الخشب b ، ليسهل النزول فى البناء أثناء حفرها أو عنـد ما يريدون تطهيرها .

والبـئر التى رسمناها مسـتديرة . وهى من الشكل الأكثر استعمالا، مغطاة بقبو قطعه ناقص الشكل مبنى بمداميك أفقية من الآجر الموضوع فوق بعضـه البعض، بارزا بالتدريج . والفتحة العليا عليها خرزة مقطوعة من قاعدة قديمة من الرخام، وفى c تشاهد آثار غائرة أحدثها احتكاك الحبل بجوانب الخرزة من الداخل .



(شـكل ٤٩)

(ب) القنوات — القنوات الفخار تتكون من أنابيب أسطوانية موصولة بعضها ببعض بالكيفية المرسومة فى (الشكل ٥٠) . وهى تختلف فى المقاس، وقد وجدنا منها ما يأتى :

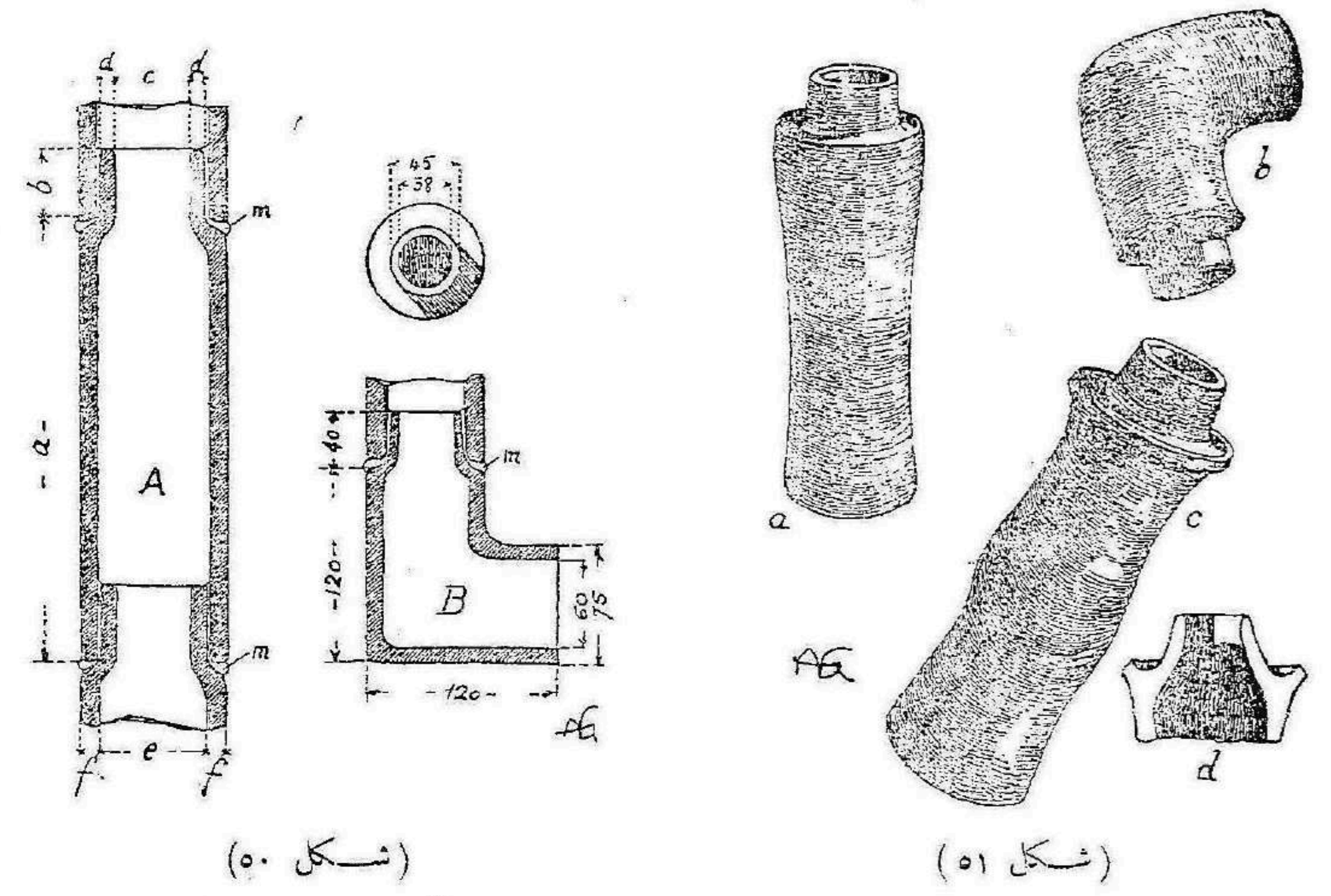
---

(١) ناصر خسرو، سفر نامه طبع شيفر، ص ١٥٢

تنبيـــه — يقرأ فى السطر ٩ "جوانبها" عوضا عن "جوانبه" . وفى السطر ١١ "فى البئر" عوضا عن "فى البناء" .

ا	ب	ج	د	هـ	و
٠٫٣٠	٠٫٠٤	٠٫٠٦	٠٫٠٠٨	٠٫٠٤	٠٫٠٠٤
٠٫٢٤	٠٫٠٥	٠٫٠٤٥	٠٫٠١	٠٫٠٧	٠٫٠١
٠٫٣٥	٠٫٠٦	٠٫٠٥٥	٠٫٠٠٨	٠٫٠٧	٠٫٠٠٤
٠٫٣٦	٠٫٠٥	٠٫٠٢٨	٠٫٠٠٥	٠٫٠٤٧	٠٫٠٠٧
٠٫٢٨	٠٫٠٦	٠٫٠٥٥	٠٫٠١	٠٫٠٨٥	٠٫٠١

وكانت الأنابيب، يربط بعضها ببعض بمونة من الجير والقصرمل أو الحمرة (m من الشكل ٥٠).



(شـكل ٥٠) (شـكل ٥١)

ووجدنا بجانب القطع المستقيمة قطعا من الفخار، على شكل كوع أو حرف T ، كانت تستعمل للتفريع والتحويل . (شكل ٥٠ و ٥١) .

(ج) الفساقى — فى الحوش، بكل دار مهمة، فسقية مربعة، مبنية بالآجر فوق الصخر . وقد يختلف شـكل الفسقية . وهى على وجه العموم مربعة الفتحة، وقاعها منشورى الشكل،

مثمن الزوايا . وهذا الشكل يتغير أحيانا كما فى (الشكلين ٥٢ و ٥٣) بما يضاف اليه من التجاويف الاسطوانية والبروزات .

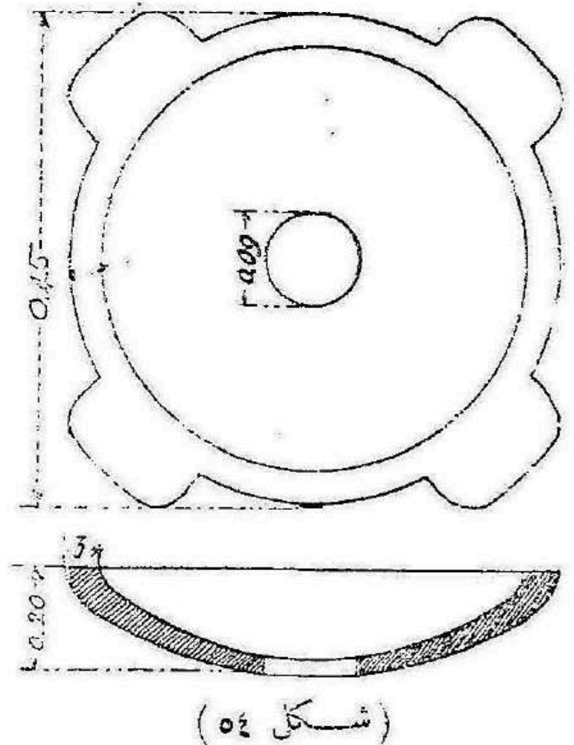
(شـكل ٥٢)

(شـكل ٥٣)

وتجىء المياه على وجه العموم الى الحوض من قنوات من الفخار فى الزوايا أو فى الوسط بأحد الجوانب . وتشاهد فى (الشكل ٥٢)، أنابيب صغيرة من النحاس فى الزوايا الأربع، وكانت متخذة بصفة ميازيب، بصدد الزوايا تنحدر منها المياه الى حـوض .

وكانوا يفرشون بطن الفسقية وحافاتها الأفقيـة ببلاط كلسى أو ملاط مائى من الجير والقصرمل أو الحمـرة .

ووجد فى بعض الفساقى، وكذلك فى جوانب جوفها المثمن، قواديس من فخار مثبتة (شكل ٥٣)، ربما كانت متخذة كبيوت للأسماك الصغيرة .



(شـكل ٥٤)

(د) أحواض غسيل الأيدى — عثر على عدد من الأحواض من النوع الذى رسمناه فى (الشكل ٥٤) . وهو فى الغالب متخذ من قطع من الرخام قديمة . وأحيانا من تيجان دورية ولا يزال البعض منها فى مواضعه الى الآن، مما لا يجعل شكا فى الغرض الذى اتخذت له (راجع على الخصوص، الدار السابعة مكرر، P من الشكل ٢٧) .

الباب السابع

قطع من الزخارف

جمعت من مواقع الفسطاط، قطع مختلفة من الزخارف المتخذة من الجص التى تكسى بها الجدران أكثرها محلى بنقوش بارزة . وهذه الزخارف ببعضها أثر تلوين .

وقد وجدت بين الأتربة بمعزل عن المبانى القائمة . وهى على وجه العموم صغيرة الحجم ، ترجع الى أزمنة مختلفة . ولذلك يغلب على الظن أنها من أبنية هدمت ونقلت فى أزمنة مجهولة الى الكيمان[1]، إلا النزر اليسير .

وسنتكلم فى هذا الفصل على الزخارف المخلفة من الدور التى اكتشفت . وهى بحكم قياسها، ووزنها، وتشابه بعض القطع التى جمعت من محل واحد بعيدة عن فكرة أنها منقولة من جهات أخرى .

ومع أننا لم نعثر بينها على قطعة واحدة قائمة بمكانها الأصلى من الجدران، إلا أنه أمكننا الاستدلال على الدور المأخوذة منها . ولا بأس من قسمتها الى نوعين :

زخارف لم يدخلها غير الجص، وزخارف يتحد فيها الجص بالآجر .

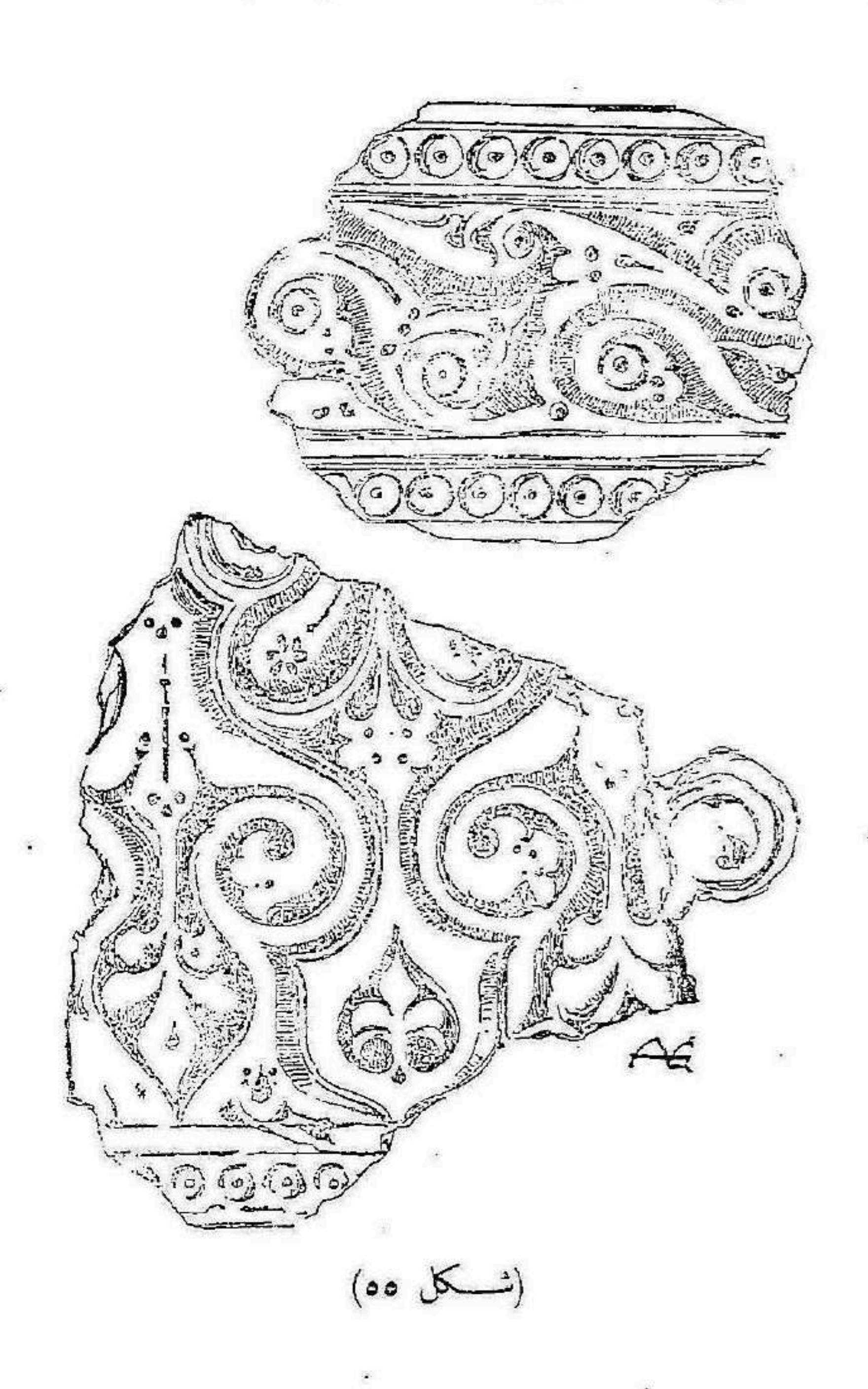
١ – الكسوة بالجص

رسمنا فى (الشكل ٥٥) واللوحة (٢١ ، ١ و٢) أهم الأمثلة التى تساعد على الفهم من القطع التى اكتشفت الى الآن . وهذه الكسوة مكونة من ألواح، ثخانتها أربعة أوخمسة سنتيمترات من

---

(١) هذه القطع كلها معروضة بدار الآثار العربية بالقاهرة .

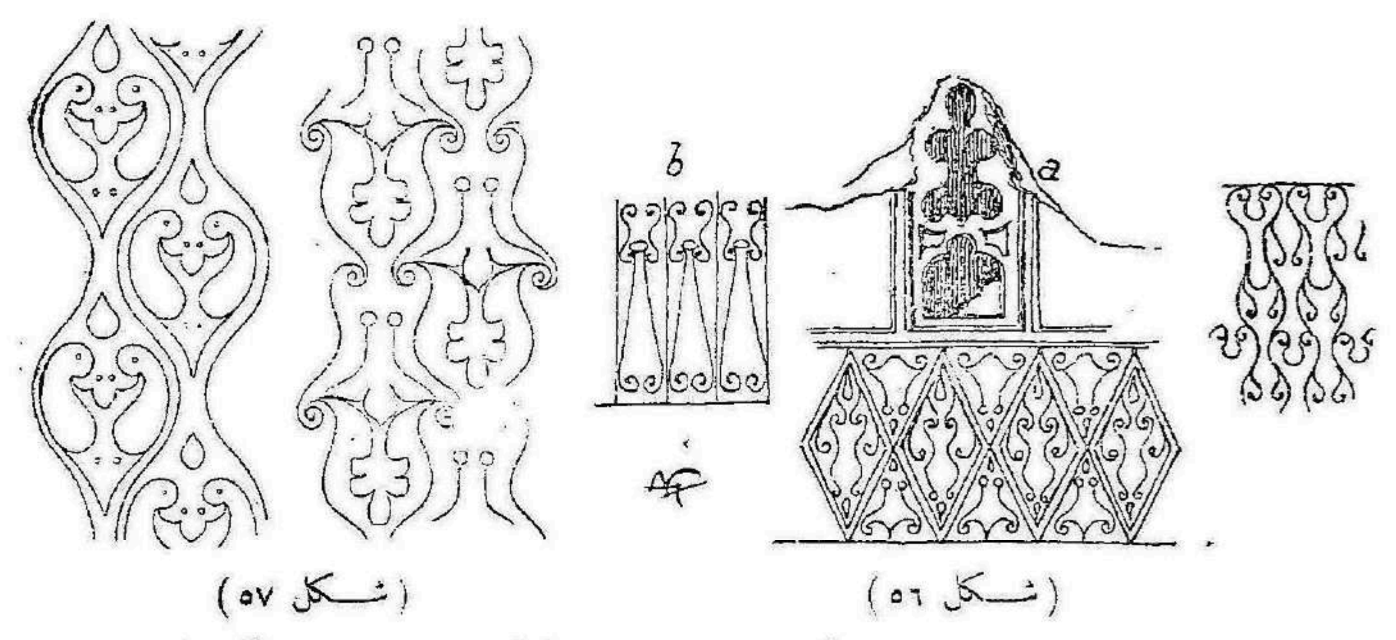
جص مصنوع فى قوالب من خشب . وبهذه الطريقة كانوا يصنعون حشوات مستطيلة ، مختلفة المقاس ، يكسون بها الجدران المبنية بالآجر . والظاهر أن هذه الزخارف كانت حلية داخل البيوت، وإن لم تعرف كيفية وضعها الأصلى، وهل كانت جوانب القيعان كلها مكسوة بها، أو كانوا يقتصرون فقط على اتخاذها بقواعد العمد والطرز وغيره[١] ؟



(شــكل ٥٥)

(١) لم يساعدنا الحظ على العثور على مجموعات وافية من قبيل ماعثر عليه مسيو هرزفلد فى سامرا (راجع *Erster Vorläuf. Bericht.* Pl. XI). وربما كانت القطع التى وجدناها من هذا النوع قليلة ، فالمظنون أن هذه الزخرفة كانت نادرة . و يلاحظ فى بعض المواقع على جدران القيعان ، طلاء مصقول خال من الزخرفة . ولا يبعد أن يكون هذا هو النوع الذى كان عاما بالفسطاط .

وعلى كل حال، فان النموذج الذى عثر عليه يشابه أول طرز وجد من هذا القبيل بمدينة سامرا، (شكل[١] ٥٦ وشكل[٢] ٥٧) لأن الزخرفة وطريقة الصناعة، فى مصر والعراق، قائمة على أصول واحدة .



(شــكل ٥٦)   (شــكل ٥٧)

وهذه الروح توجد فى زخارف الجامع الطولونى ، وان كان مسيو هرزفلد يؤكد بأن صناعتها مصرية بحتة (bodenständig)[٣] . وهى فكرة تناقضها مكتشفات مسيو ڤيولليه وهرزفلد نفسه، لأنها تنفى أن أصل هذه الزخارف شرقى . ومع ذلك فان زخارف الفسطاط تنطبق عليها استنتاجات مسيوفلورى فى بحثه عن زخارف جامع ابن طولون، أعنى بذلك أن الزخرفتين جميعا من مظاهر الفن العباسى فى القرن التاسع، وليست قاصرة على جهة أو إقليم[٤] . ومما ينبغى التنبيه اليه، أن ما وجد على هذا النحو، من بقايا الزخارف بالفسطاط، لا يزال قليلا، وكان متفرقا بين الانقاض بشكل يحط من قيمة كل استنتاج، يترتب عليه، فى تعيين تاريخ المبانى . وإنا نأمل أن نصل بعمليات الحفر الآتية، الى ما يكمل معلوماتنا فى هذا الموضوع .

---

(١) نقلا عن *Erster vorläufiger Bericht* Pl. XI et XII تأليف هرزفلد .

(٢) نقلا عن « حفريات سامرا فى العراق وأحد القصور الاسلامية من القرن التاسع عشر » . تأليف هـ . فيولليه (H. Viollet *Fouilles à Samarra en Mésopotamie.—Un palais musulman du dix-neuvième siècle.* Pl. X et XI). لوحة ١٠ و ١١ المندرج ذلك فى (*Mémoires publiés par l'Académie des Inscrip. et Belles-lettres*) المجلد ١٢ قسم ثان سنة ١٩١١) .

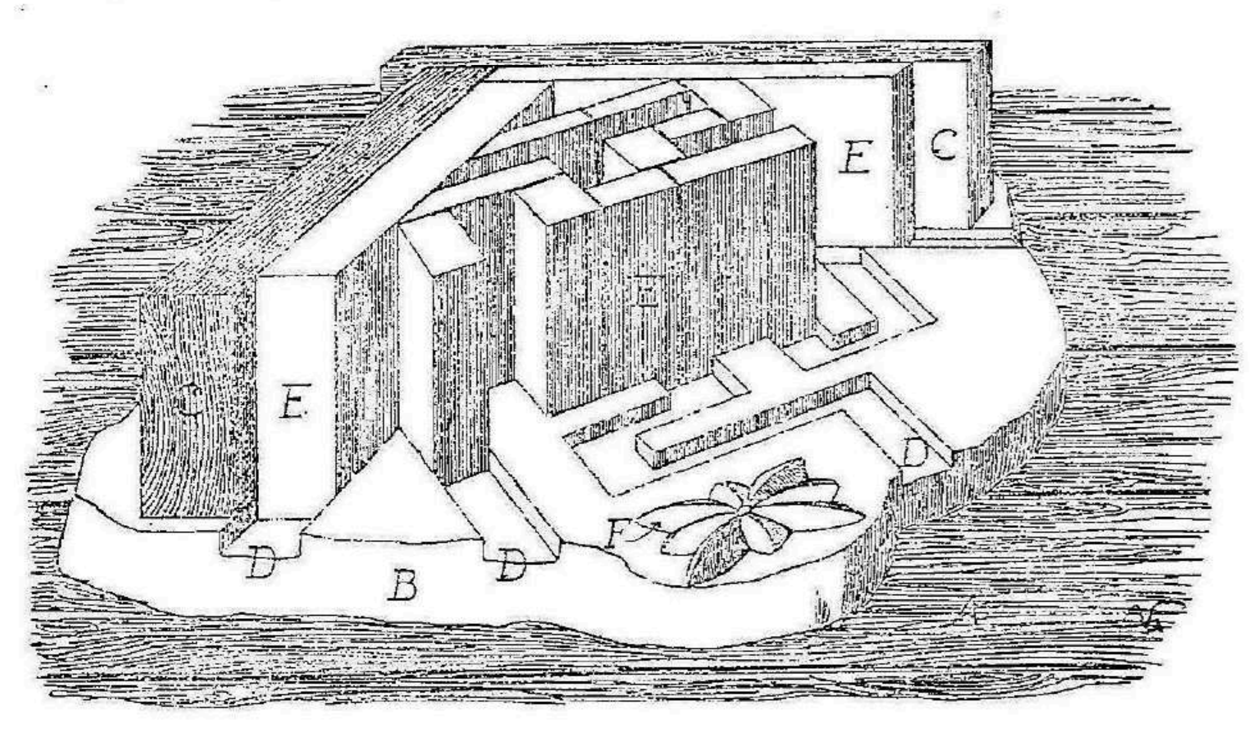
(٣) راجع ما كتبه هرزفلد بعنوان « مصادر الفنون الاسلامية وقصر المشتى » *Genesis der Islamischen Kunst und das Mshatta-Problem* فى مجلة « الاسلام » (*der Islam*) الصادرة بستراسبورج سنة ١٩١٠ ص ٤٧

(٤) راجع ما كتبه س . فلورى عن « سامرا و زخارف جامع ابن طولون » *Samarra und die Ornamentik der Moschee des Ibn Tūlūn* فى مجلة « الاسلام » (*der Islam*) المتقدم ذكرها سنة ١٩١٣ ص ٤٢١ و ٤٣٢

٣ – الكسوة بالجص والآجر

الغرض من هذه الكسوة، التي جمع فيها بين الجص والآجر على شكل غريب، مغاير للغرض من الكسوة المتخذة من الجص ، وقد وجدت بعض قطع من هذا النوع كبيرة الحجم : منها ما يبلغ طوله أكثر من المتر، ومنها ما يزيد ثقله على الستين كيلو جراما . وهو دليل على أنها كانت مستعملة فى بعض الأبنية بالمحل الذى وجدت فيه . ويصح أن نقول، عن القطع المرسومة فى اللوحة ٢٢ رقم ١ (شكل ٥٨) والتى وجد منها عدد كبير فى الدار السادسة ، أنها من زخارف هذه الدار . أما القطع المرسومة فى ذيل اللوحة ، فانها من الدار الخامسة . وقد لوحظ بين القطع المجموعة، من عدة جهات، من مناطق الحفر، أن صناعتها مختلفة كما سنبينه فيما بعد . ولكن الأصل فى تركيب هذه الزخرفة بقى على حاله . ولما درس مسيو ﭼاكو بستهل حالة الزخارف فى تربة مؤمنة خاتون فى ناختشوان، وهى زخارف مصنوعة

(شكل ٥٨)



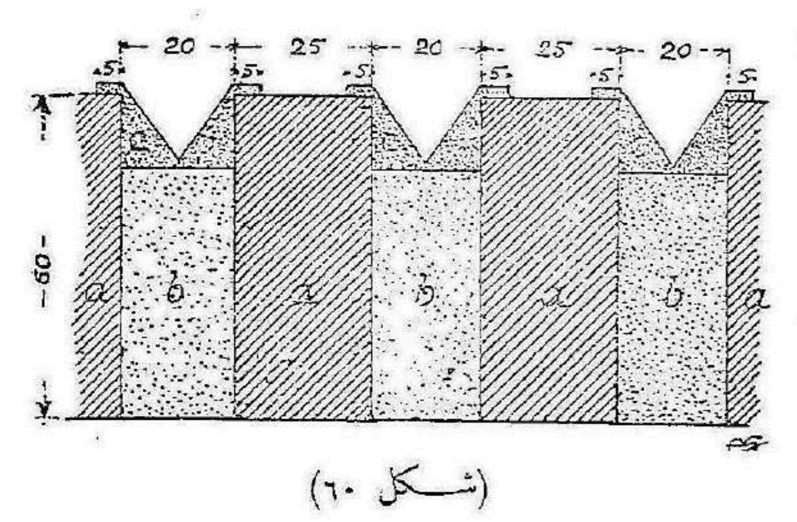
(شكل ٥٩)

على ذلك النمط، تصور أنه اهتدى الى طريقة[1] عملها، فقال : انهم كانوا يتخذون صناديق من الخشب يخططون فى أرضيتها الرسم المطلوب، ويحيطون هذا الرسم بحشوات أو قطع من الخشب، ثم يملأ الفراغ بالآجر، ويصب الجبس، فتتكون القطعة المطلوبة .

وهذه الفكرة تظهر كأنها عملية لمن لا يمعن النظر فيها . أما نحن، فانا نرى أن طريقة العمل كانت أبسط من ذلك ، إذ من الممكن الاستغناء عن عملية الأخشاب هذه . وقد بينا فى (الشكل ٥٩) الطريقة التى كانوا يتبعونها، فكانوا يضعون على مستوى *A* طبقة من الجبس *B* يحكمون تسويتها ، ويخططون عليها الشكل المطلوب . ويحدثون فى الجبس وهو طرى الفراغ *D, D* بالأزميل، ويلبسون فيه قطعا من الآجر ويحيطون الحشوة بالألواح *C, C* ثم يصبون الجبس خلال الطوب *b* . واذا أريد الحصول على نقوش غائرة فى الجبس طبعوها بقوالب بارزة مثل *E* . وهذه الطوابع كانت تستعمل عدة مرات[2] وتبلغ ثخانة الحشوات بعد تمامها من ٦ الى ١٠ سنتيمترات .

والظاهر أنهم كانوا عند ما يبنون الجدران يعدون فى البناء الفراغ اللازم، لتركيب هذه الحشوات فيه .

ولا يمكن تعيين المحل الذى كانت تركب فيه هذه الحشوات إلا البعض منها فانه كما تراه مخلف من بعض العقود



(شكل ٦٠)

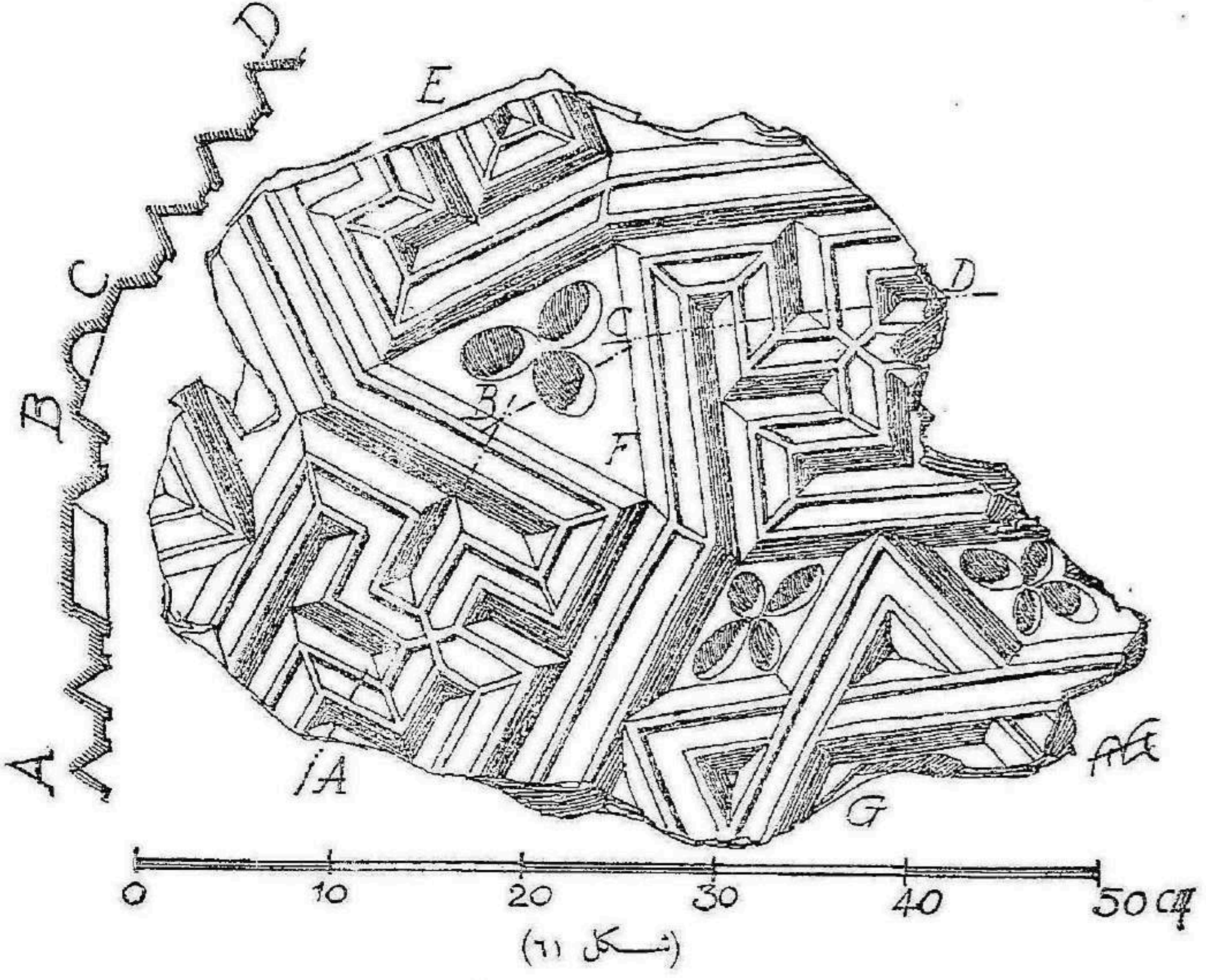
(الحنايا) . واذا لاحظنا أن الجدران الواقعة على الطرق، كانت تترك عارية وتكحل فقط كما ظهر فى عمليات الحفر، وضح أن هذا النوع من الزخرفة كان مناسبا لهذه الجدران . وكانوا يتخذونه فقط حول باب الدخول أو على هيئة طرز .

(١) راجع ما كتبه D. Jacobstahl فى "البناية فى القرون المتوسطة بنخشوان" *Mittelalt. Bauten von Nachtschevan* — برلين، سنة ١٨٩٩

(٢) ومن الواجب علينا أن نذكر أن بيان ما كانت عليه هذه الطريقة الفنية التى اندثرت الآن، يرجع الى أحد المعلمين المصريين الأسطى أمين شافعى من المقاولين الذين يشتغلون فى ترميم الآثار العربية ؛ فانه صنع بحضورنا قطعة من زخرفة لا تختلف عن القطع التى وجدت فى الفسطاط فى شيء مطلقا .

واذا رجعنا الى تفاصيل الصناعة وشكل الزخارف الهندسية ، نجد أن القطع المودعة بدار الآثار العربية، من هذه الزخارف، تدخل تحت أنواع عديدة :

النوع الأول (لوحة ٢٠ رقم ١ و ٢ ، ولوحة ٢٢ رقم ١ شكل ٥٨) يشمل النماذج التى تفوق غيرها باتقان صناعتها (شكل ٦٠) وكانت حشواتها تعمل من الآجر a ، وتجمع بالجبس b ، ثم يجعل بين كل طوبتين لحام على هيئة V ، بارز عن الآجر بصفة حلية لا يزيد عرضها عن بعض ملليمترات . وتحتوى الحشوة على نجوم ذات ثمان شعب غائرة ، تتبادل مع التعاريج والمشبكات، ملونة بطونها بمغرة حمراء، تقرب من لون الآجر .



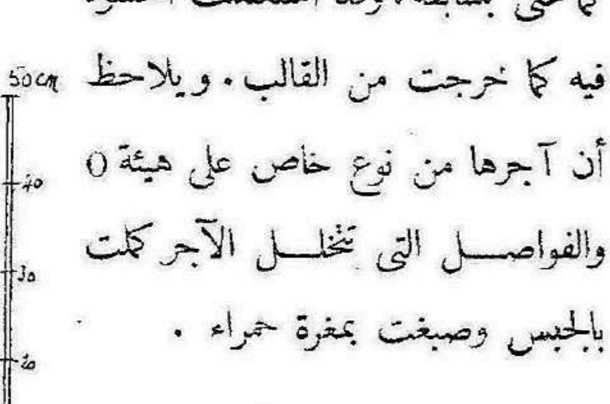
(شكل ٦١)

وفى اللوحة ٢٢ رقم ١ ، رسمنا قطعتين لا شك فى أنهما مخلفتان من زخرفة بعض الحنايا، لأنه يمكن معرفة مقاس وتر المنحنى من القطعة المخلفة من الجانب الأيسر، فاذا اعتبرناه قوس دائرة يكون وتره قريبا من ٢,٢٠ م .

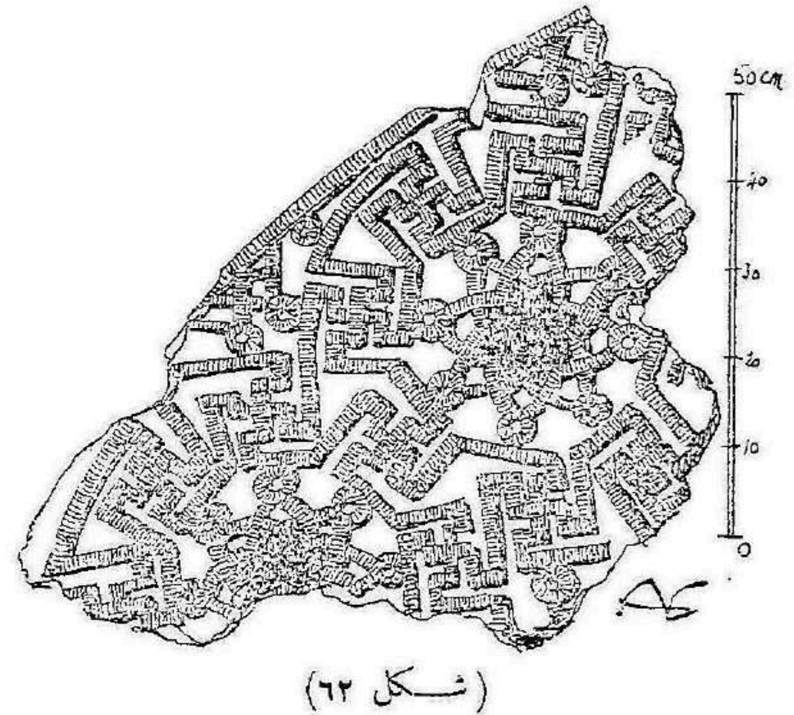
والقطعة الباقية من الطراز (لوحة ٢٠ رقم ٢) التى تكلمنا عليها فيما سبق (فى الباب الرابع، الدار السادسة)، يجب عدها من هذا النوع . ونمرة ١ من اللوحة العشرين، مصنوعة بهذه الطريقة . ولكن على أسلوب تنوعوا فيه، فأدخلت فيه الجفوت والمنحنيات وركبت فى بعض التجاويف محارة من الصدف .

وقد وجدنا بجانب هذه الحشوات قطعة من زخرفة، كانت تكسو الجانب الأيسر من عقد (شكل ٦١) . ومن القطاع ABCD، يعرف أنها كانت مركبة على سطح منحن . ويتكرر هذا الانحناء فى اتجاه EFG . ولا شك أن هذه القطعة كان موضعها ببطن عقد أحد الأبواب، أو على عقد حامل لبعض الموردات .

النوع الثانى (لوحة ٢٢ رقم ٢ شكل ٦٢) : شكله بسيط وصناعته لم يعن بتفاصيلها



كما عنى بسابقه . وقد استعملت الحشوة فيه كما خرجت من القالب . ويلاحظ أن آجرها من نوع خاص على هيئة ٥ والفواصل التى تتخلل الآجر كملت بالجبس وصبغت بمغرة حمراء .



(شكل ٦٢)

والطراز المرسوم فى اللوحة ٢٠ رقم ٣، ومبدأ عقد الحنية (الطارة) فى اللوحة ٢١ رقم ٤، يتبين منهما أنهما مصنوعان بهذه الطريقة نفسها .

النوع الثالث (لوحة ٢٣ رقم ١ و ٢) : الصناعة لم تتغير وفى رسم الآجر أجزاء كثيرة ناقصة ولحامات عديدة بالجبس . وقد ساعدت كثرة استعمال الآجر المتخذ على أشكال منحنية فى تنويع وتعقيد الرسوم الى الغاية . وعلى هذه القطعة بقية كلمة كوفية تتعذر قراءتها، ولكنها تدل على عهد صنعها (اللوحة ٢٣ رقم ٢) .

النوع الرابع (لوحة ٢٣ رقم ٣) : رسمه بالتقريب من نوع سابقه ، ولكن الصناعة تختلف ، لأن الحشوة كانت برجل حنيتين متجاورتين . وكلها متخذة من الجص، ما عدا حدود العقدين فانها من الآجر .

ولا شك أن هذه الزخرفة، كانت تجاورها فتحتان مزدوجتان . واذا قيس الوتران وقوساهما وجد ان نصف قطرة الدائرة ٠,٣٠

ولو فرضنا أن المحور موجود على مقربة من نصف الدائرة، فيكون أكبر سعة للفتحة ٠,٦٠

والكسوات التى ذكرناها، واذا كانت بسيطة، فانها ترجع الى نفس الأصل الذى تولدت عنه الزخارف الملونة فى بلاد أشور وفارس، المشاهدة فى الألواح المربعة المدهونة بالمينا بقصر خرزباد، وفى نقوش الاپادانا بسوس .

وفى المدينتين المذكورتين ، كانوا يقصدون أن لا يبقى الجدار عاريا، ليخفوا تحت ستار ملون حقارة البناء المتخذ من الآجر[١] .

أما الصناعة فى الفسطاط، فكانت بسيطة، فلم يستعمل فى الزخرفة غير لونين : لون الطوب الأحمر الداكن، والأبيض الجصى . ولا شك أنهم كانوا يقصدون بذلك الاقتصاد فى النفقة ، وسهولة العمل . وقد نشأت هذه الطريقة فى بلاد فارس، وراجت فى جميع البلاد الاسلامية، لأنها دخلت منذ القرن التاسع فى بلاد الأندلس . وكان قصر مدينة الزهراء، محلا بزخارف من قبيل الموجود فى الفسطاط، مؤلفة من الحجر الأبيض، والآجر الأحمر، على هيئة تعاريج ومشبكات[٢] .

---

(١) هذا التأثير العراقى ، الذى أشرنا الى بعض ظواهره فى غير هذا الموضع ، تدل عليه بعض فقرات واردة فى كتاب الانتصار لابن دقماق . قال عن زقاق الريش (ج ٤ ص ٢٢) : هو الزقاق الذى فيما بين دار ابن عشرات ، والدار المعروفة بأبى عبد الله بن طاهر وفى أوله الدار المعروفة بابن بزال ، ذات الباب العراقى وفى ص ١٠ من الجزء المذكور: وولى عبد الله بن طاهر مصر من قبل المأمون فقدمها سنة احدى عشر ومائتين ، فأقام بها شهورا ، ثم انصرف الى العراق فى هذه السنة . وقد ورد ذكر الدارين ، دار ابن عشرات ، ودار أبى عبد الله بن طاهر ، عند ذكر الآدر المشهورة بالفسطاط ، من عهد عمرو بن العاص الى العصر الطولونى . وقد نقل ذلك عمن سبقه . والظاهر ، أنه لم يشاهدها . ولا يبعد ، أن تكون دار ابن بزال ، وبابها العراقى ، من عهد ابن طولون أو قبله .

(٢) راجع ما كتبه ريكاردو ڤيلا سكوز بوسكو بعنوان «مدينة الزهراء العامرية» *Medina Azzahra y Alamiriya* طبع مدريد سنة ١٩١٢ ص ٥٨ شكل ١٦ ، لوحة ٢٤ .

وهذه الطريقة، استمر العمل بها فى البلاد التى نشأت فيها . من ذلك تربتا مؤمنة خاتون، ويوسف بن كثير، اللتان أقيمتا فى القرن الثانى عشر بنخشوان . وهما من الأدلة على الرقى الذى بلغته هذه الصناعة بمساعدة التلوين[١] .

على أنه ليس من السهل، أن نؤكد القول، بأن هذه الطريقة التى جروا عليها فى زخرفة المبانى بالطرز وفى تحلية الحنايا، بالجمع بين الآجر الأحمر، والجص الأبيض، عمت سائر مبانى الفسطاط، أو أن ما وجدناه هو من الاستثناءات، لأننا لم نجد له أثرا فى جامع ابن طولون، ولا فى الأبنية الفاطمية المشيدة بالآجر، التى ترى فيها الجدران مكسوة من الخارج والداخل بالبياض . ومن جهة أخرى، فان استعمال الحجر بدل الآجر فى أبنية القاهرة، منذ العصر الفاطمى، قضى بطبيعة الحال على هذه الطريقة[٢]، هذا من حيث صناعة البناء . ومن ثم يظهر أن طريقة البناء هذه شرقية المصدر، فان الزخارف التى عثرنا عليها بالفسطاط، مأخذها الزخارف الهلينستية دون غيرها، أعنى بها الزخارف التى كانت منتشرة فى البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط الى أقصى حدود مملكة الاسكندر . مثال ذلك : الزخرفة الجصية المرسومة فى (الشكل ٥٨) فانها من الطرز المعروف المكون من المشبكات والصرر الثمانية الشعب .

وهذا الرسم، كان متداولا عند الأقباط، ودليلنا الحشوة الخشب المحفوظة بالمتحف المصرى، (شكل ٦٣)[٣] . وهى قطعة قال عنها مسيو سترزيجوسكى، أنها من القرن السادس أو السابع المسيحى، وهى منسوجة على منوال الزخارف الهللينستية .

---

(١) راجع ما نشره ف . سار F. Sarre فى مجلة «الأبنية الفارسية» *Denkmäler persischer Baukunst* لوحة ١ ص ٣، وراجع أيضا ما نشره (D. Jacobstahl) فى الكتاب السابق ذكره .

(٢) ربما يكون هذا الأسلوب الأنيق، الذى استعمل فيه الآجر على أشكال بسيطة، له بقية هى التى نشاهدها فى بيوت رشيد التى ترجع الى القرن السادس عشر . (راجع تقرير هرتس بك عن مأموريته فى رشيد، فى مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية، كراسة ١٣ سنة ١٨٩٦ ص ٥١ وما يليها) . ولا شك، أن طريقة العمل بها، أصبحت أقرب الى البساطة، فاتخذت الزخرفة من وضع الآجر على هيآت مخصوصة، من ألوان مختلفة، وكحلة الحامات بمونة بيضاء ناصعة، بارزة قليلا عن وجه الجدار .

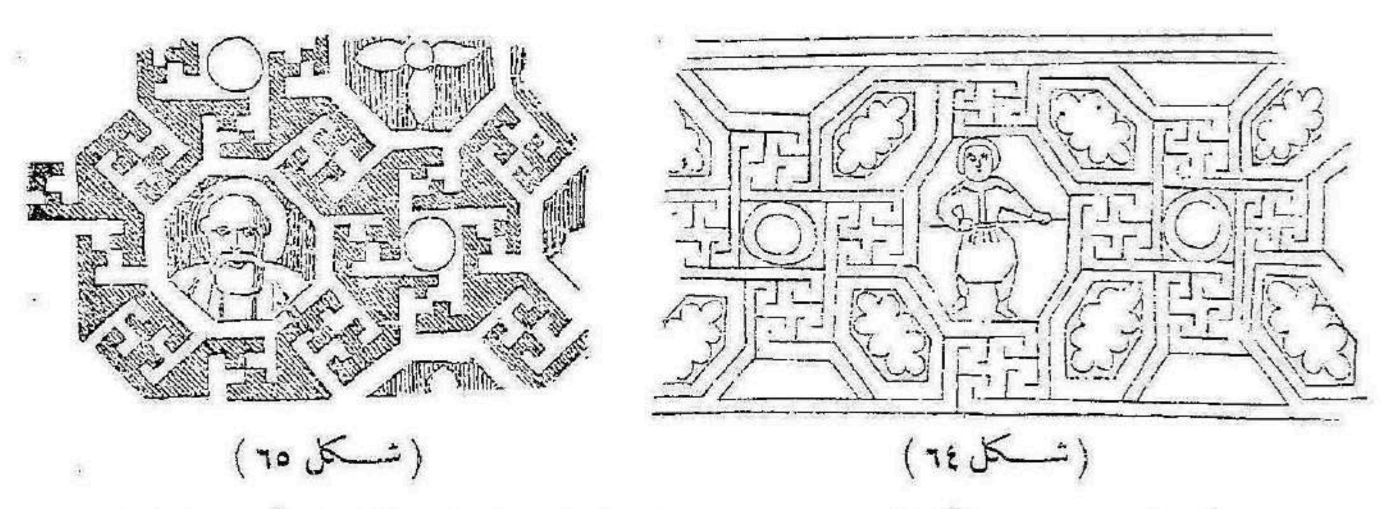
وقد ذكر مسيو سومرس كلارك، وجود عقد مكندج زخارفه متخذة من طوب أحمر غامق وحامات بيضاء على أشكال هندسية فى دير العذراء باخميم راجع «الآثار المسيحية فى وادى النيل» (*Christian Antiquities in the Nile Valley, p. 144*) ولا يعلم التاريخ الذى يرجع اليه هذا العقد .

(٣) توجد زخارف من هذا القبيل فى «الفن القبطى» (*Koptische Kunst*) لاسترزيجوسكى شكل ٩٠ و ١٨٧ وفى «الآثار القبطية» (*Coptic Monuments*) لكروم (Crum) لوحة ٥٣ و ٩٠ و ٩١ و «كنيسة وجبانة بويط» لكليدا (Clédat) لوحة ١٢ و ١٤ و ١٥

وفى نقوش بويط ، (شكل ٦٤)[١] ، ودير القديس سمعان (شكل ٦٥)[٢] ، توجد زخارف من هذا القبيل مكونة من أشكال مماثلة ، وفى وسطها شكل مثمن الزوايا . والنموذج الذى رمزنا له بحرف ا (شكل ٦٢) ، مقتبس من ذلك . ولا يختلف عن زخرفة اسوان إلا فى أن الصورة التى فى الوسط مستبدلة بنجمة ذات ثمانى شعب وأن القطعة كلها على شكل حنية مكندجة[٣] .

(شكل ٦٣)

مما تقدم ، يظهر أن العرب وجدوا فى أرض مصر ، وقت الفتح ، بعض الأشكال الهندسية من هذا القبيل ، فتوسعوا فيها بما أوتوه من ملكة التصور والذوق . ولكن ذلك لا نعده



(شكل ٦٥) (شكل ٦٤)

دليلا على أن العرب قلدوا الأقباط دون غيرهم ، فان التقاليد اليونانية لا يزال أثرها باقيا فى بلاد فارس والعراق وسوريا ومصر .

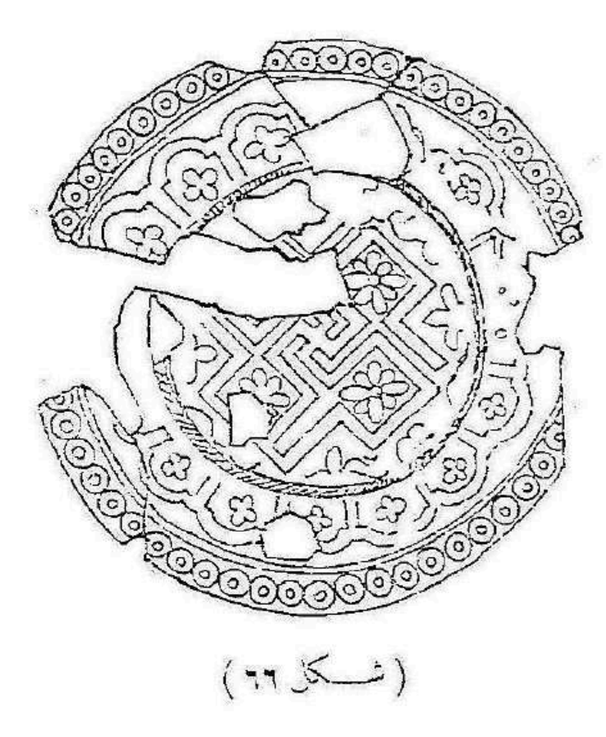
وإذا كانت الزخارف الجصية المكتشفة بسامرا بها أثر من التقاليد الشرقية ، فان هناك زخارف أخرى اكتشفت بها ، تثبت انتشار الزخارف التى فيها مميزات الفن السكندرى فى أنحاء

(١) على ما أورده كليدا فى الكتاب السابق لوحة ٦٥

(٢) عن جاييه فى " الفن القبطى " ص ٢٨٤ وبراجع أيضا «فهرست آثار وكتابات مصر القديمة» ج ١ ص ١٣٥

(٣) توجد فى الآثار القبطية عقود مكندجة بها مشبكات ونجوم ذات ثمان شعاب ورسوم ملتوية (راجع «حفريات بويط» لشاسينا لوحة ٣ و ٤ و ٥٨ و ٧١ و ٧٦ و ٩١ وكليدا فى الكتاب السابق ذكره لوحة ٥٨

العالم الاسلامى . ومن الأمثلة التى نذكرها قطعة من الفخار (شكل ٦٦)[1] ، فان لحمة الرسم فيها كما فى حشوات الفسطاط مشبكات وصرر ذات ثمانى شعب .



(شكل ٦٦)

على هذا المنوال ، كانت البلاد التى دخلت فى حوزة المسلمين لا يزال موجودا بها وقت الفتح ، ما يكفى من التقاليد الهللينستية الحية ليتخذه العرب مرشدا فى خطواتهم الأولى . وهذه التقاليد هى التى بقيت قاعدة أساسية للفن الاسلامى . وهى التى تفسر لنا كيف وجدت هذه المجانسة التى تعم المصنوعات العربية فى ذلك المجال العظيم الذى انفتح لهذا الفن .

وما ذكرناه من الزخارف ، سواء كان من الجبس المصبوب فى القالب أو المؤلف من الجبس والآجر ، لا يمكن اعتباره ، بالنظر لقلة عدده بالنسبة لاتساع منطقة الحفر ، نموذجا عاما لزخارف مدينة الفسطاط . ولكنه ربما ساعد على تعيين تاريخ الأبنية التى أخذ منها على وجه التقريب .

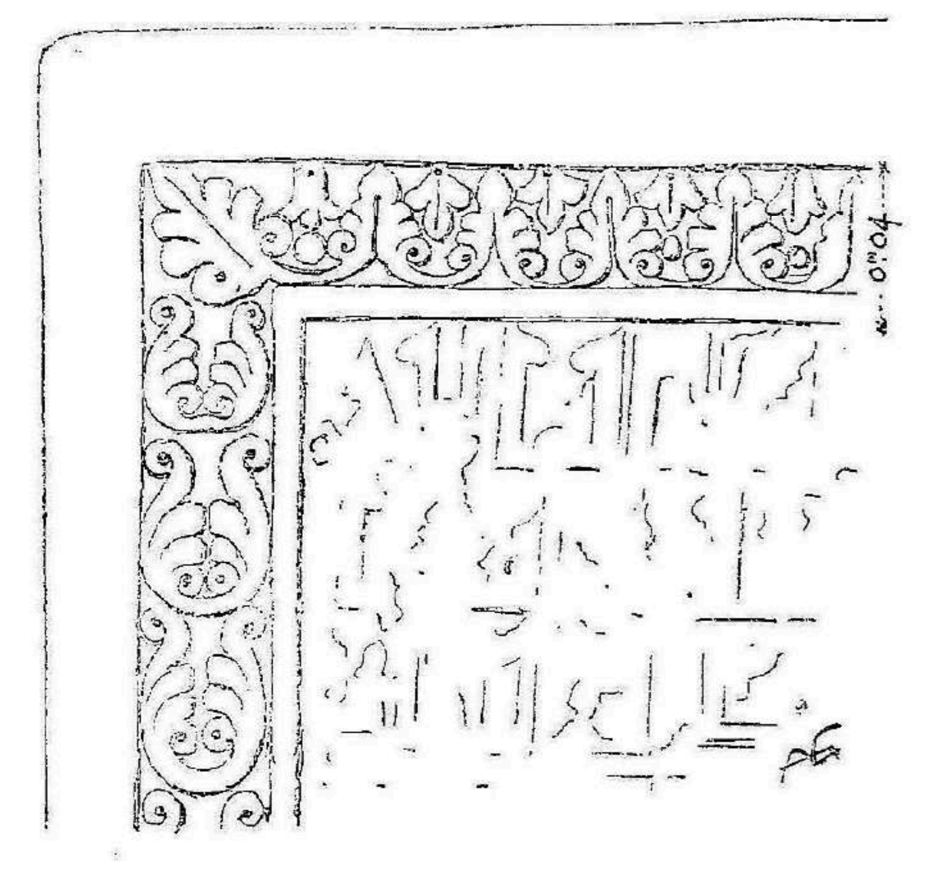
أما الزخارف الجصية ، فلا مشاحة فى وجود الشبه التام بينها وبين أول طرز لزخارف سامرا . ولذلك نعدها من النصف الأول من القرن الثالث الهجرى . ويوجد بدار الآثار العربية بالقاهرة ، شاهد مؤرخ سنة ٢٤٣ هجرية (٨٥٧ ميلادية) شكل ٦٧[2] ، محلى باطار من هذا الطرز ، ولكنه أحط منه فى الرسم . وهناك شواهد أخرى مؤرخة سنة ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٠ هجرية[3] . وأما الزخارف الهندسية ، فان هناك من بعض القرائن ما يبعث على الظن بأنها متأخرة قليلا .

---

(١) نقلا عن "سار" عن «اللقايا التى عثر عليها بسامرا وأهميتها للفن الإسلامى فى القرن التاسع (الثالث الهجرى)» *Die Kleinfunde von Samarra und ihre. Ergebnisse für das islamische Kunstgewerbe des 9. Jahrhunderts ds. Der Islam.* Strassburg, 1914, Tafel 3, fig. 5.

(٢) هذا الشاهد محفوظ بدار الآثار العربية تحت رقم ٣٩٠٤

(٣) بدار الآثار العربية تحت رقم ٢٩٥٣ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤



(شـــكل ٦٧)

(شـــكل ٦٨)

وأقدم شاهد عرفناه من طرز هندسى (شكل ٦٨) مؤرخ سنة ٣٠٧ هجرية (٩١٩ ميلادية) . وآخر من سنة ٣١٣ [١]

ولكن هذا التقريب ضعيف، وفضلا عن ذلك، فان الفرق فى الصناعة بين الزخرفة بالجص والزخرفة بالآجر والجبس، يكفى وحده للبرهنة على اختلاف قواعد الرسوم .

ولقد مر بنا من جهة أخرى، أن الأقباط لم ينقطعوا عن استعمال الأشكال الهندسية على الطريقة الهالينستية . وأنها فى سامرا كانت معاصرة للزخرفة الزهرية . ولما كشفت فتحات إيضار الخارجى، من عهد قريب بجامع ابن طولون، وجدت عليها شبابيك زخارفها هندسية من الجبس المفترغ . وكذلك، الحنايا بهذا الجامع، مزخرفة بنقوش على هيئة الغصون الملتوية، على نسق لطرز سامرا الثانى . ومن ذلك يتبين، أن الطريقتين كانتا معمولا بهما، فى آن واحد، منذ العصر الطولونى .

(١) بدار الآثار العربية، تحت رقم ١٢٧٨ و ١٢٧٩

الباب الثامن

فى العهد الذى ترجع اليه الأبنية التى كشفت من الفسطاط

علمنا مما تقدم، أن خراب الفسطاط كان يمتد، على عهد ابن دقماق والمقريزى، حتى يقترب من جامع عمرو وقصر الشمع . وقد تخلفت معالم كثيرة نكاد نتلمس فيها حقيقة الحد الذى كان يفصل وقتئذ بين العامر المأهول، والخراب المهجور . ولو نظرنا الى المنطقة التى أجرينا بها الحفر (راجع الشكل رقم ١)، تظهر لأول وهلة أنها كلها من الخراب . ويدور بخلدنا، وان أعوزتنا النصوص التاريخية الصريحة، أن حدود الخراب لم يطرأ عليها تغيير كبير بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر الميلادى، وأن الخطط التى غادرها سكانها، على أيام المستنصر لم تجدد عمارتها. ولقد كانت الحركة الصناعية والتجارية، تمتد من الفسطاط، وتنتشر على شاطئ النيل، فى الوقت الذى نشأت فيه خطط جديدة على الشاطئ، بين القاهرة والفسطاط، وفى الجنوب منه الى دير الطين .

ومن ثم يظهر، أن الروايات التاريخية تكاد تدل على أن الخطط التى رفعت عنها الأتربة، بقيت، منذ القرن الحادى عشر الى اليوم، مطمورة فى التراب . وسنرى فيما بعد أن هذا الاستنتاج يتفق مع المعلومات التى كشفت عنها عملية الحفر .

فمن ذلك، أن موضع الحفر، سواء كان فى الموقع الرئيسى بالفسطاط، أو فى العسكر والقطائع، انكشف عن مبان متحدة الأسلوب، متشابهة النظام، قوامها الآجر تخلله، لحامات ثخينة، ومونة متخذة من الجير والقصرمل، أو من الجير والحمرة، وبلاط من الحجر الجيرى، وأنابيب مصنوعة من الفخار، وشباك من المجارير المنقورة فى الصخر . وإن لم يتيسر لنا فى المناطق البعيدة أن نحصل على معالم تكفى لتكوين رسم أفقى لدار من الدور، فان ما عثرنا عليه من نظام التفاصيل

المتشابه يكفى للدلالة على أن جميع المنطقة التى أزحنا عنها التراب، كان مشيدا عليها فى وقت ما أبنية أقيمت على أصول واحدة، وطراز متشابه .

فان قيل : ولماذا لا تكون هذه المبانى مخلفة من تجدّد العمارة بعد الشدّة العظمى التى حدثت على عهد المستنصر، مما لم ترد عنه اشارة فى النصوص التاريخية ؟ فالجواب : ان ذلك يقتضى وجود بنائين مثلا، أقيم أحدهما فوق الآخر مع تباين فى الوضع، واختلاف فى مواد البناء . ولكن ما اتفق لنا العثور عليه من آثار التعديل، والتحوير، أو التجديد الكلى، إنما هى أمثلة فردية متفرقة . وما كنا نجده من ذلك فى الدار الواحدة، كان يتكرر باستمرار ولا يتغير .

وقد شوهد أن لكل دار من الدور شبكة من الاقنية والمجارير، تنتهى كلها الى بئر صرف واحدة، أو عدة آبار . وهذه الاقنية والآبار، تستعمل كلها إلا اليسير فى الدور التى كشفناها، وتتبع فى اتجاهها تخطيط الدار . ولا يمكن التسليم بأن هذه الأعمال الصحية، ترجع الى عهد متأخر عن انشاء الدور . وقد التزم فى إعدادها الدقة والعناية التامة، فجاءت متداخلة فى أجزاء البناية الأصلية، محكمة الوضع والارتباط .

ومن مشاهدة مواقع الحفر، التى اندثر ما عليها من الأبنية، نتبين أهمية هذه الأعمال التى كانت مطمورة فى التراب . ولا يدل ظاهرها على أنها من تجديدات أجريت بسرعة، فى عصر انحلال وانحطاط . ولكنها مثل المبانى المتخذة لها، ترجع الى الوقت الذى كانت فيه مدينة الفسطاط زاهية زاهرة .

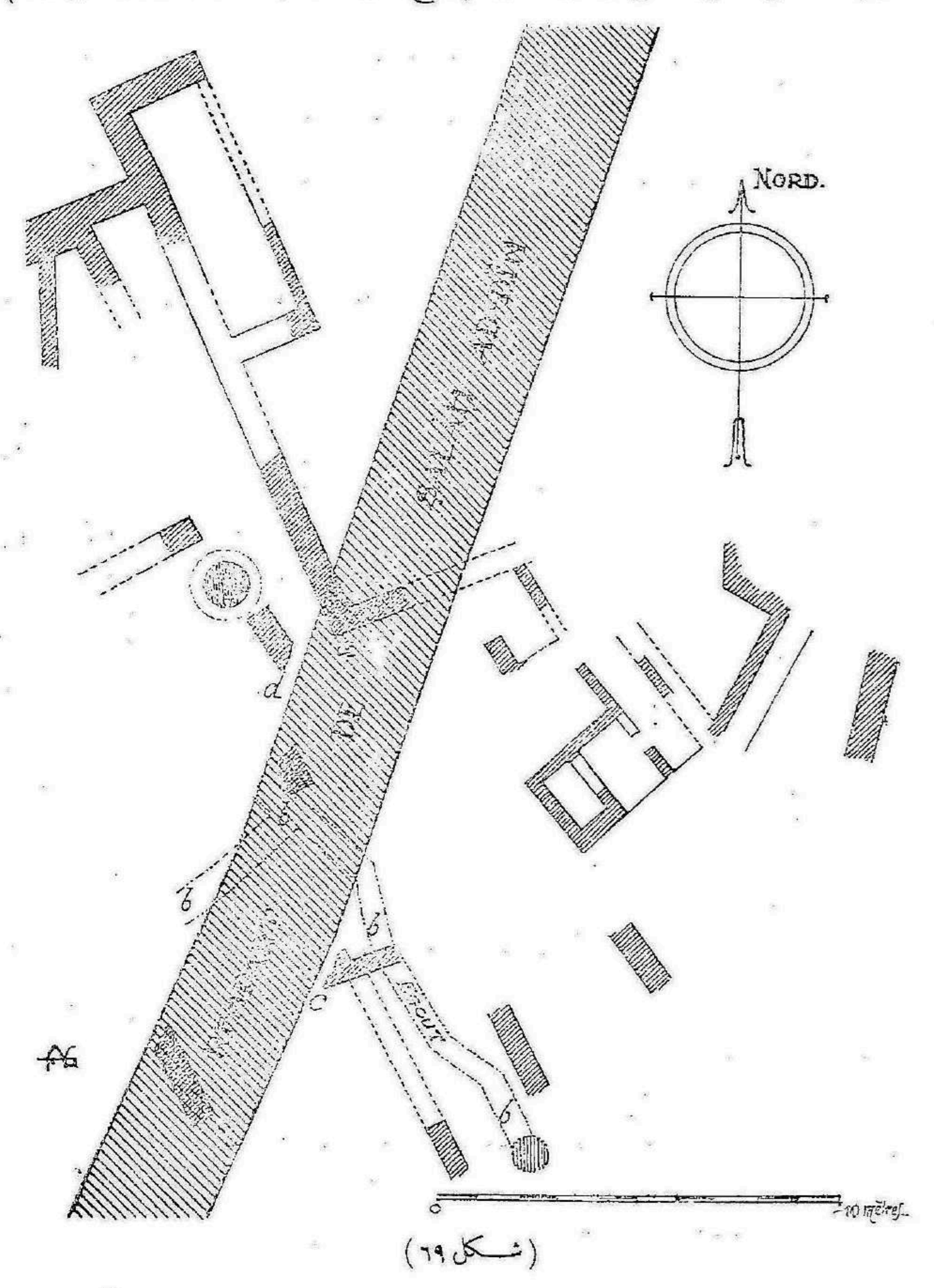
ولكى نعزز ذلك، نأتى ببرهان آخر نستمده من فحص سور صلاح الدين . وقد سبق لنا ان قلنا أن صلاح الدين رأى الضرورة قاضية بأن يبنى سورا يجمع داخله الفسطاط والقاهرة، وان أعمال الحفر أظهرت أجزاء من هذا السور، مما كان أعد لحماية الفسطاط[١] من الجهة الشرقية[٢] . وستبين فيما بعد الظروف التى وضع فيها هذا المشروع، وكيف نفذ، وندرس تفاصيل بنائه .

(١) وقد شاهدنا أن القسم المتجه من القناطر «العيون» من الجنوب الى الشمال والمنتهى الى القلعة قائم على أساس السور .

(٢) راجع كازانوفا "تاريخ قلعة القاهرة ووصفها" — القاهرة ١٨٩١ ص ٥٣٥ وما يليها وص ٥٣٧ ولوحة ٣، ويلاحظ أن مسيو كازانوفا قد تمكن بواسطة النصوص التى أوردها المقريزى فقط من تعيين تخطيط هذا السور تعيينا افتراضيا، وقد حققت الحفريات ظنونه .

ونقتصر الآن على ابداء بعض ملاحظات تساعد على تعيين تاريخ بناء الدور التى تكلمنا عنها ، فنقول :

انه بالبحث عن الطريقة التى بنى بها السور (راجع اللوحة ١٤ — ١ و ٢ وشكل ٦٩) ،



(شـكل ٦٩)

*

ظهر أنه يمر بين الدور قاطعا لها ، مخلفا على جانبيه ، بل وفى حشوه ، أجزاء من دار واحدة . كما أننا نراه يقطع فى امتداده المجرور ٨, ٨, ٨ . مما يتبين منه أن بناء السور متأخر عن بناء الدور.

ويلاحظ أيضا، أن بعض المواقع بها جدران مبنية بالآجر مقطوعة على بعد بضعة سنتيمترات من صفحتى السور (٥، ٨) ، مما يدعو الى الظن بأن الدور كانت هناك ملتصقة بالسور . والسبب فى ذلك يعرف ، اذا لوحظ أنه فى الوقت الذى وضع فيـه أساس السور كانت المنطقة التى هيئت له مهجورة ؛ فأعدت فيها الحفر اللازمة ورمى الأساس فوق الصخر، حتى امتلأت ، وهدم ما كان هناك من الأبنية المشيدة بالآجر .

وبالاجمال ، فان تخطيط السور يتفق مع هـذا الاستنتاج ، لأن صلاح الدين أراد أن يجمع بين القلعة والطرف الجنوبى من الفسطاط[1] ، وفى الوقت الذى بدئ فيـه العمل ، كانت هذه العاصمة القديمة على ما انتابها من الانحطاط لا تزال مدينة عظيمة ، تجاريا وصناعيا ، ولكن حدودها أصبحت دون ما كانت عليه فى القرن العاشر، فكانت كشريط من الأبنية عرضه يختلف ويمتد على شاطئ النيل . ولقد كان فى المشروع الذى اختاره صلاح الدين لحماية عاصمة البلاد من الهجوم المفاجئ ، أحسن حل وأيسره اقتصاديا، مع مناعة من الوجهة الحربية ، لأن مد السور مستقيما من القلعة الى الكوم الأحمر كان جامعا مايلزم من كل الوجوه .

ولقـد كان من العبث، أن يشيد السـور على حدود الخراب، فيطول كثيرا بلا جدوى . وكان بين السور والخطط المأهولة بالسكان أرض براح تملؤها الأبنية المتخربة شبيهة بالپومريوم ، أى حرم النطاق الحربى عند الرومان .

ومن ذلك يظهر، أن أساس السـور كله أقيم فى الخراب، وان الاطلال التى تتخلل أرضه كانت تتكون منها تلال مرتفعة . وفى الواقع، أننـا اذا رسمنا امتداد السور على حقيقته، نجده

---

(١) قال مسيو كازانوڤا إن هذا العمل بدئ فيه سـنة ٥٧٢ هجرية لأن هذه السنة أقرب الى الحقيقة التاريخية من سـنة ٥٦٦ التى أوردها المقريزى (أنوف ص ٣٧٩) وقد بنى ملاحظته على أن مثل هـذا المشروع « لم يكن من الممكن أن يفكر فيـه إلا من كان مستبدا قوى السلطان كما كان فى سـنة ٥٧٢ سلطان دمشق الجديد حليف زعيم الفدائيين» (راجع كازانوڤا فى الكتاب السابق ذكره ص ٥٣٨) .

فى جملة مواقع قد خرج كثيرا عن استقامته، وظهر فيه ازورار واضح دعا اليه كما نعتقد وجود كيان على مقربة، وتركت كما هى، لأن محاولة ازالتها لتهيئة الأرض الى الصخر فيها، كان يكلف عناء كبيرا ومشقة عظيمة . ومن البداهة، أن يختار بناء السور فيما بين التلال من الفجاج حيث لايحتاج العمل إلا الى نقل أقل مقدار ممكن من التراب .

وزيادة على ذلك يوجد فى صفحتى السور، اختلاف جوهرى فى بنائهما لأن الصفحة الخارجة، مبنية من مبدأ الأساس، بالحجر الجيد النحت، مداميك منتظمة، محدبة الوسط "بقجة"، ومحاطة باطار "تبويض أو ميه" على مثال السور الشمالى الشرقى لمدينة القاهرة[1] . ولا شك ان هذا الجانب، كان موجودا به خندق يمنع ميله الطبيعى الوصول إلى السور. أما الصفحة الداخلية، فانها مبنية بالدبش الذى يكاد لا يكفى لمقاومة دفع الأحجار المحشو بها السور، وانما كانت تستند الى التلال التى قامت الشواهد على أنها مخلفة من عهد صلاح الدين .

والآن وقد انتهينا الى هذا الحد، يلاحظ أننا قد تركنا جانبا الكلام على بقايا الخزف وغيرها، مما عثر عليه فى أثناء الحفر . وذلك، لأننا عقدنا العزم على أن نفرد لها بحثا خاصا . واذا كنا قد بينا فى مقدمة هذا الكتاب، أن هذه الكيمان تكونت على وضع لا يساعد على استنتاج معلومات قيمة من هذه البقايا، فكذلك لم يأت فحص المجموعات العديدة، من البقايا التى دخلت دار الآثار العربية، بما ينفى استنتاجاتنا العامة التى أوردناها . والواقع، أن البقايا التى ترجع الى ما قبل العصر الفاطمى، وبعض المصنوعات الفاطمية، قد يمكن التسليم بأنها من مخلفات الدور التى وجدت فيها ، وأن كثيرا من بقايا الخزف الفاطمى وغيره، من المصنوعات المخلفة من الدولة الأيوبية، وعصر المماليك، معلوم أنه منقول الى الكيمان من الجهات المجاورة التى كانت لاتزال معمورة .

ومما تقدم يستنتج، أن زمن المستنصر، هو العهد الذى ينتهى اليه أحدث الدور التى تكلمنا عليها، وما عداها وهو الأغلب، يرجع الى عصر أقدم من ذلك . وعلى الأخص، الى زمن العباسيين والطولونيين . وفى عهدهما بلغت مدينة الفسطاط الغاية فى الزهو والثراء .

(١) غربى وقبلى برج الظفر . ولأجل البحث فى سور صلاح الدين يلزم القيام ببعض تحريات خاصة فى هذه المنطقة حيث تم رفع الكثير من الأتربة .

وإذا حاولنا أن نجمل البحث، ونرجع بعض المبانى الى أزمنة معينة . فخير لنا أن لا نفعل، لأننا لم نزل نجهل معالم منازل العرب الأولى فى الفسطاط . ولكن مجال التخيل واسع، فى أن الدور التى اتخذها العرب بها على عهد الفتح، كانت دورا موقتة، فلم تدم طويلا . ثم على عهد بنى أمية ، أخذ فى انشاء الدور المشيدة (١) . ولا يمكننا الآن أن نعين المادة التى كان يبنى بها ؛ هل هى اللبن ؟ أو الآجر؟ وغاية ما وصلنا اليه بالمقارنة، بين أبنية الفسطاط وأبنية سامرا التى أنشئت فى سنة ٢٢٧ هجرية (٨٤٢ م) وجامع ابن طولون ، ومن تشابه الزخارف التى كانت تتخذ فى واجهات بعض الدور بالفسطاط ، بالزخارف المنقوشة على بعض شواهد القبور ، التى من القرنين الثالث والرابع الهجرى ، يمكننا أن نقول أن معظم أبنية الفسطاط هى من عصر الدولتين العباسية والطولونية . وليس فى وسعنا الحكم، بأنه لا يوجد بينها ما يرجع الى أقدم من زمن هاتين الدولتين ، أو أن يكون وقع فيه اصلاحات، أو تجديدات ، أدخلت على طرزها الأصلى تعديلات جديدة . ولكن التزام ما كانت تمليه التصورات الأصلية ، والعمل بنفس الطرق القديمة ، لم يطرأ عليه أى تغيير ظاهر، إلا فى القليل من التفاصيل . على أن ما اهتدينا اليه من المعلومات فى هذا الباب ليس بالكثير ، ولا يمكن أن يكون له الأثر الذى يساعد على ترتيب الأبنية بأنواعها ترتيبا تاريخيا صحيحا .

---

(١) الباب الذى خصصه ابن دقماق للدور (ج ٤ ص ٥ وما يليها) مبنى كله على روايات من سبقه . وقد ذكر فى هذه الروايات، ان كثيرا من الدور تخلف من عصر النبي عليه الصلاة والسلام . وفى ذلك شيء من المبالغة ؛ وكل ما يمكن قوله ان بعض الدور التى ذكرت فى هذه الروايات أقيمت فى القرن الأول الهجرى ، وبنيت بمواد تقوى على المقاومة .

بيان اللوحات الملحقة بهذا الكتاب

اللوحة الأولى — منظر الفسطاط مأخوذ من كوم غراب، فى صدره بقايا الكيمان . ووراء ذلك، الموقع الذى تم فيه التنقيب . وفى الجوف، المقطم والقلعة ومدرسة السلطان حسن على بعد .

اللوحة الثانية — (١) نقل السباخ المستخرج من موقع الحفر، على ظهور الجمال . (٢) إحدى مناطق الحفر بكوم غراب، تتخللها جدران اكتشفت مبنية بالآجر . وعلى اليسار عمال يغربلون التراب، لفصل السبخ، وفرز القطع الأثرية .

اللوحة الثالثة — صورة المناطق الجارى فيها الحفر، مأخوذة من الطيارة (بمعرفة فرقة الطيران الانجليزية، فى يناير سنة ١٩٢٠)، ويرى فيها : (١) تخطيط الطرق، ومنظر البساتين المجاورة لقصر الشمع (بأعلى اللوحة على اليسار)، وجامع عمرو (على اليمين)، والمحاجر أسفل ذلك . (٢) جامع عمرو (بأعلى اللوحة على اليسار)، وأبنية تابعة لشركة السباخ (على اليمين بأعلى اللوحة)، وهى فى وسط منطقة من أهم المناطق، تحول دون التنقيب فيها .

اللوحة الرابعة — منظر مأخوذ بالطيارة من إحدى مناطق الحفر، يبين حالة الأعمال، وهيئة الأرض، فى سنة ١٩١٨ والحفر الكبيرة التى على اليمين محاجر .

اللوحة الخامسة — (١) منظر مأخوذ من فوق الكيمان، المشرفة من الجهة الغربية على عين الصيرة . وهى التى ترى فى الشكل التالى « ٢ »، وفى الجوف المقطم، والقلعة، والمجراة « العيون » . وبسفح المرتفعات البساتين . (٢) الكيمان المشرفة من الجهة الغربية على عين الصيرة، تشاهد فيها الحفائر التى تتخللها، وهى تدل على المواقع التى كان ينقب فيها عن الآجر لجمعه .

اللوحة السادسة — منظر القسم المتوسط من موقع الحفر .

اللوحة السابعة — (١) منظر الفسطاط مأخوذ من فوق الكيمان المشرفة من الجهة الغربية على عين الصيرة (اللوحة الخامسة ٢)، يرى فيه فى الجوف وادى النيل، وأهرامات الجيزة والطرق التى تسير فيها العربات الحاملة للسباخ، والحجر الوارد من المحاجر .

(٢) الدار الأولى مرسومة من الجهة الجنوبية الغربية مع الحوش B، والغرف m و n و o و p و w

اللوحة الثامنة — (١) فتحة مجرور . (٢) الدار الأولى مع الحوش A وفسقيته .

اللوحة التاسعة — الدار الأولى مع الحوش B ، وفسقيته ، وبعض القوائم الحجرية الموجودة الآن بمكانها ، وأخرى فى صدر الرسم .

اللوحة العاشرة — الدار الثانية، مرسومة من الجهة الجنوبية الشرقية، وبعض التفاصيل من القاعة C .

اللوحة الحادية عشر — الدار الثالثة ، مرسومة من الجهة الجنوبية الغربية .

اللوحة الثانية عشر — الدار الرابعة، مرسومة من الجهة الجنوبية الشرقية .

اللوحة الثالثة عشر — منظر الحفر، يتبين فيه ما كان للأعمال الصحية من الأهمية ، من البيارات والمجارير وغيرها .

اللوحة الرابعة عشر — سور صلاح الدين (١) منظريين مرور السور وسط المبانى السابقة عليه فى العهد .
(٢) السور وأبراجه .

اللوحة الخامسة عشر — تفصيل فنية : (١) قطعة من أساس . (٢) قوائم حجرية بباطن جدار .

اللوحة السادسة عشر — تفاصيل فنية : ١ و ٢ و ٣ و ٥ قوائم حجرية، وقطع من الحجر مما يستعمل فى باطن الجدار .
٤ و ٦ قطع من أساس . (٧) واجهة مكحولة .

اللوحة السابعة عشر — مراحيض .

اللوحة الثامنة عشر — مجارير، وفسقيات .

اللوحة التاسعة عشر — قناة صرف رأسية (المجموعة الأولى من الدور، R من الشكل رقم ٥) . (٢) تفاصيل تبين بقية من فتحة مجرور، ومكان الأربطة الخشبية .

اللوحة العشرون — زخارف متخذة من قطع الآجر المجموعة بالجص : (١) النوع الأول a ، محتوية تجاويفة على قطع من الصدف . (٢) النوع الأول a ، كتابة كوفية تقرأ فيها كلمة "قصورا". (٣) النوع الثانى b ، مشبكات ونجوم ذوات ثمان شعب .

اللوحة الحادية والعشرون — (١ و ٢) قطع من كسوة متخذة من الجص المصبوب بالقالب .
(٣) قطعة من كسوة متخذة من البلاط (من الدار السادسة) .
(٤) مشبكات من النوع الثانى b ، وجدت فى الدار الثالثة .

— اللوحة الثانيــة والعشرون — (١) قطع من النوع الأول a ، وجدت فى الدار السادسة .

(٢) قطع من النوع الثانى b ، وجدت فى الدار الخامسة .

— اللوحة الثالثــة والعشرون — (١ و ٢) قطع من النوع الثانى b . (٣) قطع من النوع الثالث c .

اللوحة الرابعــة والعشرون — نماذج من مصنوعات متخذة من الحجر والرخام .

اللوحة الخامسة والعشرون — قطع من زخارف جصية .

اللوحة السادسة والعشرون — قطع من زخارف جصية .

اللوحة السابعــة والعشرون — قطع من الخشب المنقوش .

اللوحة الثـامنة والعشرون — قطع من العظم والسن .

اللوحة التاسعة والعشرون — مصنوعات من النحاس .

اللوحة الثـــلاثون — حلى من ذهب .

اللوحة الحـادية والثلاثون — منسوجات .

اللوحة الثانيــة والثلاثون — قطع من زجاج مطلى بالمينا .

(مطبعة دار الكتب المصرية ٥٣٠/١٩٢٨/٣٠٠)

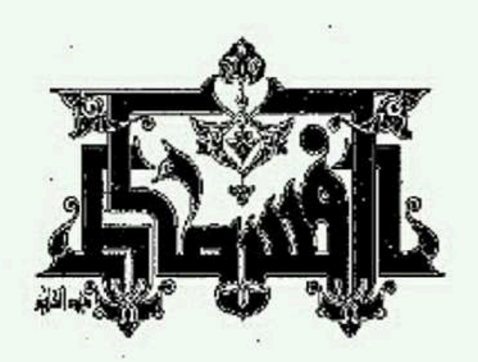
دار الآثار العربيـــة — **Musée de l'Art Arabe**



(مجموعة المناظر الفتوغرافيـة)

FOUILLES D'AL FOUSTÂT

(Album de photographies)

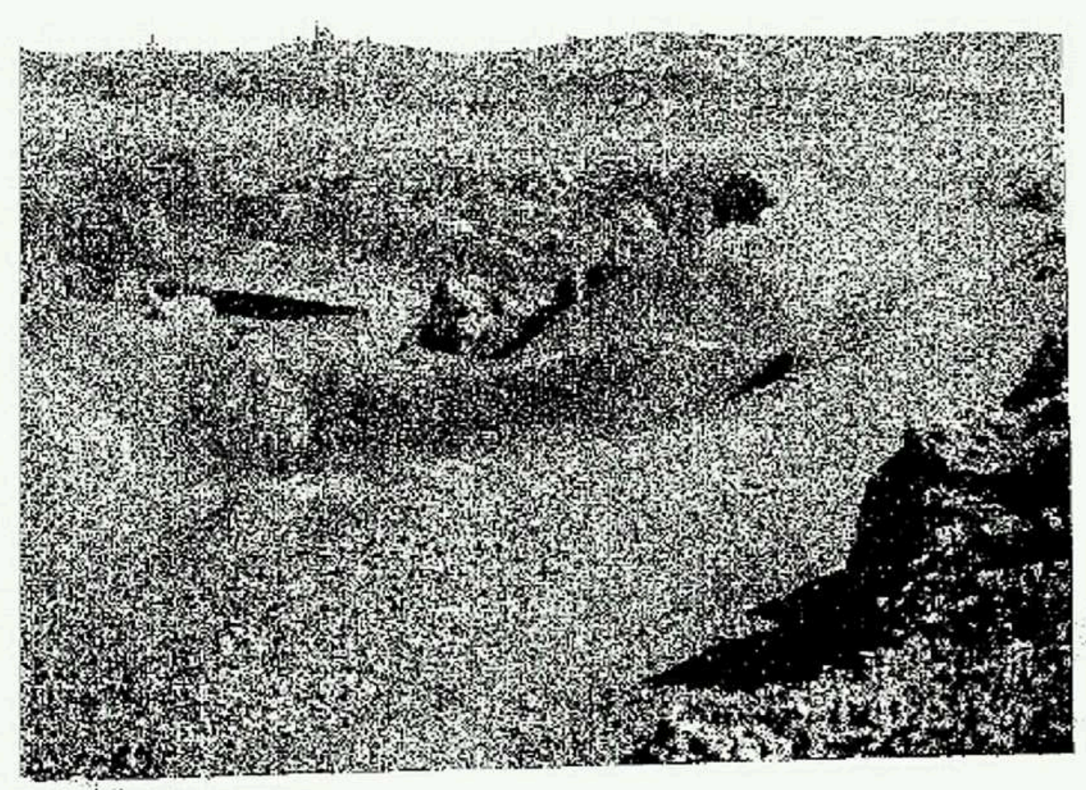


[الطبعـــة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

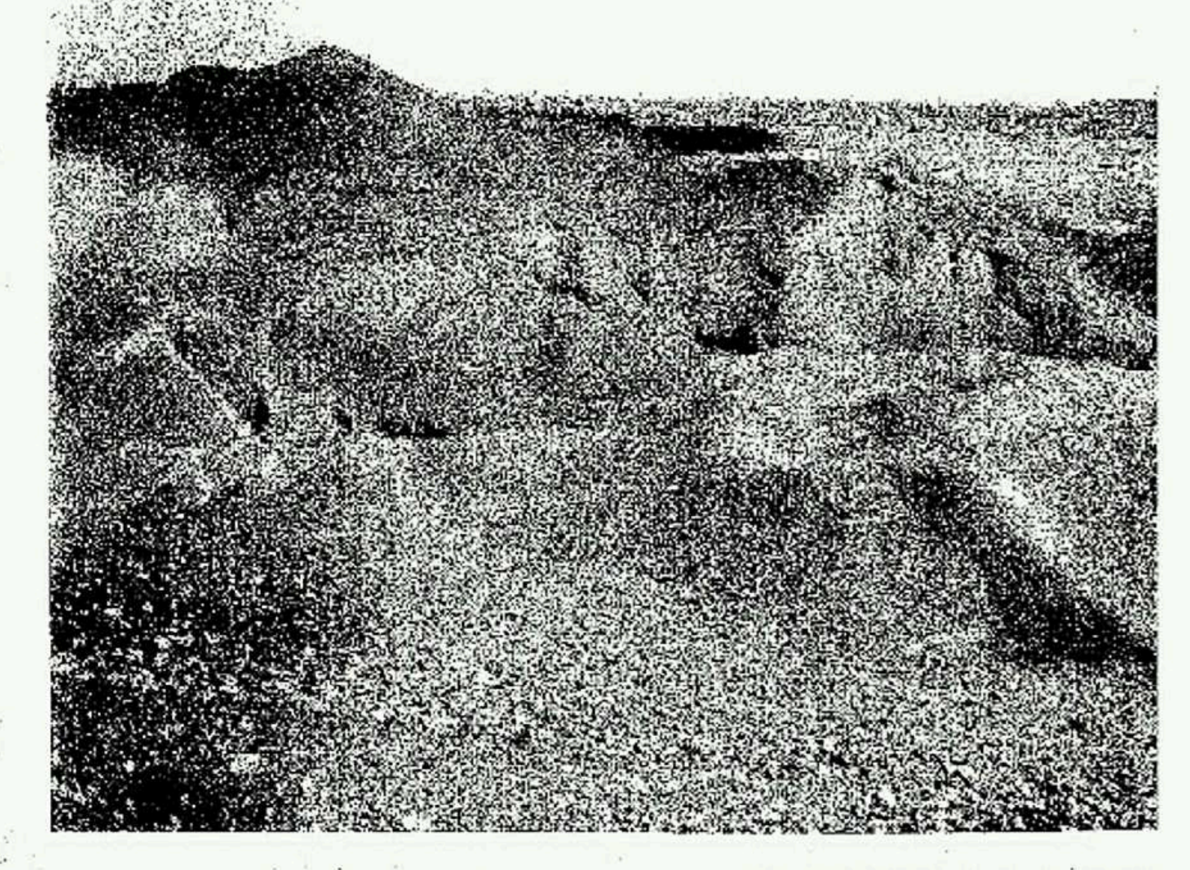
١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

(لوحـــة رقـــم ١)

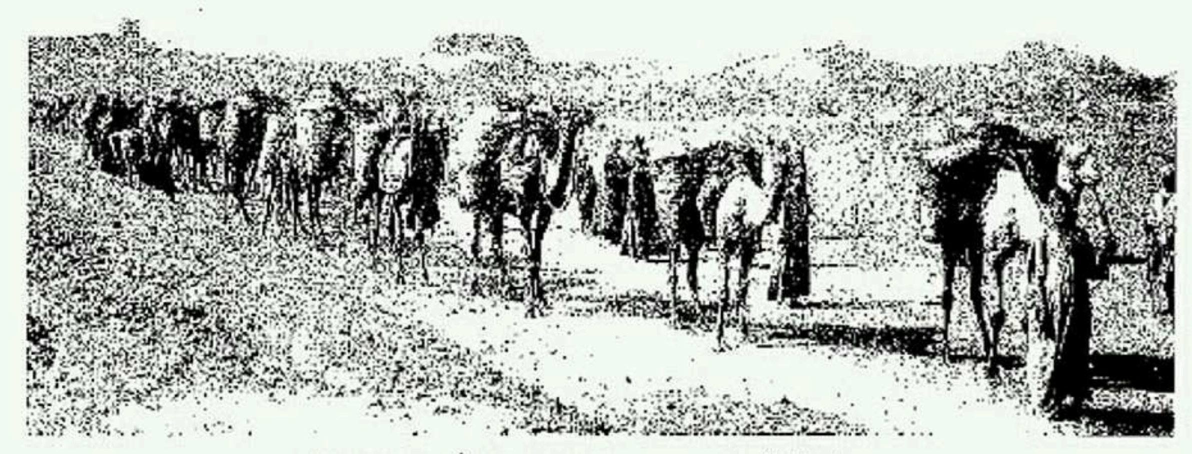


منظر عام للفسطاط مأخوذ من كوم غراب

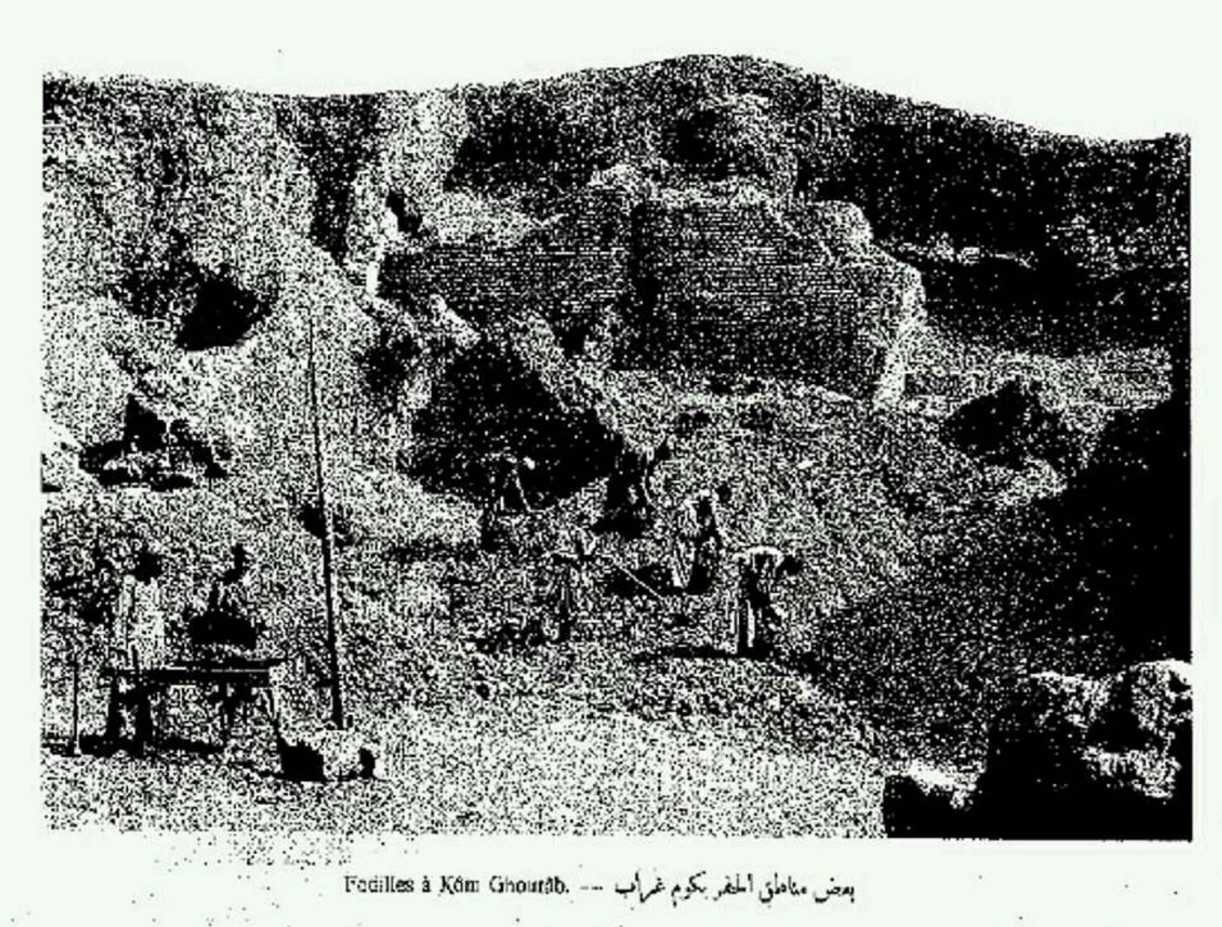
(Pl. I.)



Vue générale du Foustât prise de Kôm Gî



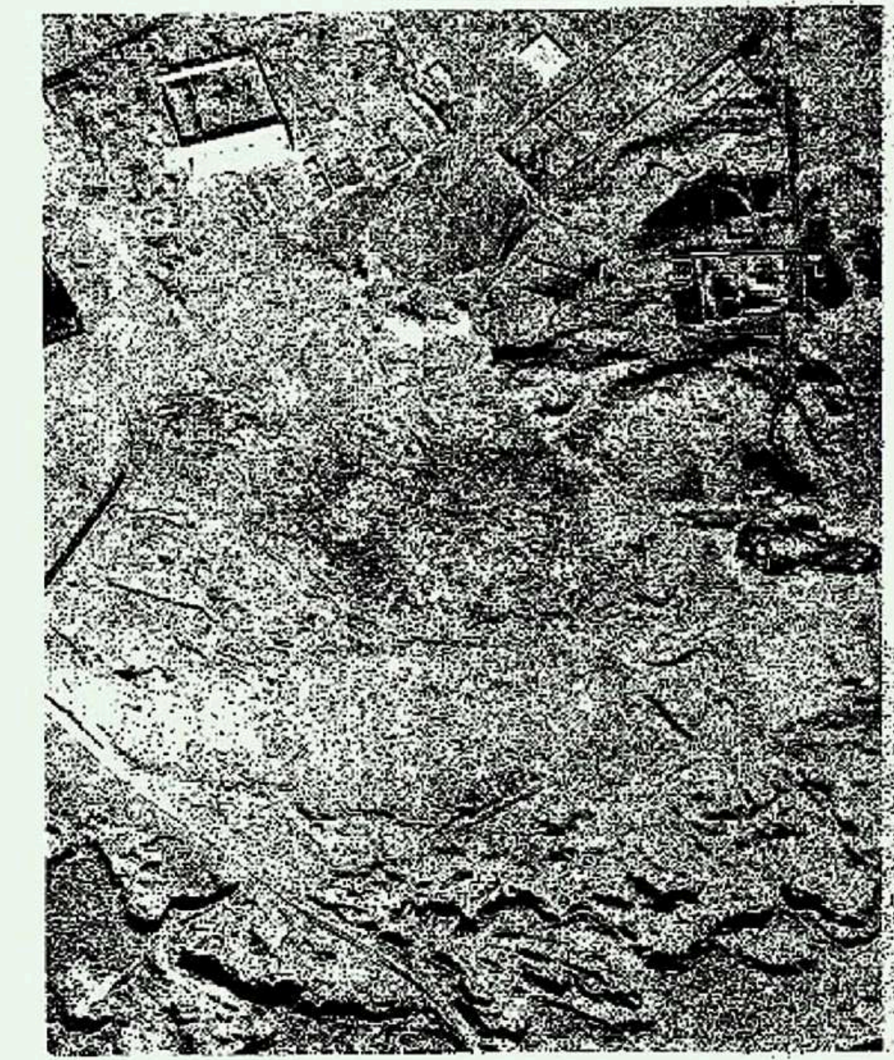
Transport du sebakh à dos des chameaux. — جمال تنقل السبخ



Fouilles à Kôm Ghourâb. — بعض مناطق الحفر بكوم غراب

(Pl. III.)

(لوحة رقم ٣)



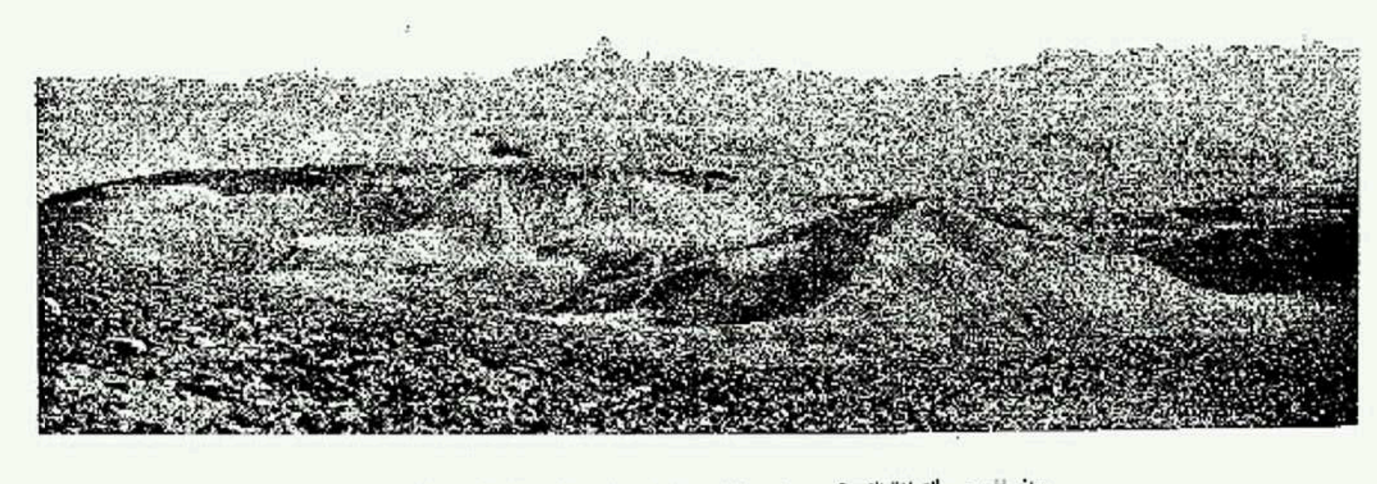
Vues des fouilles prises en aéroplane en 1920.

مناطق الحفر مصورة بالطيارة سنة ١٩٢٠

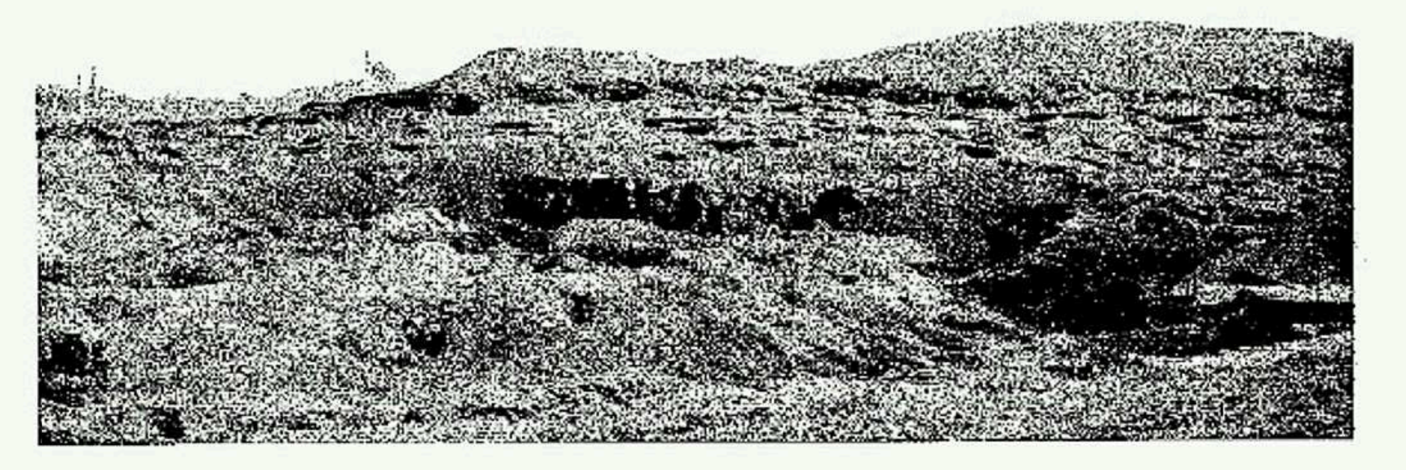


قسم من مناطق الحفر مصورة بالطيارة سنة ١٩١٨

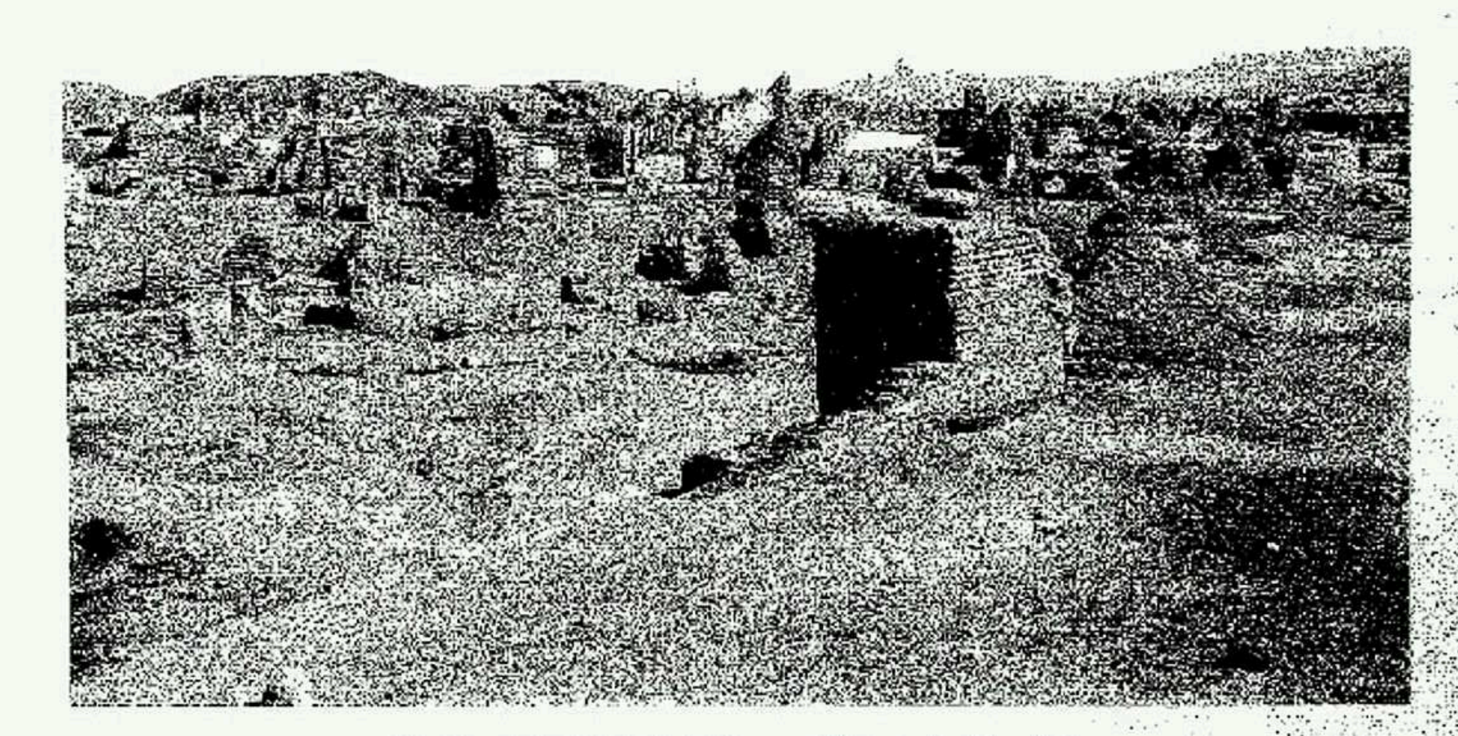
Vue d'une partie des fouilles prises en aéroplane en 1918.



Vue de l'aqueduc et du cimetière méridional. منظر المجرى والقرافة القبلية



Collines qui dominent Aïn-es-Sîra. — الكيمان المشرفة على عين الصيرة

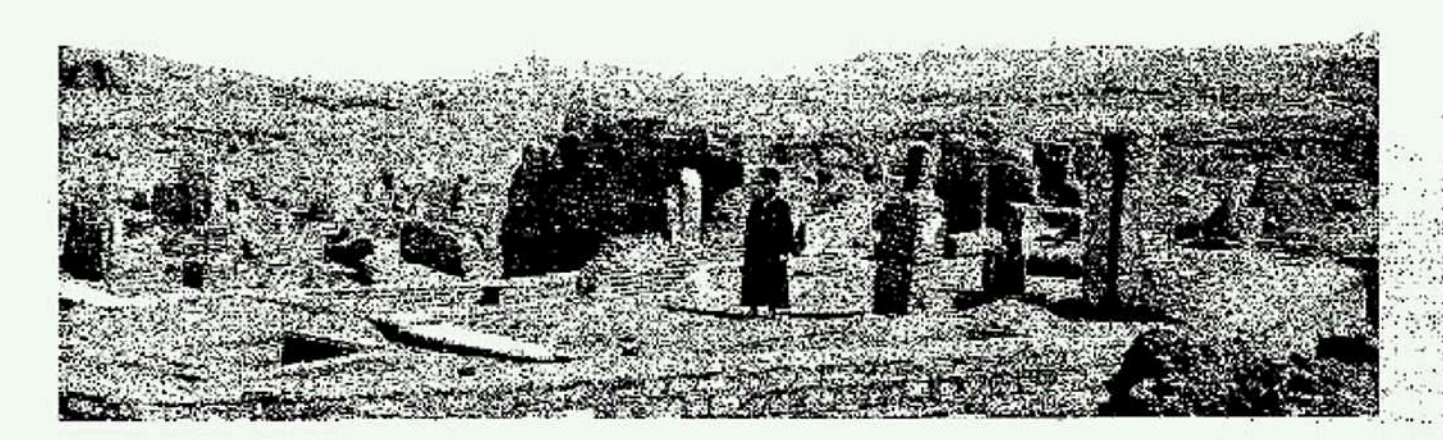


Vue de la partie centrale des fouilles. — منظر القسم الأوسط من موقع الحفر

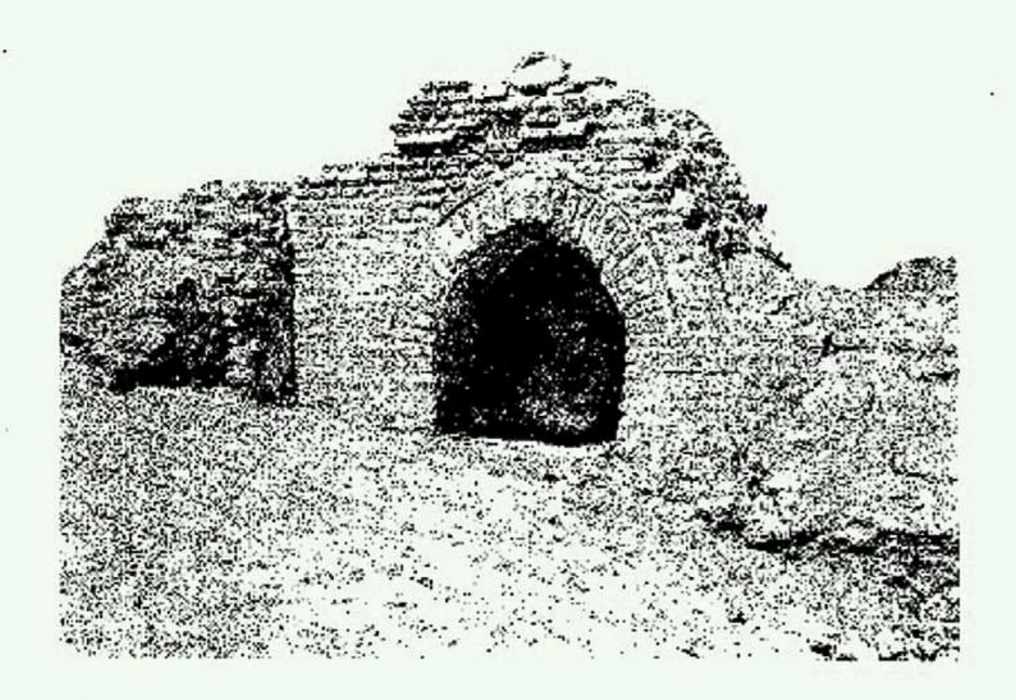
(Pl. VII.) (لوحـــة رقـــم ٧)



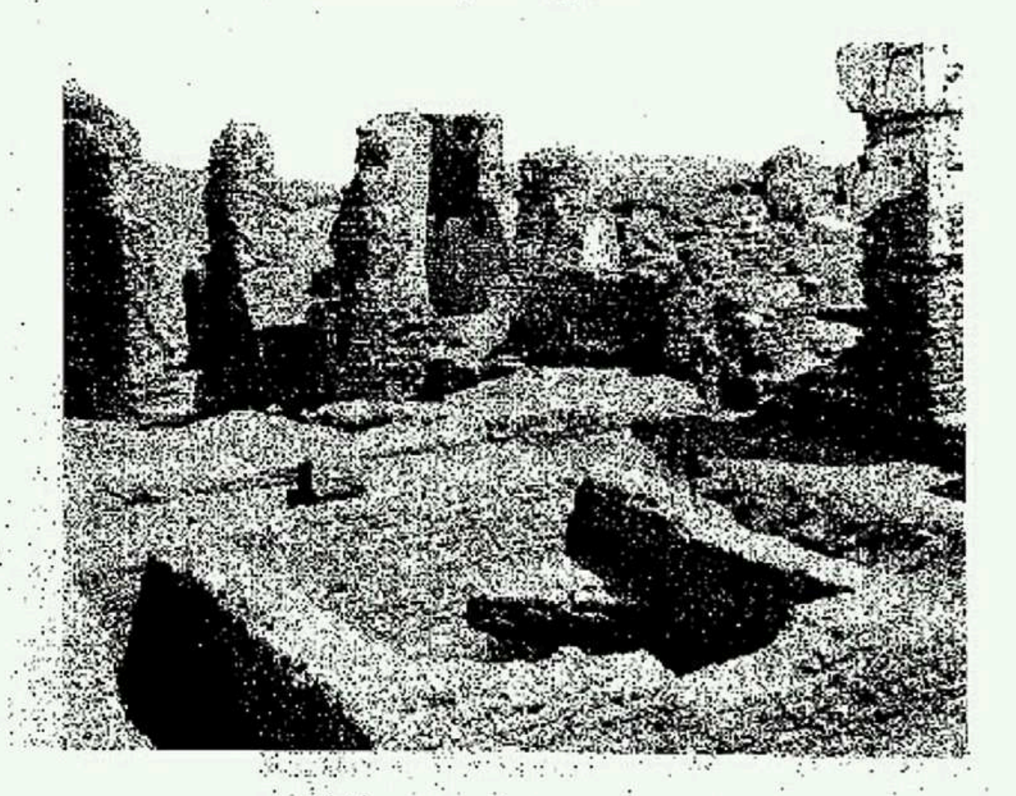
Vue d'ensemble du site du Fousṭâṭ. — منظر عام عن موقع الفسطاط



Vue de la maison I. — منظر الدار الأولى



Ouverture d'un égout. — فتحة مجرور



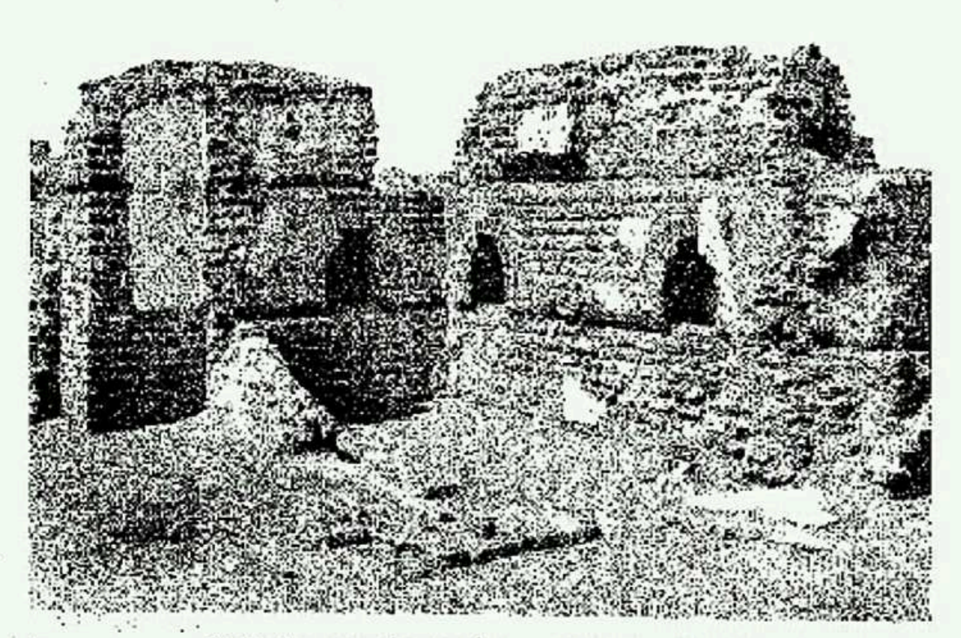
Cour de la maison I. — حوش الدار الأولى

(Pl. IX.) (لوحة رقم ٩)

Autre cour de la maison I. — حوش ثان من الدار الأولى



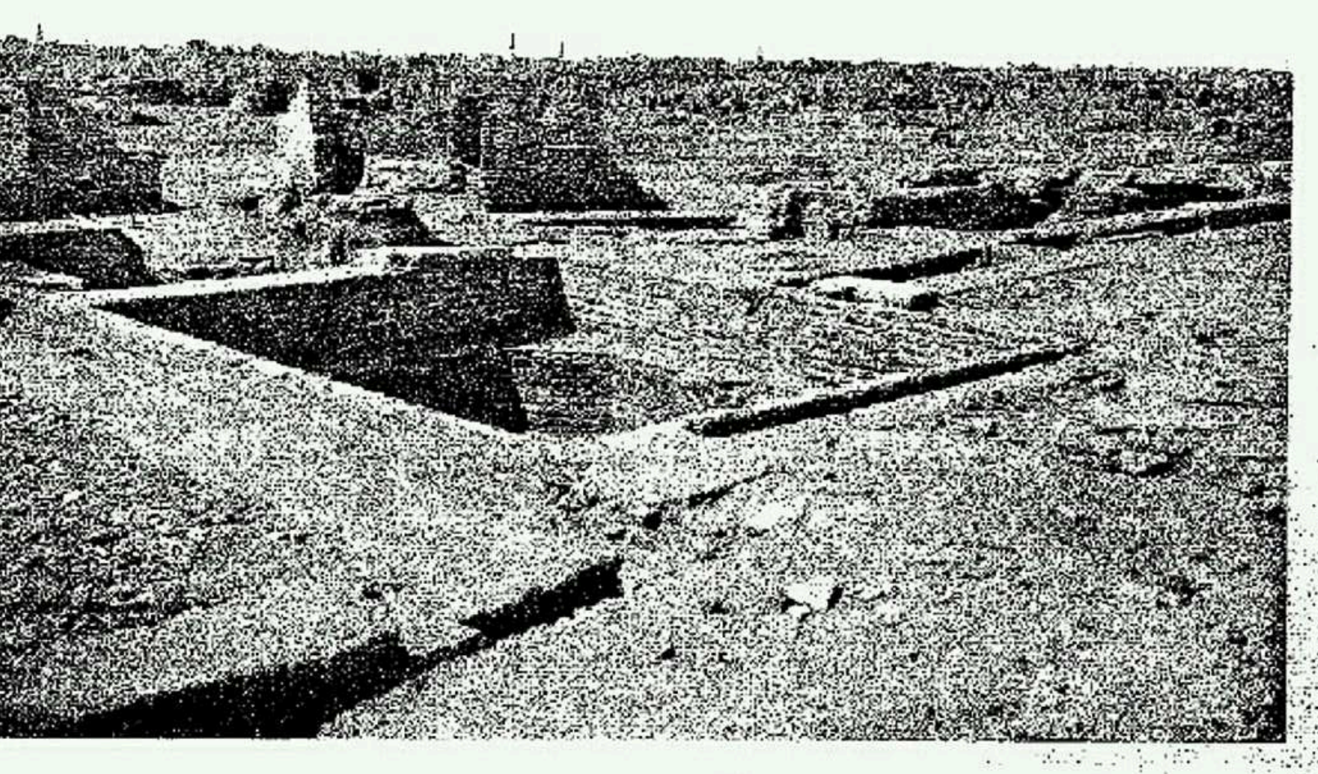
Vue de la maison II. — الدار الثانية



Détails d'une salle de la maison II. — تفاصيل قاعة من الدار الثانية

(Pl. XL.) (اللوحة رقم ٤٠)

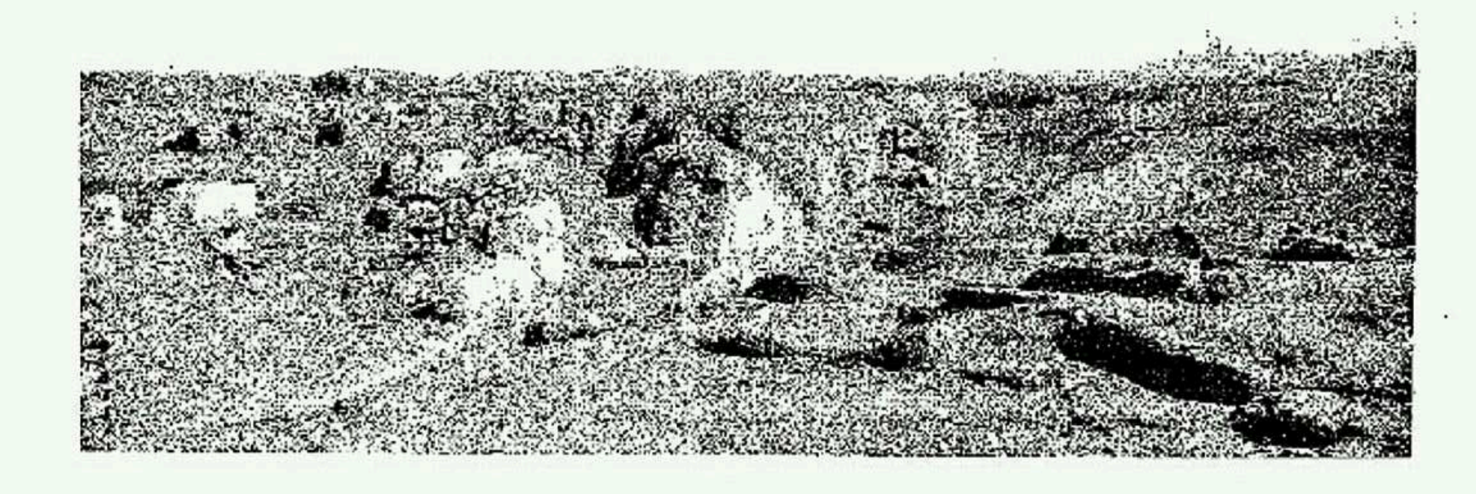
Maison III. — المنزل الثالث

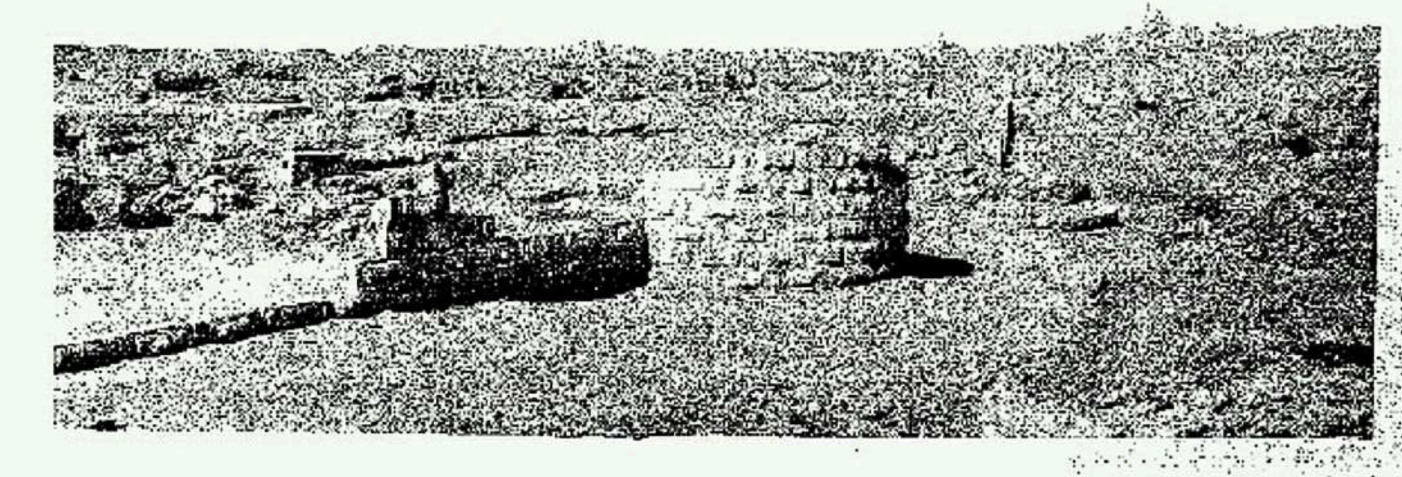


Maison VI. الدار السادسة

(Pl. XIII) (اللوحة رقم ١٤)

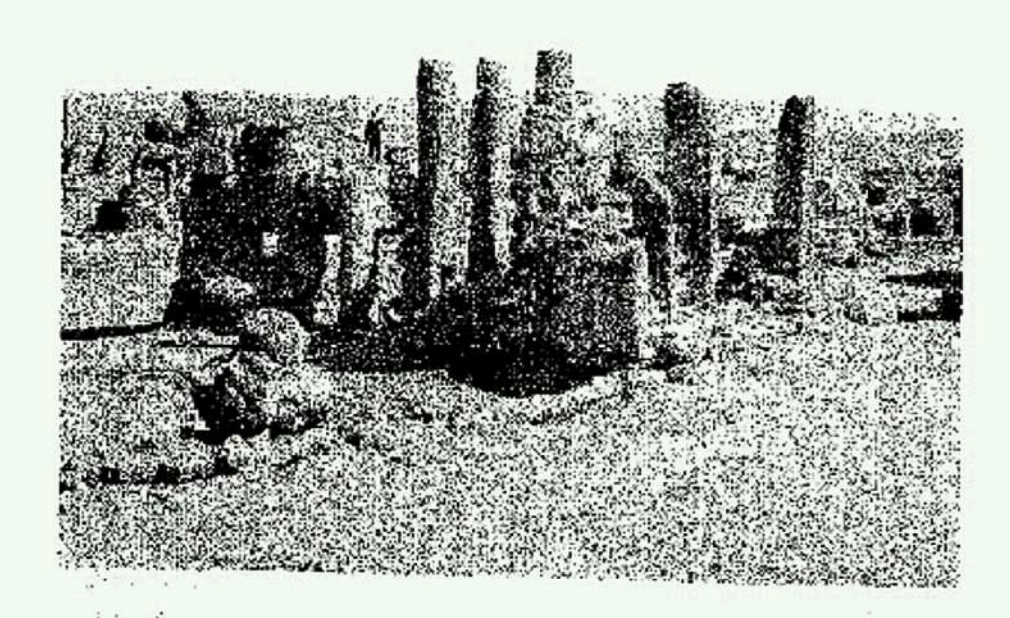
Aspect des travaux d'assainissements. منظر الأعمال الصحية



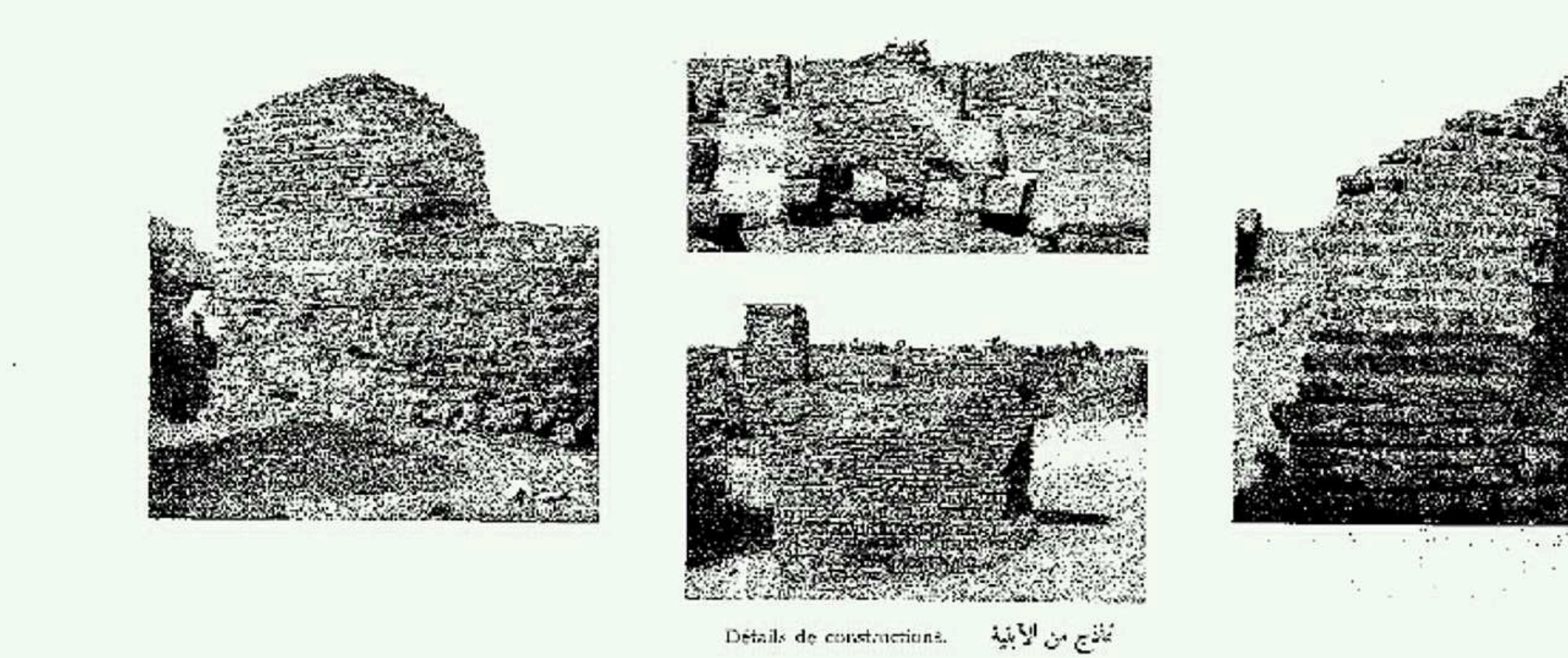


Mur de Saladin. — سور صلاح الدين



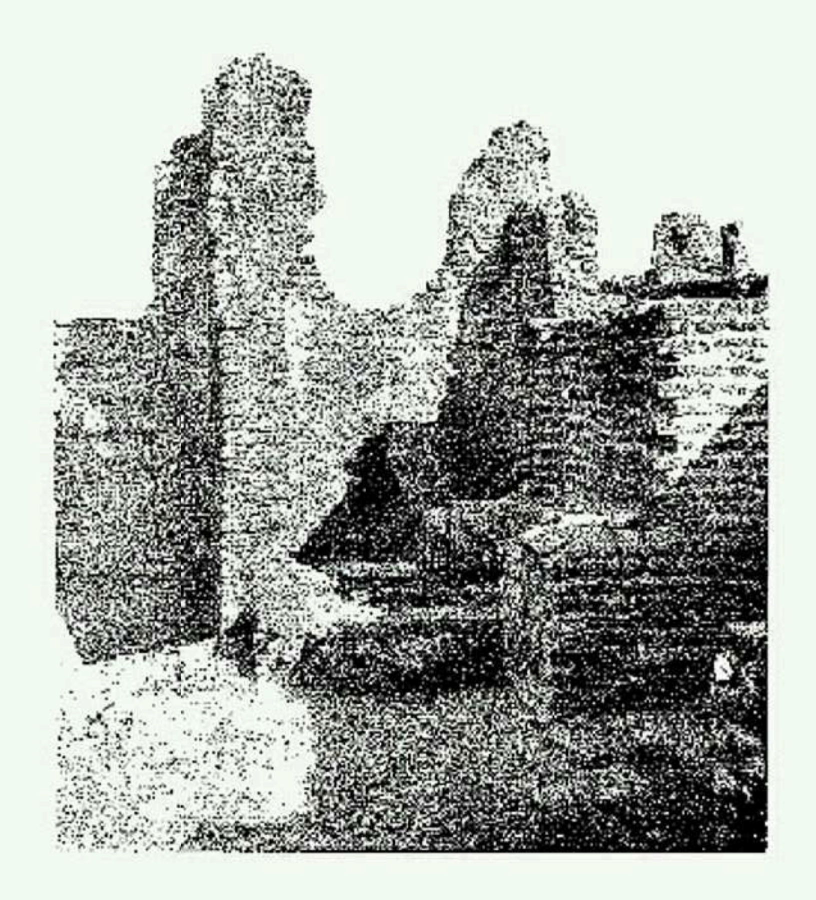


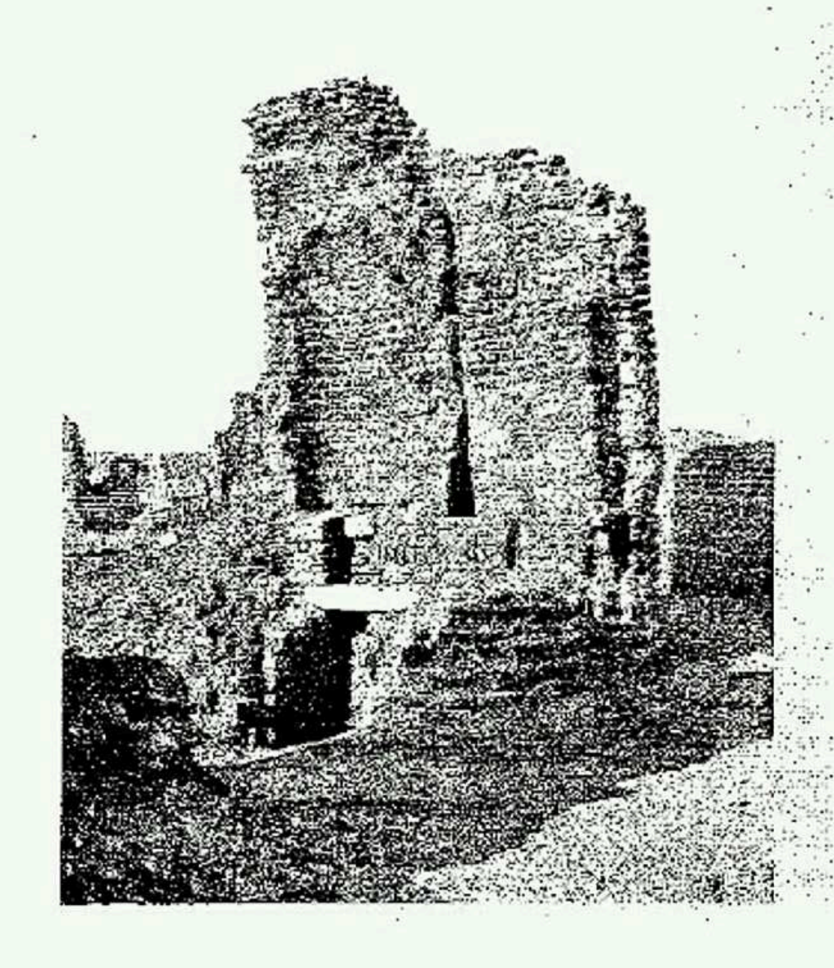
Détails de construction. — تفاصيل من الأبنية





Détails de constructions. نماذج من الأبنية

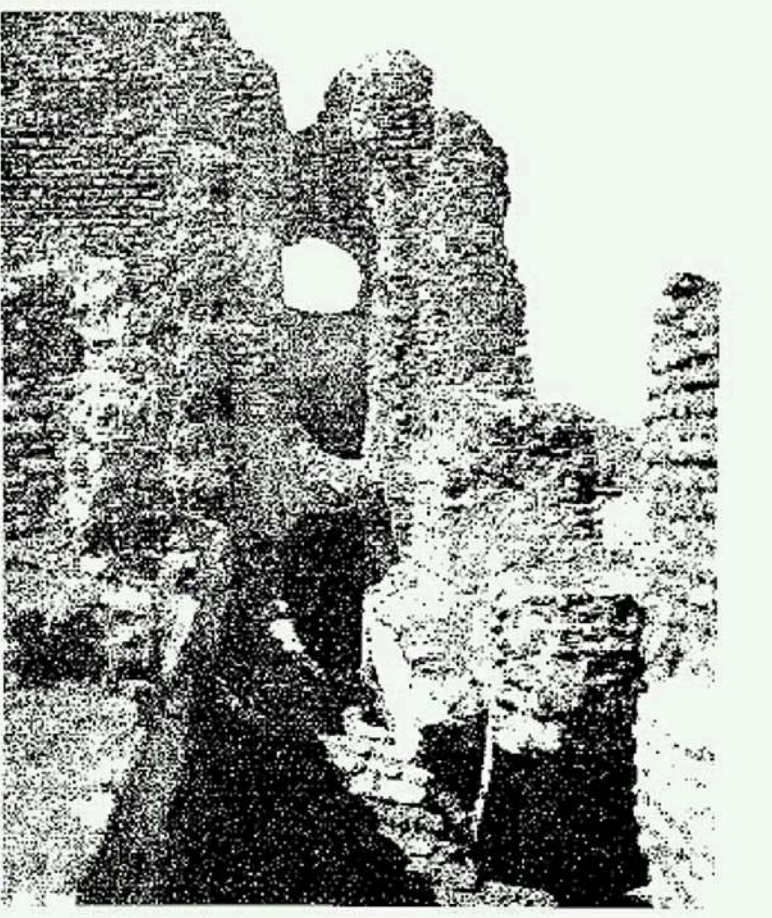




Latrines. مراحيض

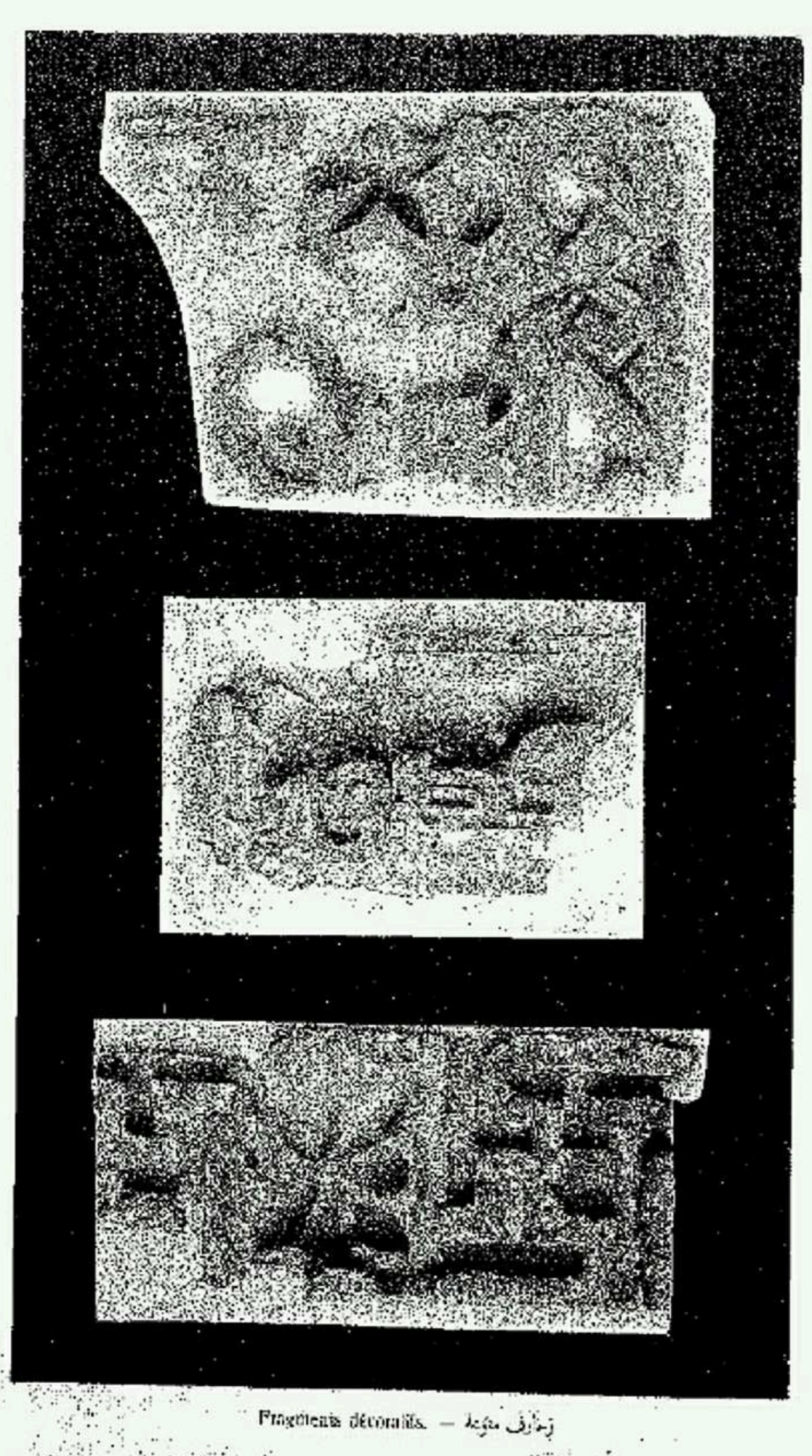
(Pl. XVIII.)

(لوحـــة رقـــم ١٨)

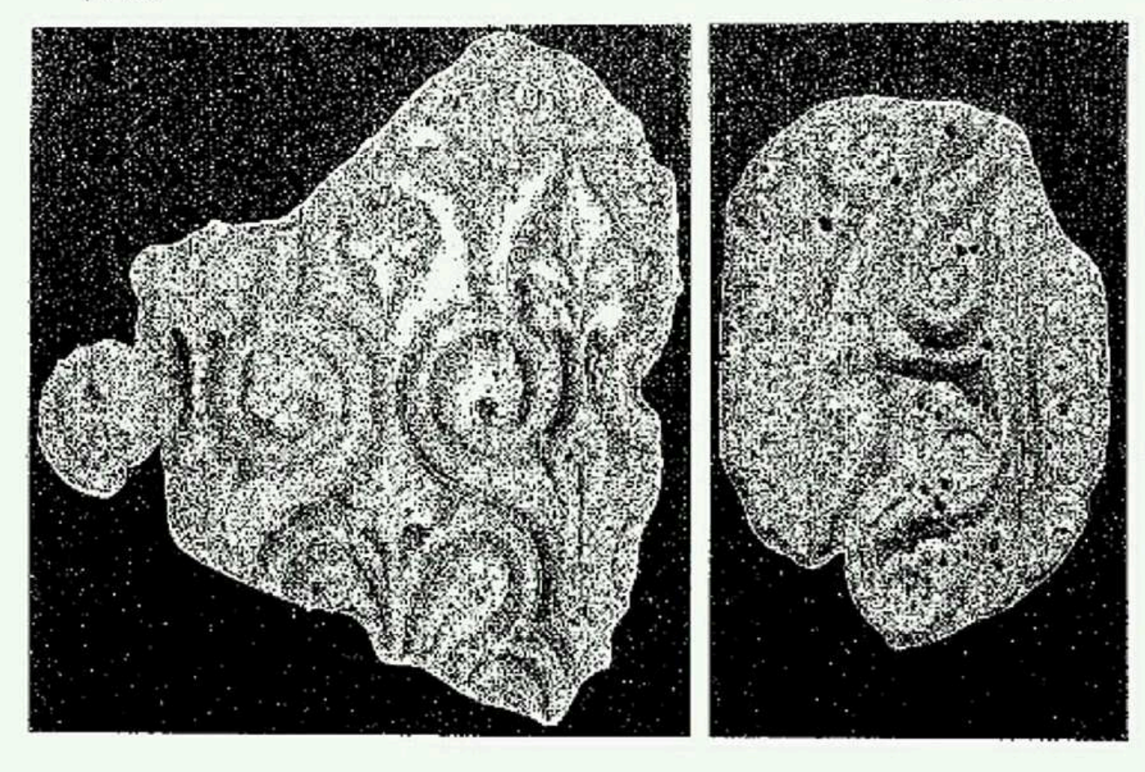


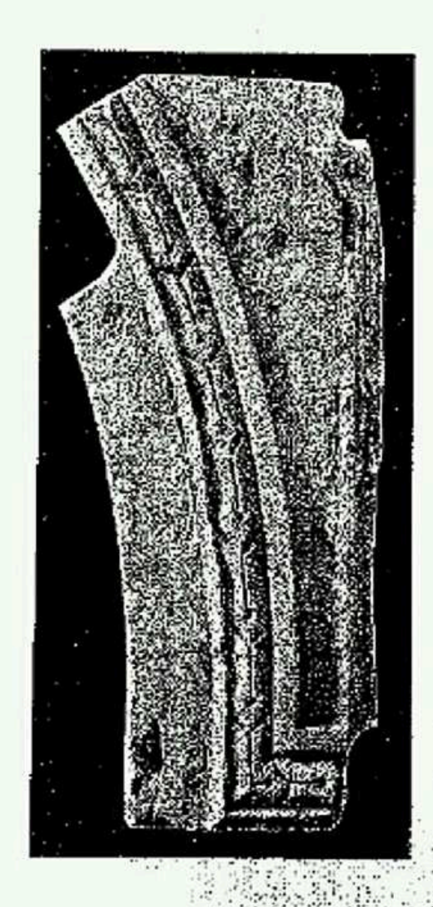
Conduite d'évacuation. — قصبة دورة مياه

Détails de maçonnerie. — تفاصيل أبنية



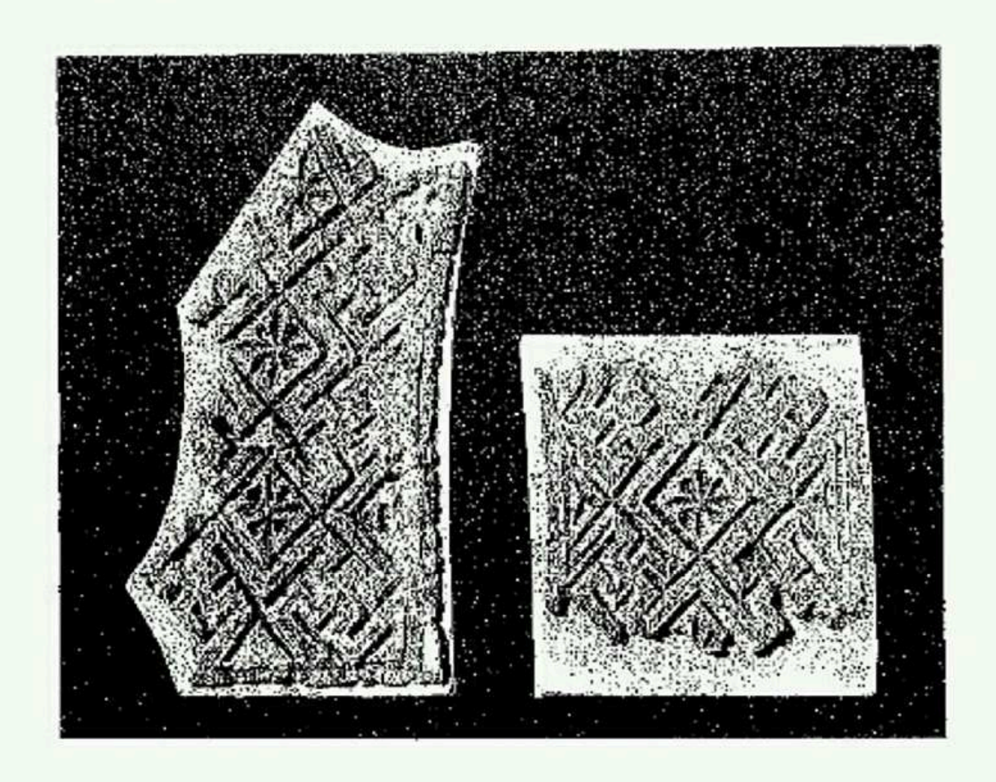
Fragments décoratifs. — زخارف مجوفة

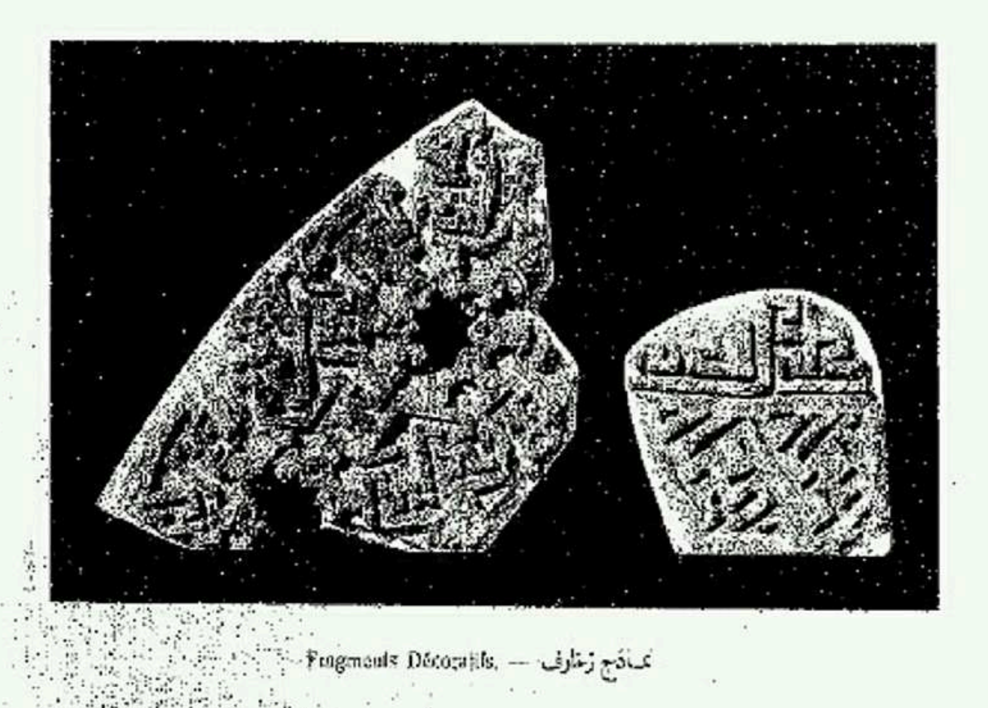




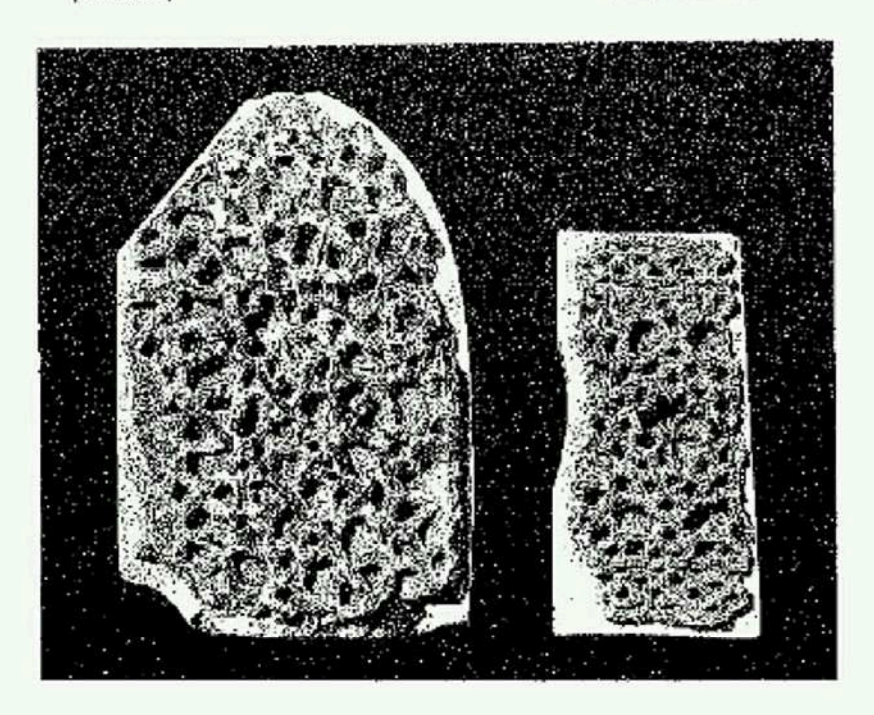


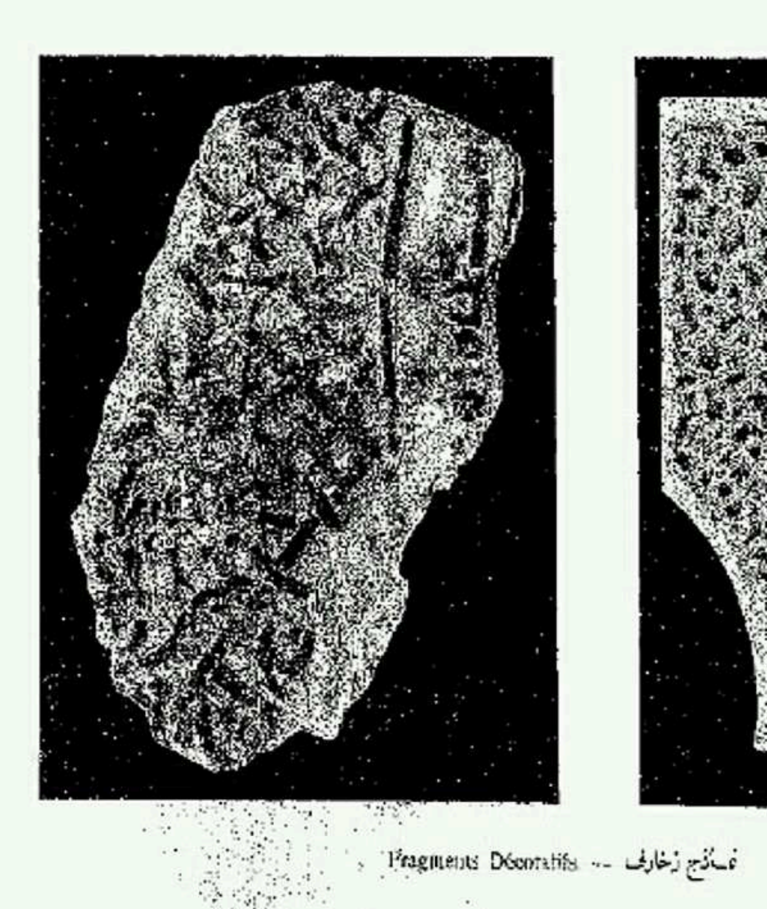
Revêtements en plâtre. — زخرفة الجص

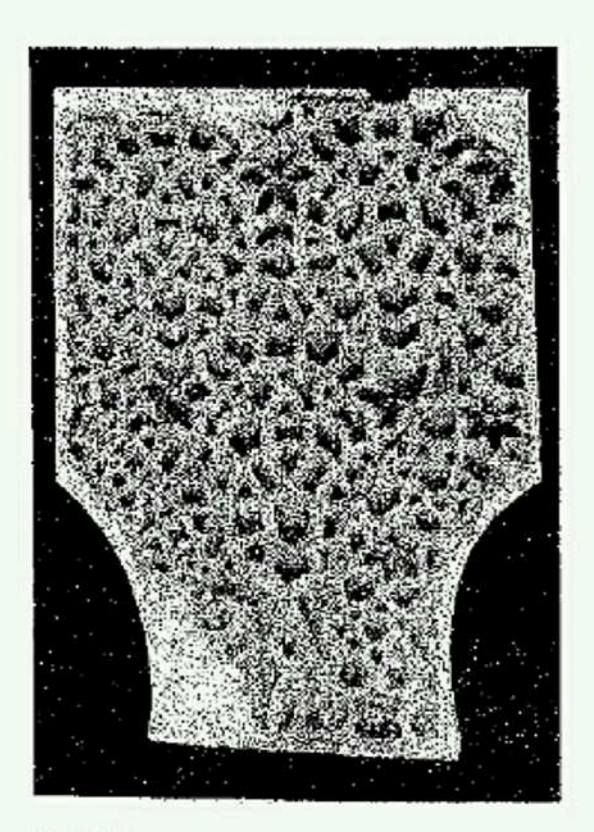




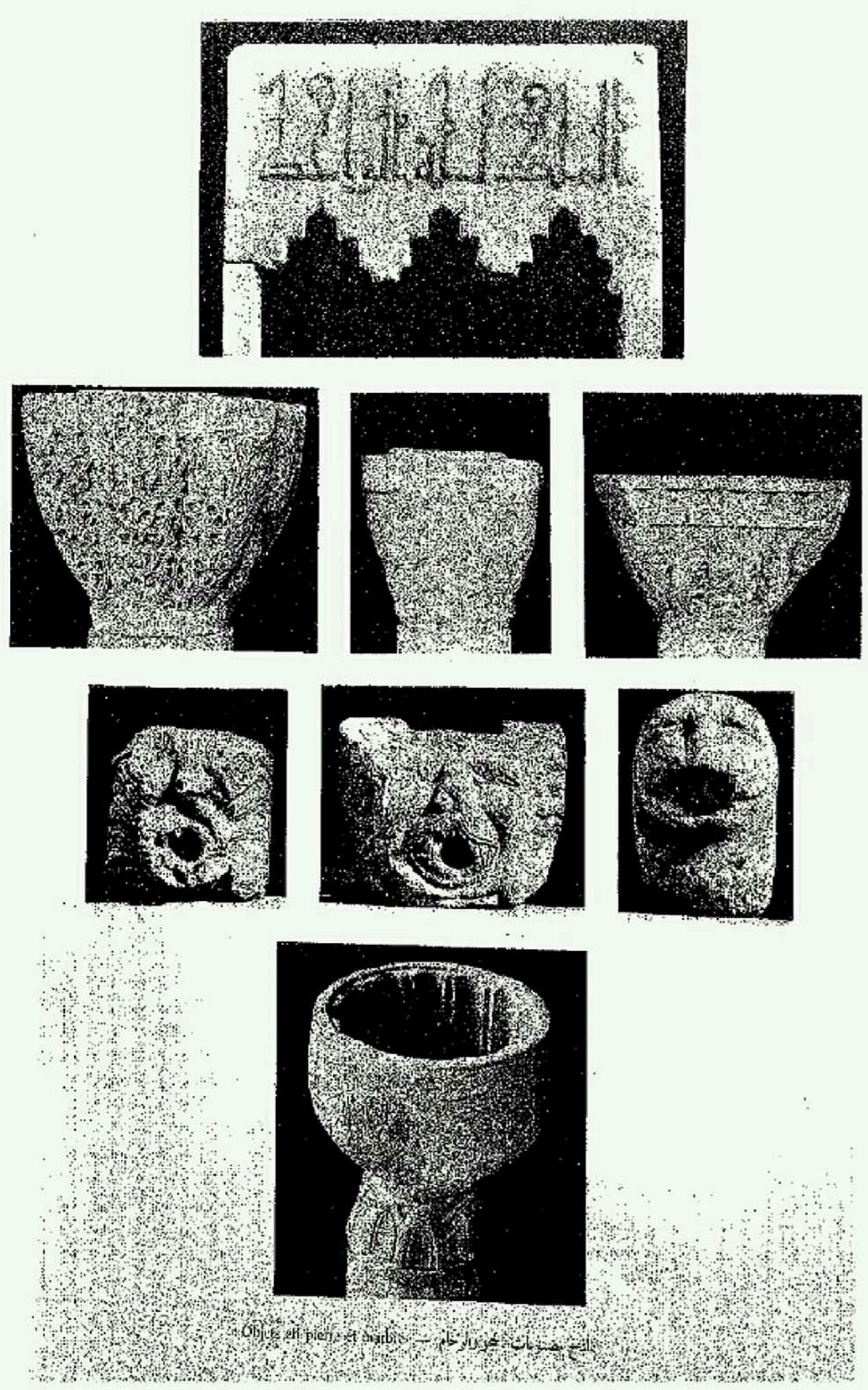
Fragments Décoratifs. — نماذج زخارف



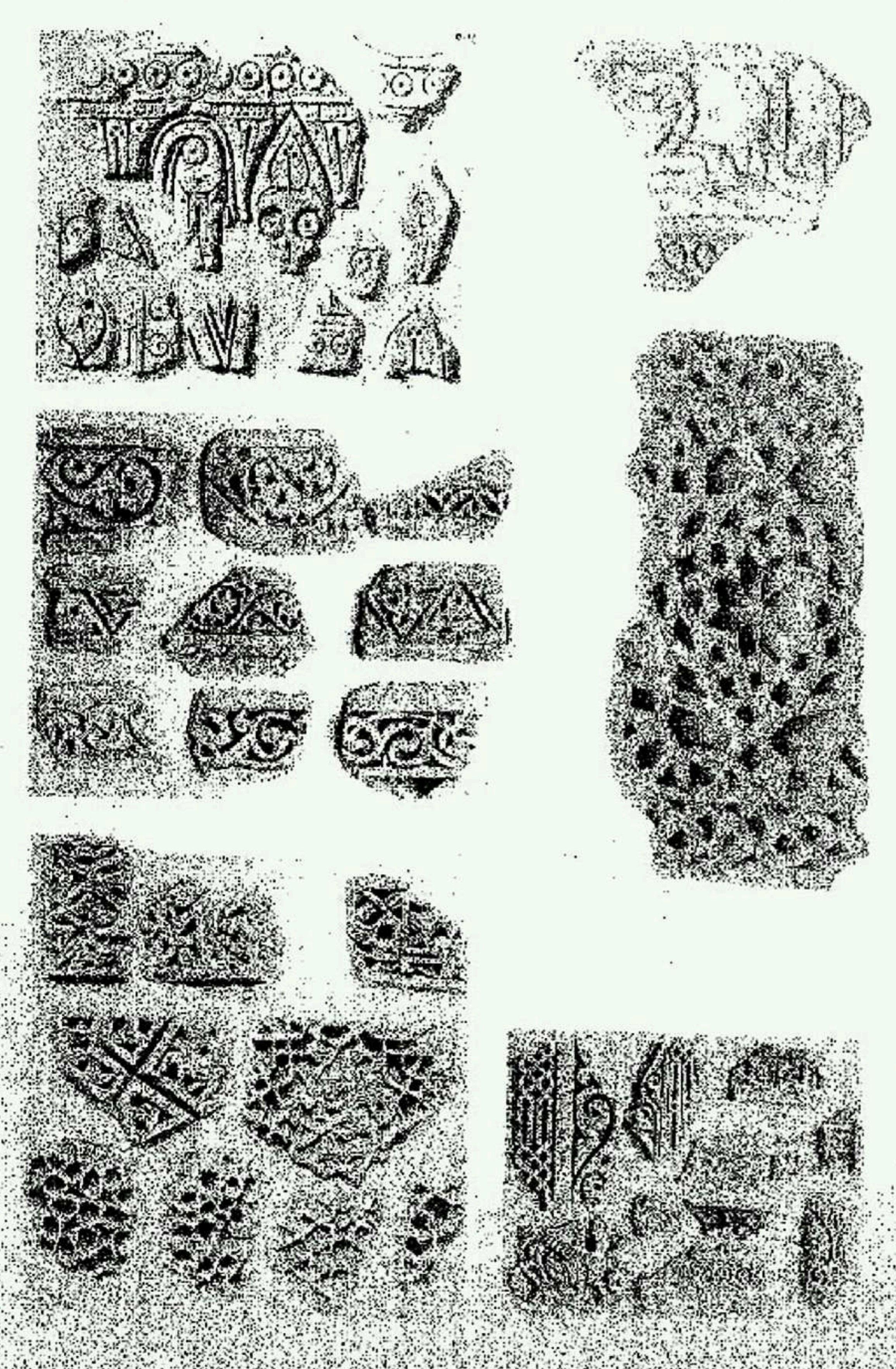




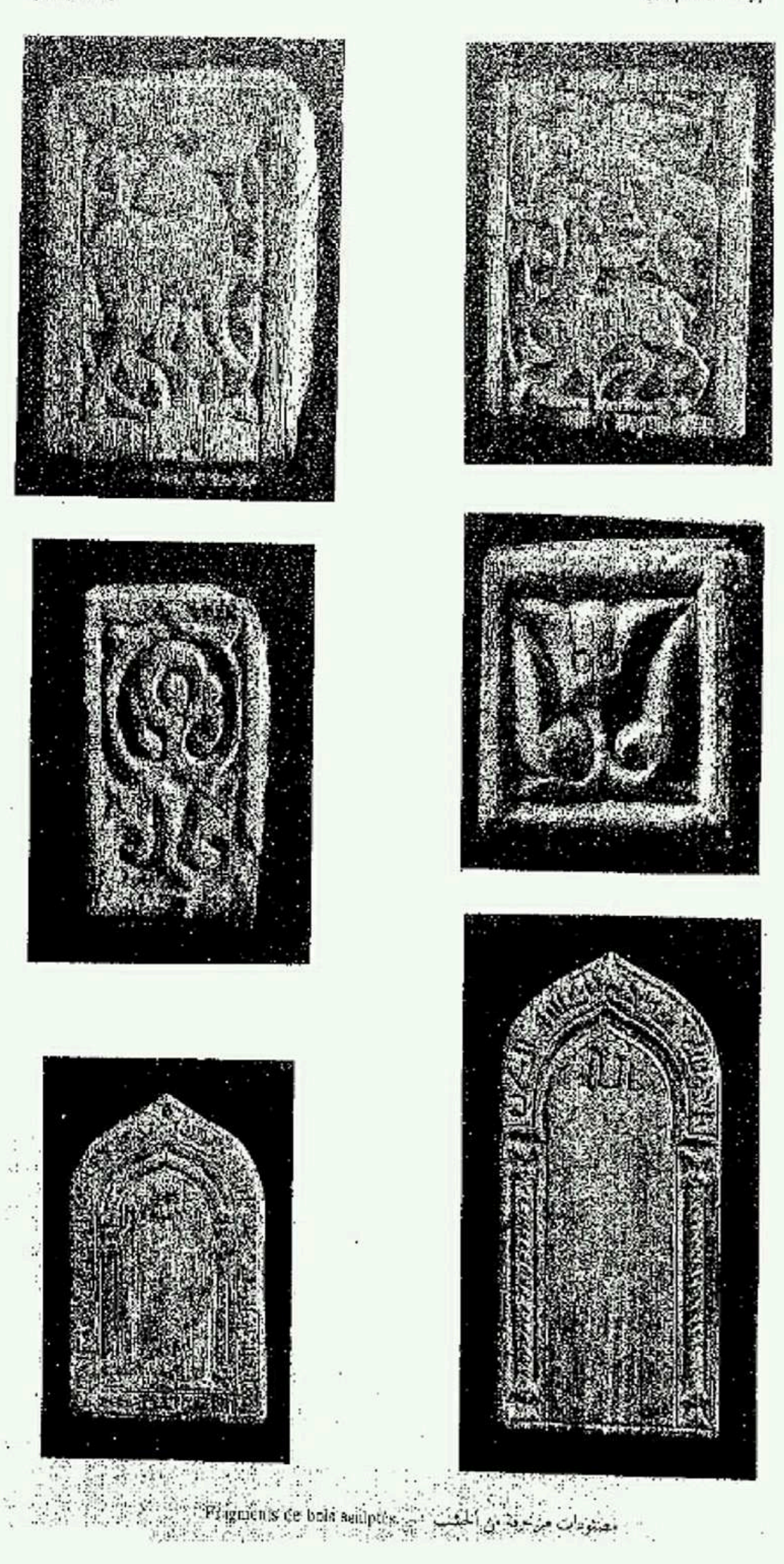
Fragments Décoratifs — نماذج زخارف



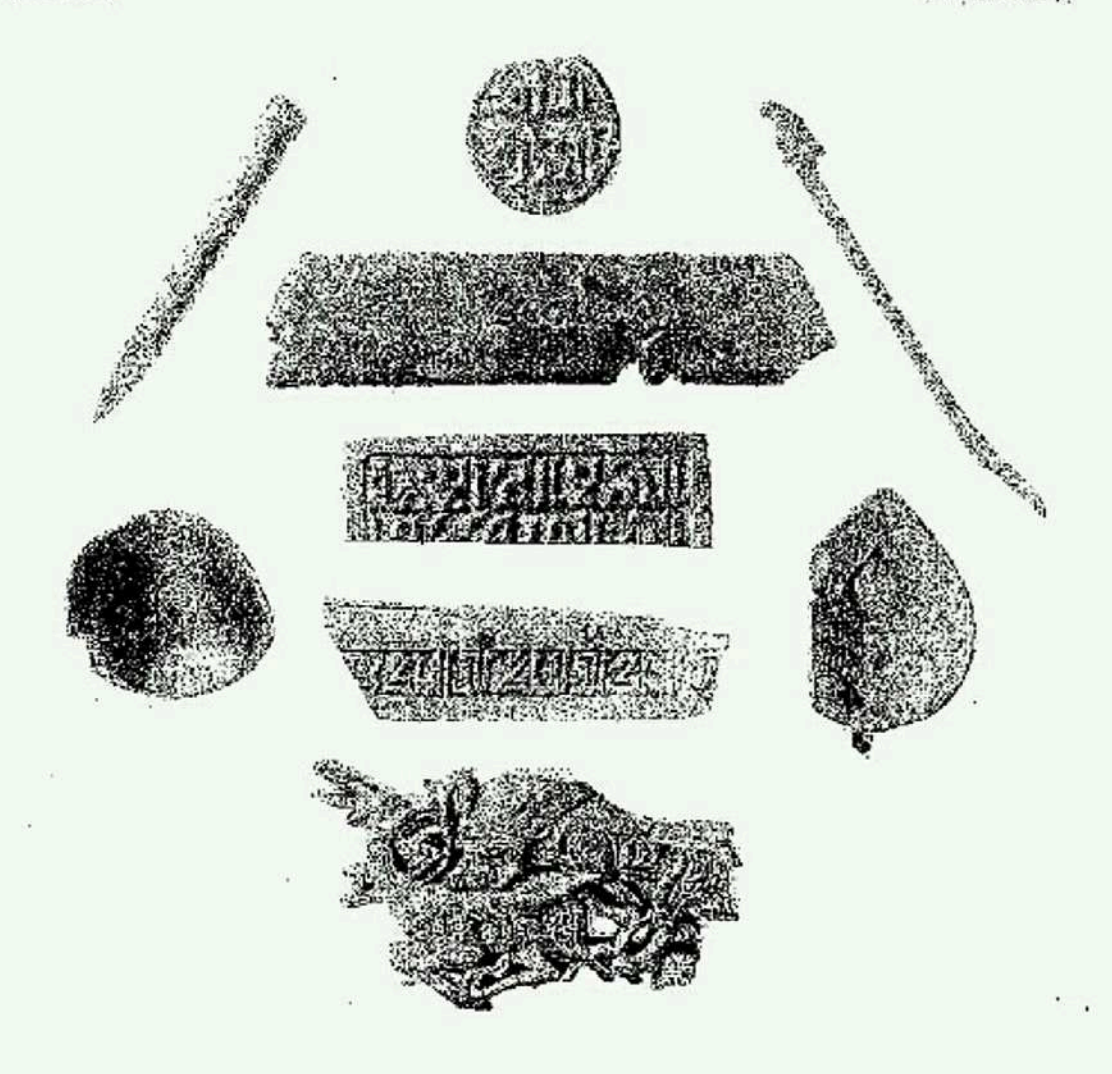
Objets en pierre et marbre — مصنوعات حجر ورخام

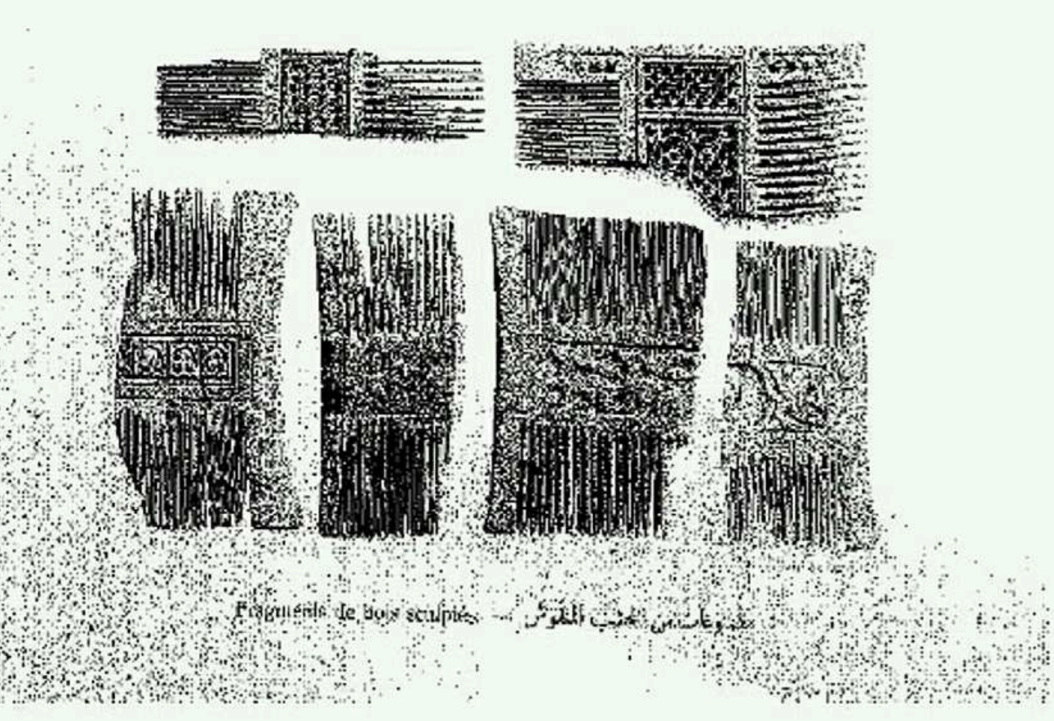


Fragments de stuc. —

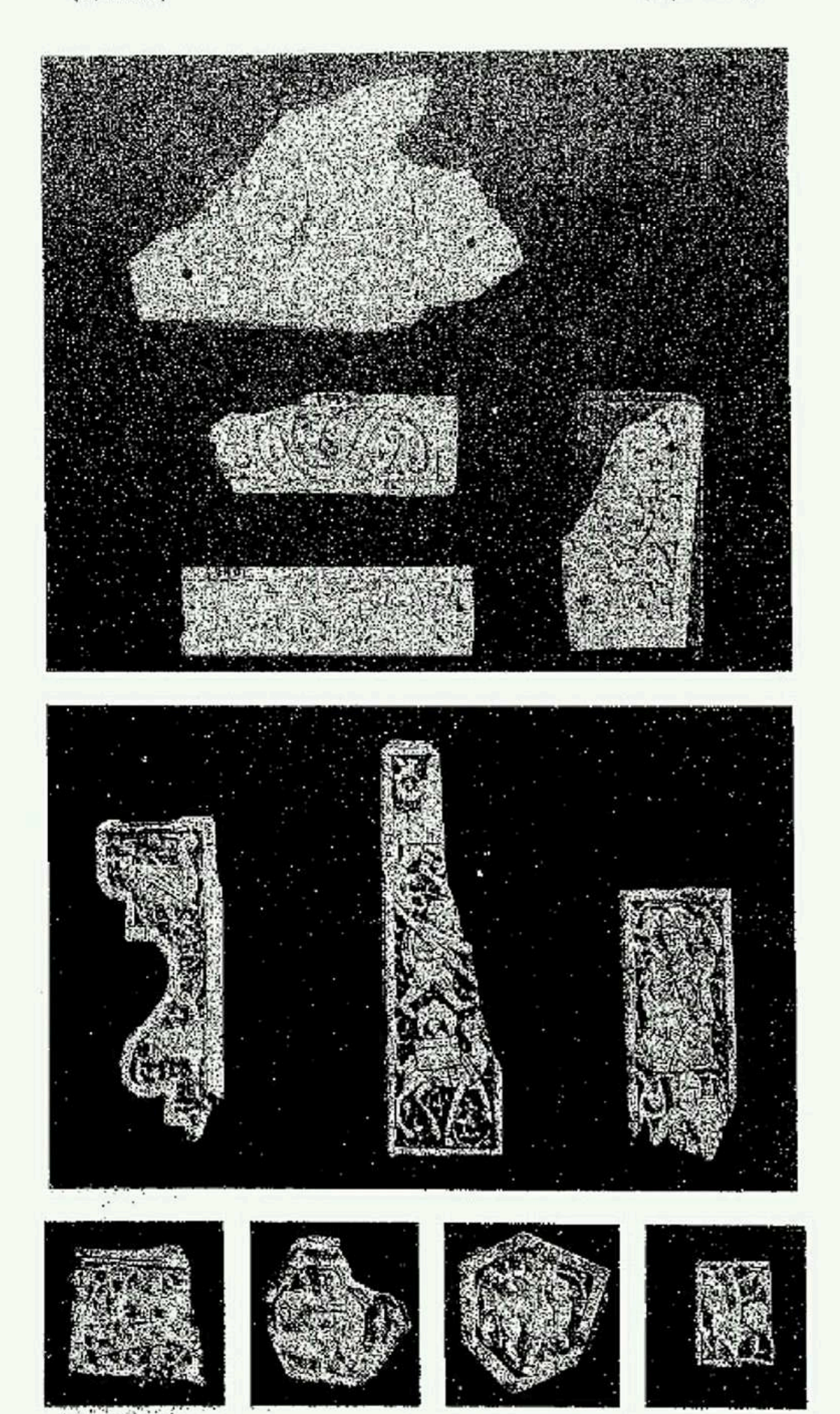


Fragments de bois sculptés. — مصنوعات مزخرفة من الخشب

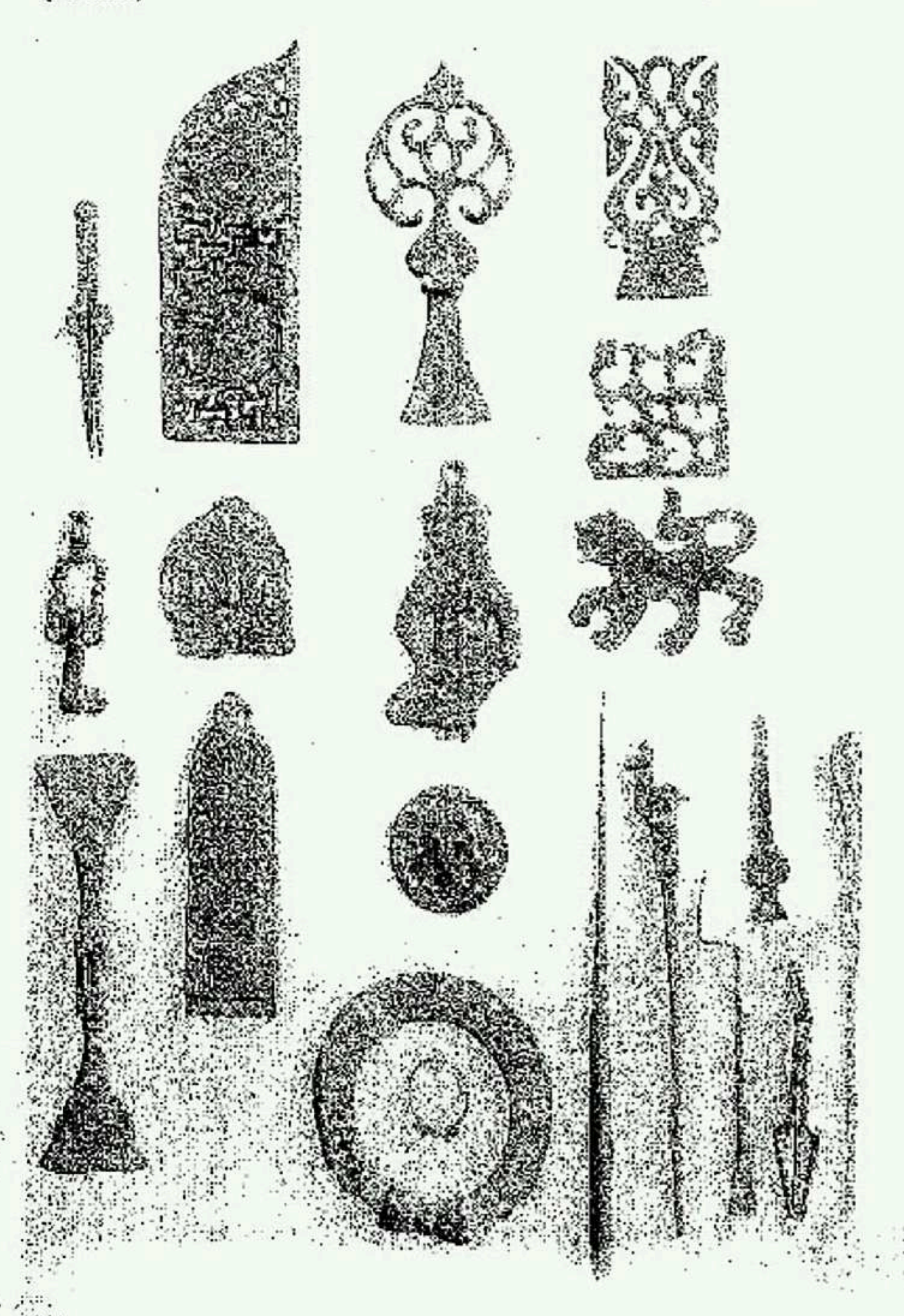




Fragments de bois sculptés. — قطع من الخشب المحفور

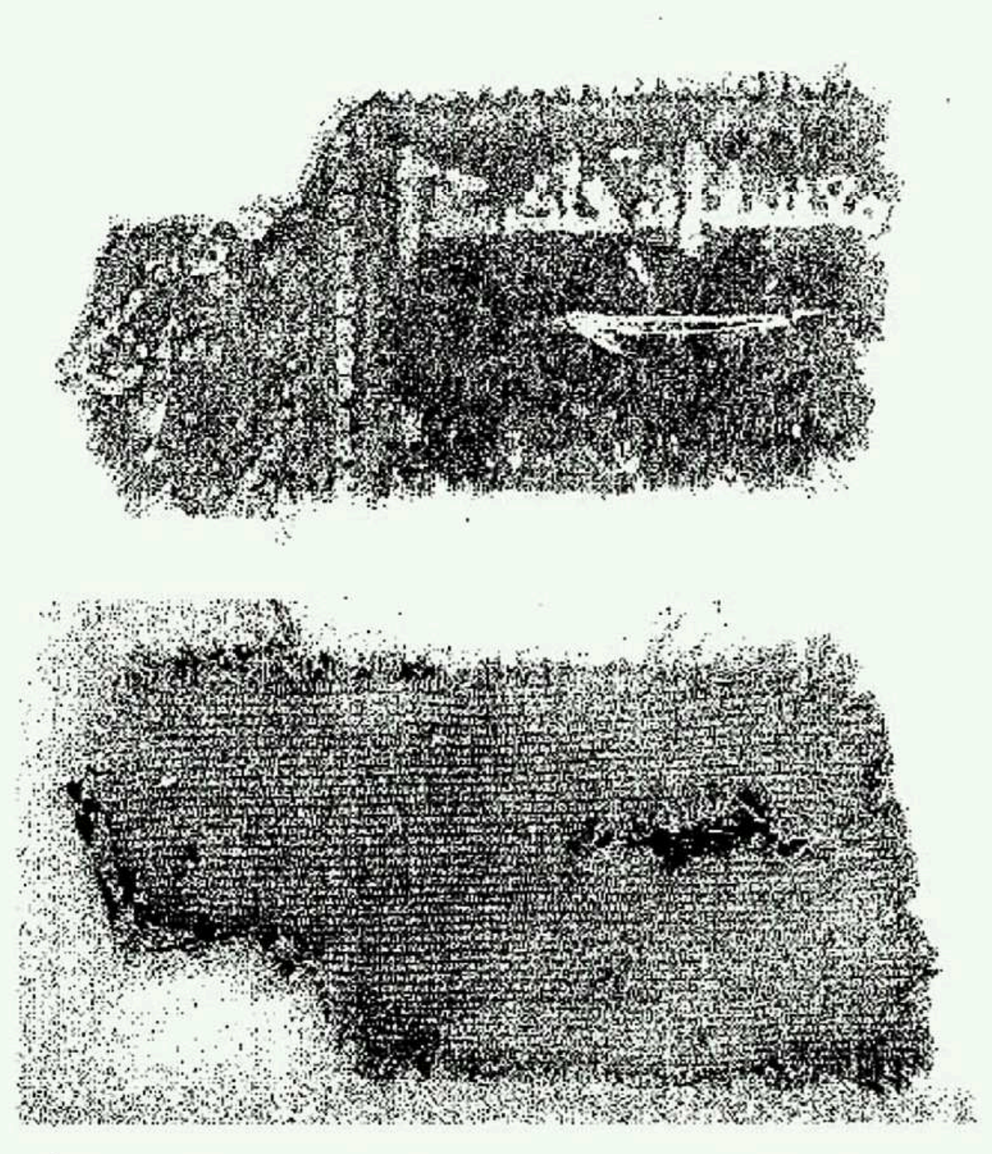


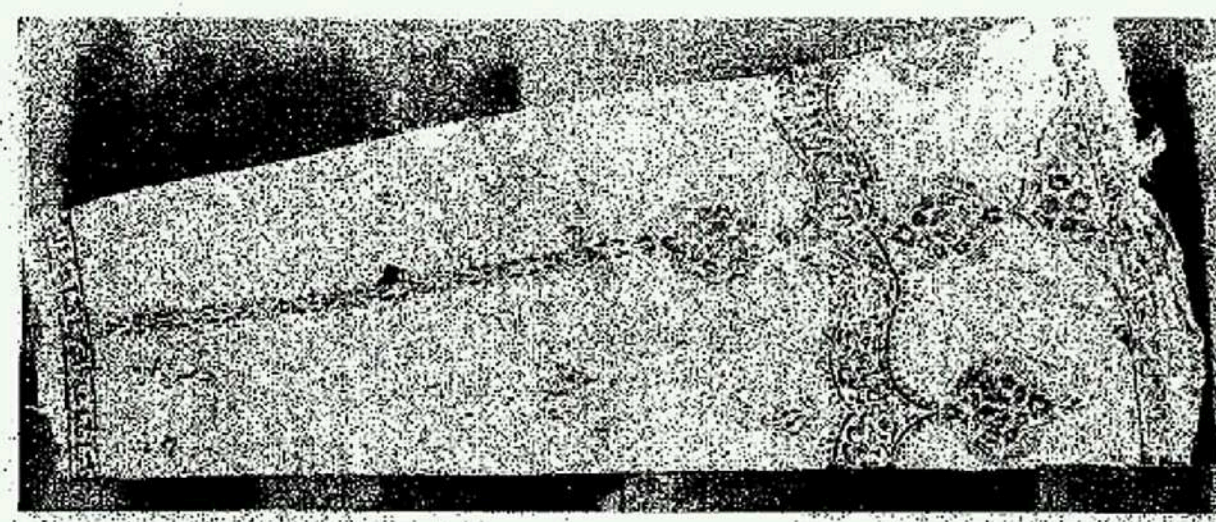
Fragments d'os et d'ivoire. — قطع مزخرفة من العظم والعاج



Objets en cuivre — مصنوعات من النحاس

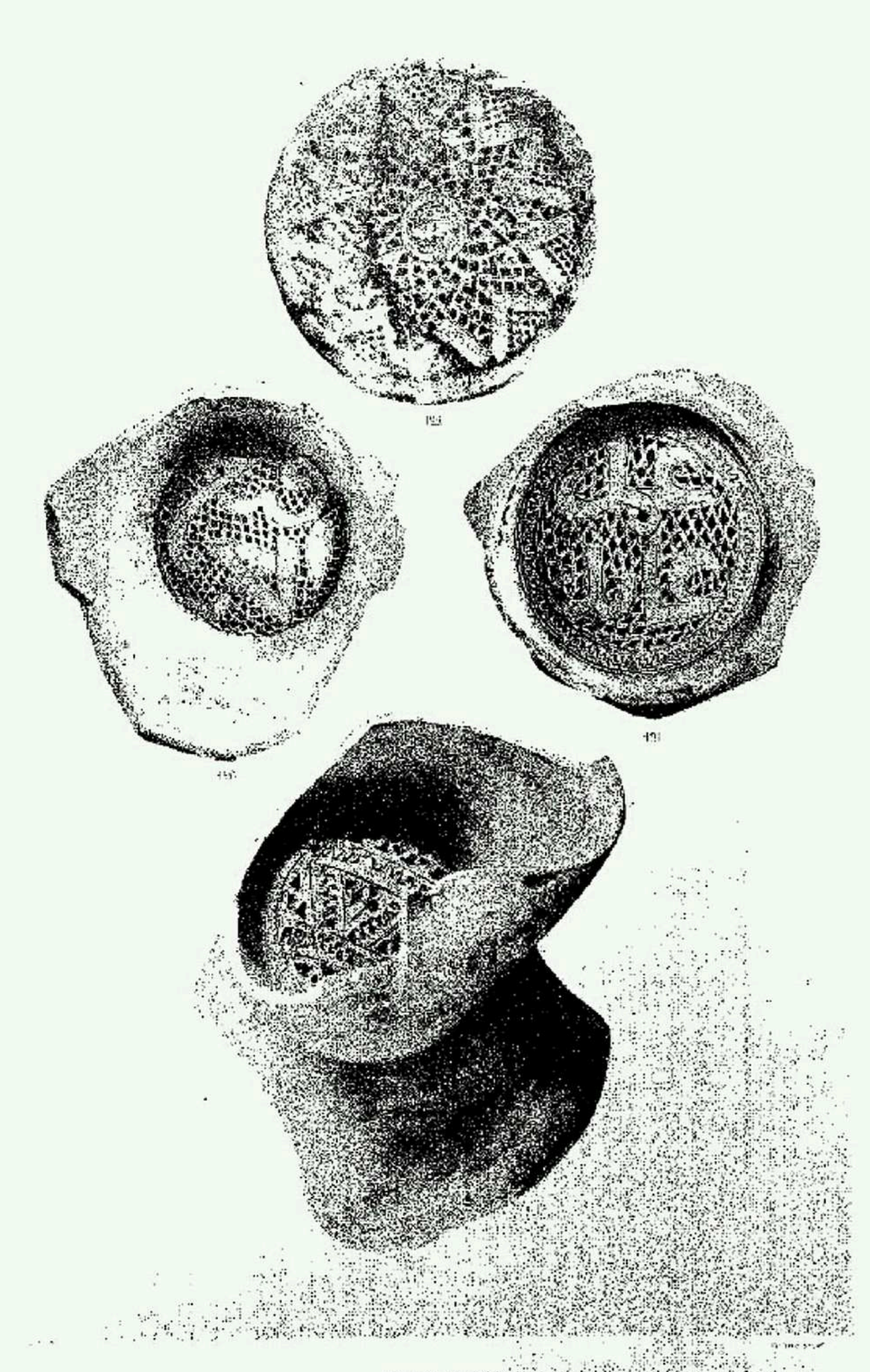
Objets en or. — مصنوعات من الذهب

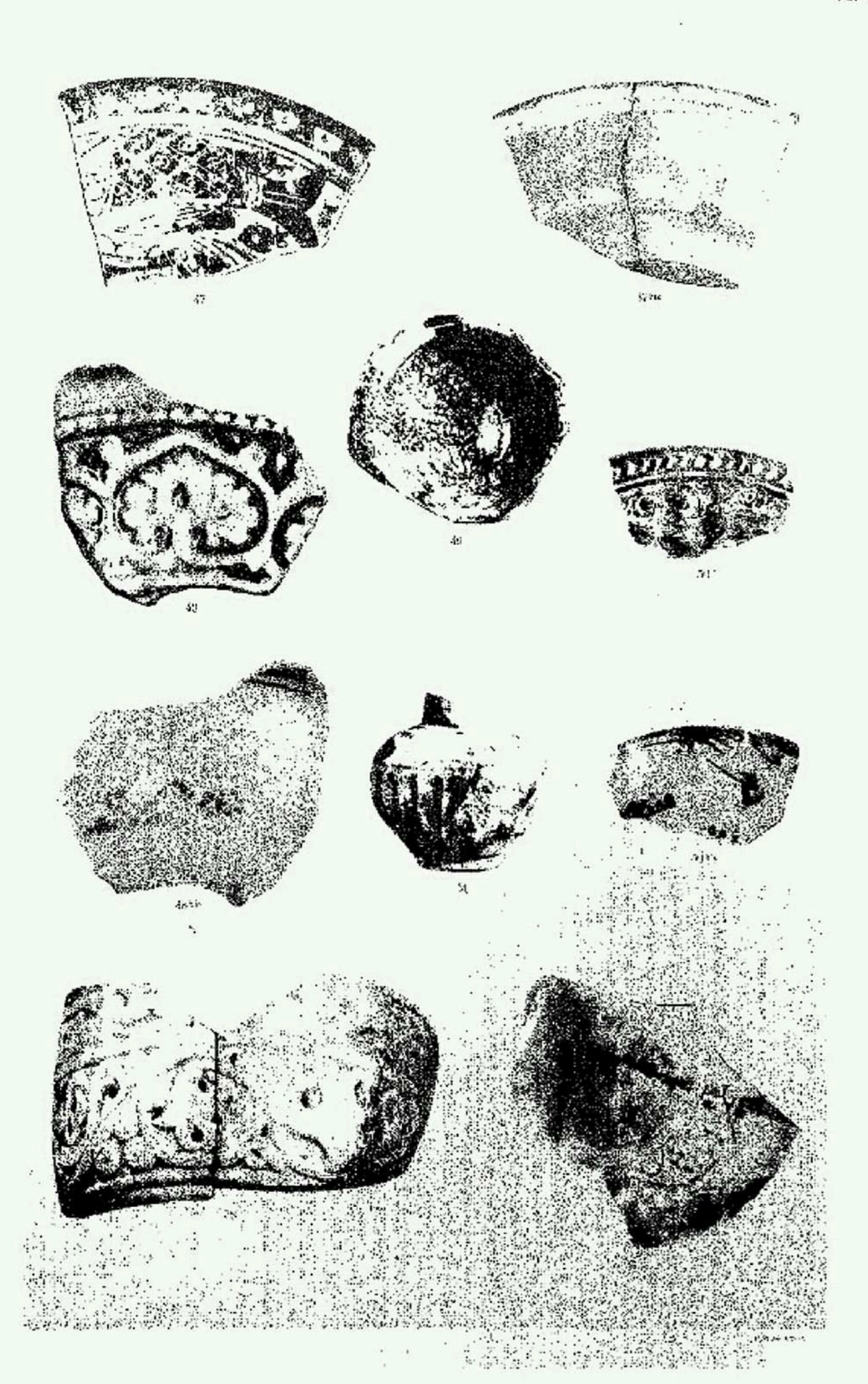




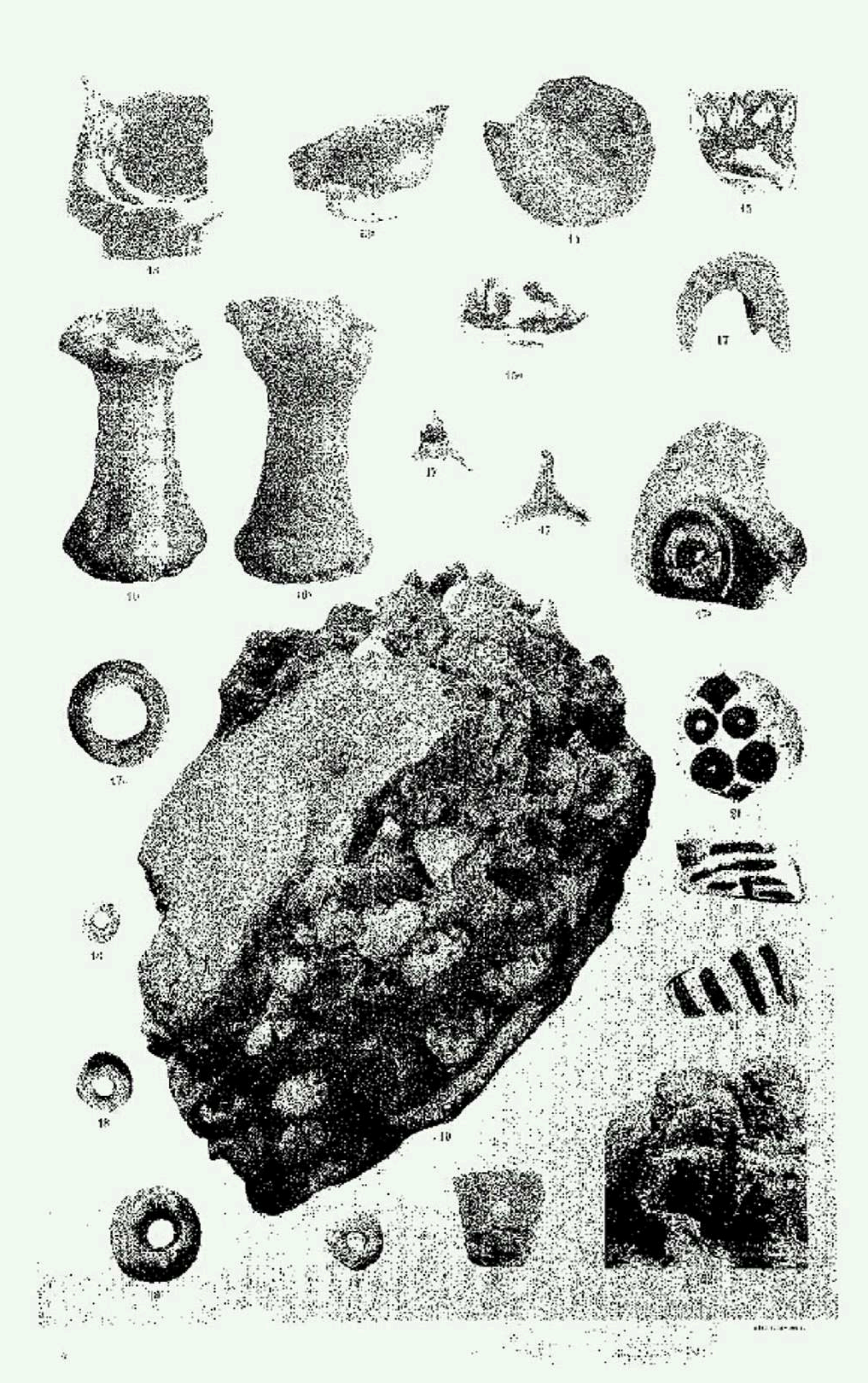
Fragments de tapis et de tissus. — قطع من سجاد ونسيج

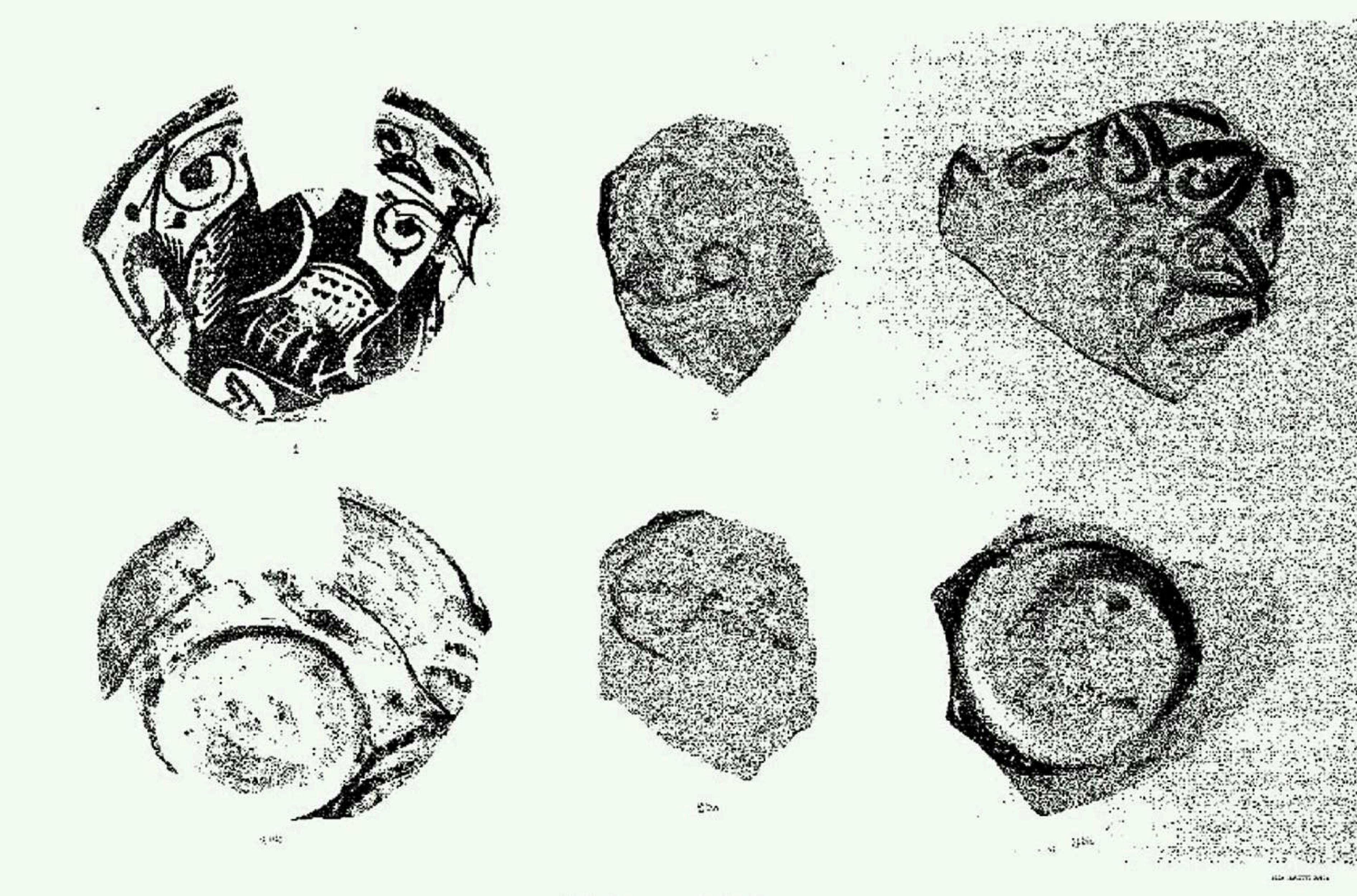
Fragments de verre émaillé. — قطع من الزجاج المموه بالمينا



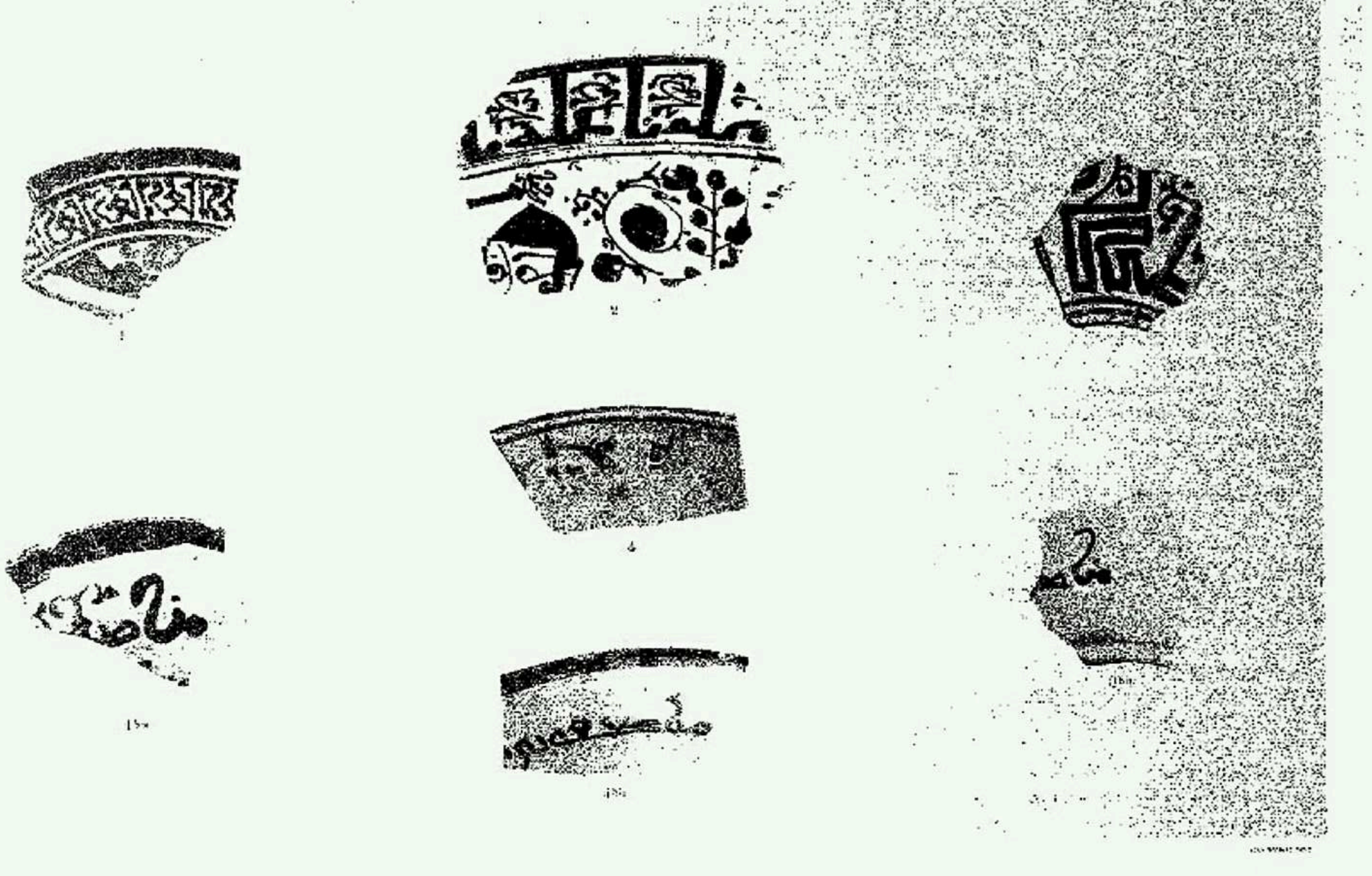








Marque et signatures de Moslim
Époque fâtimide (XIᵉ siècle)



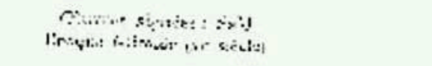
« L'œuvre [illegible] pour la famille de [illegible] (Safi ?) »
Époque timuride [illegible]

1 bis — 2 bis

1 — 2

4 — 3 — 3 bis

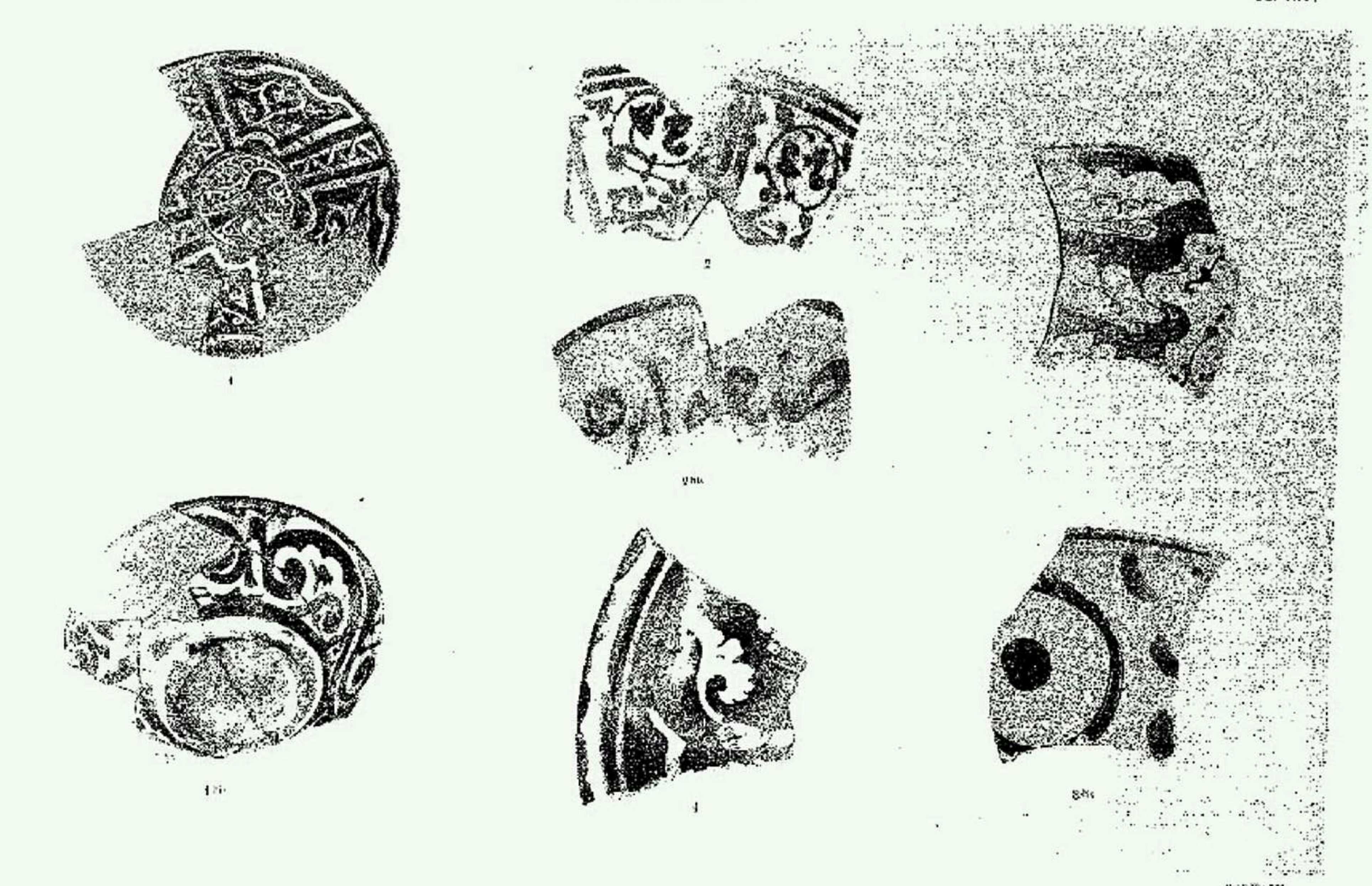
Signatures diverses



[illegible]
[illegible]



Époque fatimide
(XIe siècle)

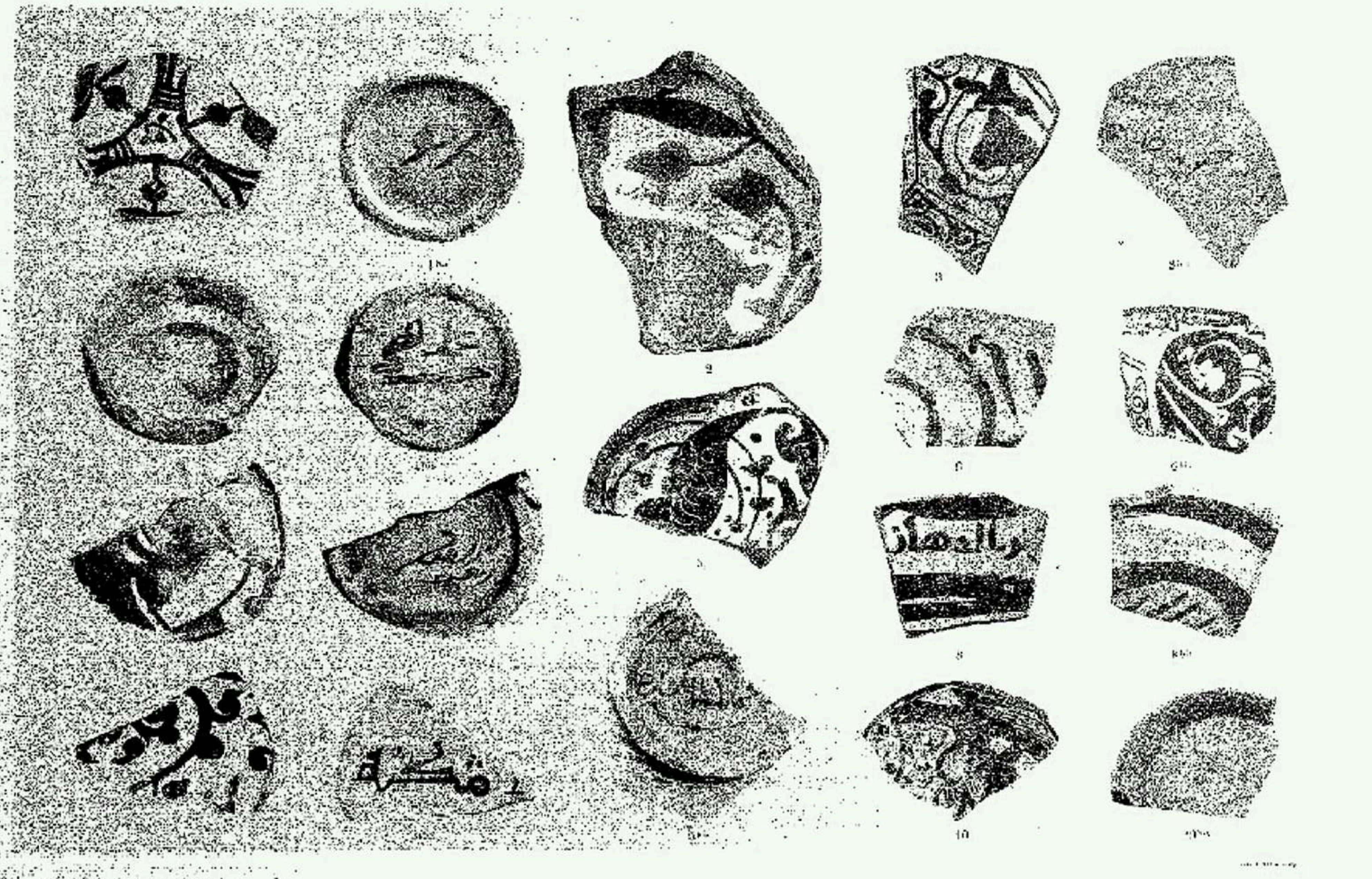


Signature d'Ibrahim et marque de l'atelier où il travaillait
Époque fatimide (XIe et XIIe siècles)

Époque fatimide
(XIe siècle)

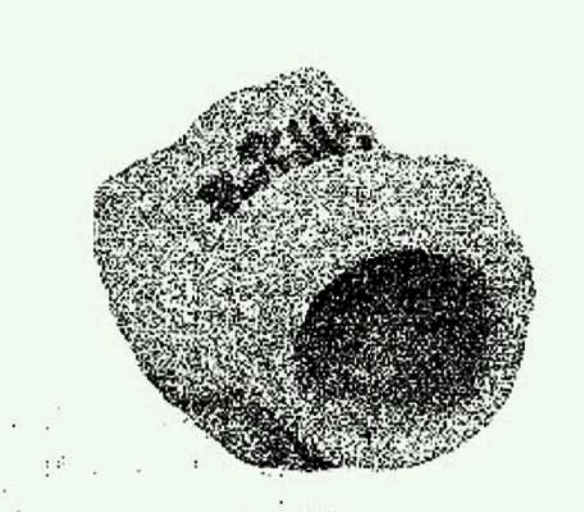


Époque [illegible]
([illegible] série)



Signatures diverses
Époque fatimide (XIe et XIIe siècles)





(Œuvres signées : Sa'd
Époque fatimide (XIe siècle))